عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

العرب والمسلمون في بريطانيا
2007 – 1973

ضياء محمد عارف سمور

رسالة ماجستير

القدس – فلسطين
1429هـ . 2008م

العرب والمسلمون في بريطانيا
1973 – 2007

مقدم من:

ضياء محمد عارف سمور

بكالوريوس تربية إسلامية من جامعة القدس المفتوحة – رام الله

المشرف:

الدكتور عبد الرحمن الحاج إبراهيم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في الدراسات الإقليمية
قسم الدراسات العربية – عمادة الدراسات العليا في جامعة القدس

1429هـ . 2008م

عمادة الدراسات العليا
قسم الدراسات العربية
مركز الدراسات الإقليمية

العرب والمسلمون في بريطانيا
2007 – 1973

اسم الطالب: ضياء محمد عارف سمور
الرقم الجامعي: 20520191

المشرف: الدكتور عبد الرحمن الحاج إبراهيم

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ: وأجيزت.
أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماءهم وتواقيعهم:
1. الدكتور عبد الرحمن الحاج إبراهيم رئيساً التوقيع .....
2. الدكتور معتصم الناصر ممتحن داخلي التوقيع .....
3. الدكتور عدنان ملحم ممتحن خارجي التوقيع .....

جامعة القدس – القدس
1429هـ . 2008م

بيان:

أقر أنا مقدم الرسالة أنها قدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخالصة باستثناء ما تم الإشارة إليه حيث ورد، وأن هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أية درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع: .....

الاسم: ضياء محمد عارف سمور

التاريخ: 2008/12/2م

الإهداء

إلى روح والدي، رحمه الله، وتقبله في الصالحين.

إلى أمي الحبيبة، أمد الله في عمرها، وأحسن عاقبتها.

إلى الزوجة الغالية، الصابرة، معلمة الناس الخير، وابنتيّ ثناء وشهادة – حفظهن الله –.

إلى أشقائي وشقيقاتي وأقربائي وأنسبائي، رعاهم الله أجمعين.

إلى كل من ربّاني، وعلمني، وأحبني، ودعا لي بخير.

إلى الأسرى والمعتقلين، متمنياً لهم الفرج العاجل القريب.

إلى أبناء الجالية العربية والإسلامية في بريطانيا، الذين حفظوا الهوية، وقلوبهم تهفو إلى فلسطين إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله أولاً وآخراً الذي أعانني على إنجاز هذا البحث.
وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير من أستاذي، والمشرف على رسالتي الدكتور عبد الرحمن الحاج إبراهيم على تفضله بالإشراف على الرسالة أولاً، ثم على ما أولاني إياه من توجيه ورعاية خلال إعدادي للرسالة، أدامه الله ذخراً للشعب والأمة والوطن.
وأتقدم بالشكر بالجزيل من الأساتذة الكرام د. محمد عمران، ود. باسم شلش، ود. سميح حمودة، والأستاذ عماد الترتير، والأستاذ محمود أبو كويك، على ما بذلوه من نصح وكرم جميل.
كما وأشكر إخواني في وزارة الأوقاف ، وزملائي في دائرة أوقاف رام الله والبيرة على وقوفهم بجانبي خلال فترة دراستي في جامعة القدس.
ولا أنسى من الشكر إخواني وأصدقائي الذين شجعوني على إتمام هذه الرسالة، وخاصة المهندس عماد المربوع وأشقائه.
وشكر خاص إلى الزوجة الغالية وابنتيّ ثناء وشهادة على توفيرهنّ الأجواء المناسبة أثناء إعدادي هذه الرسالة.
ولهم مني جميعاً كل الحب والوفاء والدعاء.

ملخص

إن تاريخ العرب والمسلمين قديم في القارة الأوروبية، ووصولهم إليها كان على مراحل، ابتدأت بنزولهم إلى أسبانيا، وأكثر الأعداد من العرب والمسلمين جاءت مهاجرة إلى أوروبا بعد الحربين العالميتين، وكانت لهذه الهجرات أسباب عديدة، منها السياسية، والاقتصادية، بالإضافة إلى الهجرة لطلب العلم، وغير ذلك...

إن تلك الهجرات المتوالية عملت على وجود جاليات عربية وإسلامية في كافة البلدان الأوروبية، وواجهت أبناء هذه الجاليات عوائق عديدة، من أهمها: الصورة السلبية لكل طرف في ذهن الآخر، والنظرة الاستعلائية عند الأوروبيين، بالإضافة إلى القصور الناتج من العرب والمسلمين في الوصول إلى الاندماج الإيجابي في المجتمعات الأوروبية، وفي سبيل تذليل هذه العقبات، أُنشئت جمعيات ومؤسسات عربية وإسلامية كثيرة في أوروبا.

وكنموذج للعلاقة بين الجانبين العربي الإسلامي والأوروبي، اختار الباحث "بريطانيا" ليتناول من خلالها حال العرب والمسلمين في أوروبا عن قرب، وبشيء من التفصيل.

إن علاقة العرب والمسلمين مع بريطانيا بدأت من ذ منتصف القرن السادس عشر الميلاديّ، من خلال التجار والبحارة الإنجليز، والاحتكاكات مع العثمانيين، ومنها تعرف البريطانيون على الإسلام، وكان "جون نيلسون" أول بريطاني يدخل في دين الإسلام، ثم زاد الاتصال بين الجانبين في فترة الاستعمار البريطاني للمناطق العربية والإسلامية ، في أوائل القرن التاسع عشر، وأخذت أفواج المهاجرين تتدفق إلى بريطانيا، حتى وصل عددهم إلى أكثر من مليونين مع بداية القرن الحادي والعشرين، أغلبهم من الباكستان وبنغلاديش.

مع وجود هذه النسبة المرتفعة من المسلمين في بريطانيا، والتي أهلتهم ليكونوا أكبر أقلية دينية في بريطانيا، فإن العلاقة أخذت تنتظم شيئاً فشيئاً مع المؤسسة البريطانية على المستويات كافّة، التربوية والسياسية والاقتصادية والحقوق المدنية.

إن هذا الامتداد للعرب والمسلمين في بريطانيا، مع تنوع أعراقهم قد أوجد لهم مشكلات مختلفة، كما ظهرت أمامهم عوائق متعددة، ومن ذلك: الفرقة بينهم، والتمييز العنصري ضدهم، وظهور نزعة للتطرف عند بعضهم، ووجود إعلام سلبي يشوه صورتهم، عدا المشكلات الاجتماعية المختلفة كانتشار البطالة، والمشاكل الأسرية، وغير ذلك... وللمساهمة في علاجها، والعمل على تحسين

أوضاع العرب والمسلمين، فقد تشكلت العشرات من الجمعيات والمؤسسات العربية والإسلامية على امتداد الساحة البريطانية.

واستطاع العرب والمسلمون في بريطانيا أن يرتقوا بأنفسهم، و أبدعوا في عطائهم للمجتمع البريطاني الذي يعيشون فيه، ما أكسبهم مكانة عند البريطانيين، ورفعت نسب ة احترامهم، وأعطوا النموذج الأمثل للمواطنة وصدق الانتماء، وفي هذا الإطار برزت شخصيات كثيرة في الماضي والحاضر من المبدعين، وفي المجالات كافة.

وما دام الانتماء الحقيقي للعرب والمسلمين في بريطانيا للمجتمع الذي يعيشون فيه، مع الحفاظ على الهوية، والاستمرار في تنظيم صفوفهم، وتحسين أوضاعهم موجوداً، فإن تعايشهم سيكون إيجابيا في النواحي كافة، وسيكون مستقبلهم زاهراً، رغم ما سيلاقونه من مصاعب وأشواك، وبالمثابرة وتضافر الجهود سيكون يومهم أفضل من أمسهم، وغدهم أفضل من يومهم.

ومشكلة الدراسة تتمثل في دراسة واقع العرب والمسلمين في بريطانيا، وفي تشخيص واقع اندماجهم الإيجابي أو السلبي في المجتمع البريطاني على ضوء واقع العلاقات مع المؤسسة البريطانية، بمستوياتها المتعددة.

وكذلك تتمثل مشكلة الدراسة في الإشكالات التي تواجه الواقع العربي والإسلامي في بريطانيا، وما هو دور بعض المؤسسات والجمعيات العربية والإسلامية العاملة على الساحة البريطانية، وكيف يمكن استشراف الواقع العربي والإسلامي في العقود المقبلة في بريطانيا، والدور الذي قامت به شخصيات عربية وإسلامية مبدعة في رفع منسوب الاحترام للعرب والمسلمين.

وتعتبر هذه الدراسة مهمة، ذلك أنها تجسيد لجهود حثيثة استند إليها الباحث لتشخيص واقع العرب والمسلمين في بريطانيا على أسس علمية منهجية لاستقراء الأهمية الاجتماعية للعرب والمسلمين في بريطانيا، وتعتبر كذلك، كونها من أولى الدراسات في فلسطين في هذا الموضوع، عدا أنها قاعدة مفاهمية لجهود بحثية لاحقة، ومما يزيد في أهمية هذه الدراسة أنها جاءت بعد هجمات 11 أيلول، وتفجيرات لندن 2005.

وقد تحددت الدراسة بمحددات متعددة، وهي محددات زمنية، وهي الفترة الممتدة من 1973 – 2007، استناداً إلى بدء الحوار العربي الأوروبي، ومحددات مكانية، وهي بريطانيا، ومحددات

مفاهمية، حيث إنّ المفاهيم تتحد كما عرفها الباحث إجرائيا، وأخيراً، محددات إجرائية، فقد اعتمد الباحث مراجعة الأدب كمنهجية تاريخية لدراسة الحالة.

أما المنهج الذي اعتمده الباحث في هذه الرسالة، فهو المنهج الوصفي، وكذلك تم استخدام المنهج التاريخي في بعض الأجزاء عندما يستوجب الأمر ذلك.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، بيان واقع العرب والمسلمين في بريطانيا، وبنيتهم الثقافية، وإظهار طبيعة علاقتهم مع المؤسسة البريطانية الرسمية ومع المجتمع المدني، كما أن هذه الدراسة عملت على تبيين المشكلات التي تواجه الجالية العربية والإسلامية على الساحة البريطانية، وأثر المؤسسات والجمعيات العربية والإسلامية هناك, ومن النتائج المهمة للدراسة، أنها استشرفت مستقبل الواقع العربي والإسلامي في بريطانيا.

وفي نهاية هذه الدراسة، وضع الباحث مجموعة من التوصيات، جعلها بعد الخاتمة.

Abstract

The history of Arabs and Muslims in Europe is very old. Through Spain they entered the rest of Europe . most of this immigration occurred after the world wars I and II , there were many reasons well as the search for knowledge among other things . this to the creation of closed Arab and Muslim communities throughout Europe . the people in these communities faced numerous obstacles including the negative image of each other in their own minds , and the belittling attitudes of the Europeans towards them , this was coupled with the inability for positive integration in to the European community .

In order to overcome these obstacles several Arab and Islamic societies and organizations were established in Europe.

The researcher chose Britain as an example to reflect the relationship of Arabs and Muslims with the Europeans.

In the mid 16th century, Arab and Muslim relationship with the British started through merchants and British sailers and the Ottoman Empire through them the British were exposed to the Muslim religion, John Nelson was the first British to convert to Islam, During the British colonization of the Arab and Muslim regions enhanced the relationship between both sides.

In the early 19th century , masses of immigrants entered Britain , By the early 21st century their numbered reached more than 2 million , were most of them were from Pakistan and Bangladesh with this high percentage of Muslims in Britain , they became the largest religious minority , little by little , the relationship with the British society lagan to grow on all levels .

Including cultural politics, economics and civil rights.

with all the different saxes of Arabs and challenges surfaced these included , internal division , discrimination against them , negative media propaganda as well as social problems (i.e. unemployment , family problems etc …….) .

To overcome and improve their situation, tens of Arab and Muslim organizations and societies emerged throsehour the British scene.

Arabs and Muslims were able to become prominent in the society and move to win the acceptance and respect of the British. They become model citizens sever a distinguished personalities arose from the Arab and Muslim community on all levels arcading yousef Islam , majdi yacoub , lord Hialy , Hayat sandy to nome a few

As long as the Arab and muslins living in Britain maintained a true loyalty to the community they live in , while keeping their nonentity and improving their situation : they can live positively on all levels , and have a Monishing future .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن وضع العرب والمسلمين في أوروبا لا يعتبر ظاهرة عابرة تاريخياً، حيث أن وجودهم كان قديماً، يعود إلى بداية القرن الثامن الميلادي، واستمرت أعدادهم في ازدياد حتى يومنا الحاضر (2007)، ما دعا لكثير من خبراء الغرب لدراسة هذه المسألة، ومن أهم القضايا التي اهتم بما هؤلاء الخبراء عند دراستهم للأوضاع المستقبلية لأوروبا هي برمجة الهجرة إلى بلادهم، وخاصة أن أكثر المهاجرين هم من العرب والمسلمين.

إن وجود الأعداد الكبيرة من العرب والمسلمين في أوروبا يتطلب كذلك من الخبراء والمختصين العرب والمسلمين وضع دراسات، وعقد ندوات والقيام بأبحاث تساهم في ارتقاء العرب والمسلمين في المجتمعات الأوروبية، وخاصة في ظل الصور القاتمة التي يحاول بثها عن العرب والمسلمين مجموعة من المفكرين الغربيين، وبالتحديد بعد هجمات 11/ أيلول وانتشار ما يسمي بـ " اسلاموفوبيا" في الإعلام الغربي بأشكاله المتنوعة.

ومن أكثر الدول الأوروبية التي سنت قوانين وأصدرت مراسيم لمواجهة هذا الوضع الجديد هي بريطانيا، بالإضافة إلى فرنسا وألمانيا، رغم أن بريطانيا من الدول التي أعطت الجالية العربية والإسلامية مساحة كبيرة للتحرك على الأراضي البريطانية، حيث نالت قسطاً من التسامح والحريات الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية. وقد سمح هذا الانفتاح بتطوير نشاطات عديدة للجالية العربية والإسلامية جعلتهم يشعرون بارتياح أكثر من وضع إخوانهم في أي بلد أوروبي آخر. فنلاحظ كثرة المساجد والمراكز والمؤسسات العربية والإسلامية الناشطة في بريطانيا، عدا عن الصحف والمجلات العربية والإسلامية التي يوزع بعضها يومياً وبعضها الآخر أسبوعيا أو شهرياً...

وتجمع العرب والمسلمون في بريطانيا قضايا كثيرة، أمام المؤسسات البريطانية قانونياً وتربوياً واجتماعياً واقتصادياً وهم يتحركون لنيل كامل حقوقهم، رغم وجود معوقات وإشكالات عديدة تقف أمام تقدمهم نحو الأفضل، ولكن من يستشرف المستقبل يجد أن الأمور تسير نحو واقع جديد للعرب والمسلمين في بريطانيا قد يكون نموذجاً للتعايش والمواءمة مع التجمعات الغربية.

وقد جاءت هذه الرسالة مقسمة إلى مقدمة تتبعها خمسة فصول، ثم أردفتها بخاتمة تتبعها توصيات.

ففي المقدمة تحدثت عن موضوع الرسالة بشكل عام ، ثم ضمنتها أهداف الدراسة، وأهميتها، وخلفيتها ومصطلحاتها، أما الفصول الخمسة فهي كالآتي:

الفصل الأول: تحدثت فيه عن تاريخ الوجود العربي والإسلامي في أوروبا ومراحل هجراتهم وأسبابها، وحول التعايش والعوائق التي تعترض طريقة ، ودور المراكز والجمعيات الإسلامية في تحقيقه.

الفصل الثاني: تعرضت فيه للحديث عن تاريخ علاقة العرب والمسلمين بالبريطان يين وهجراتهم إلى بريطانيا ، بالإضافة إلى بنيتهم الثقافية ؛ وأماكن وجودهم في بريطانيا، كما تناولت فيه علاقة الجالية العربية والإسلامية مع المؤسسة البريطانية.

الفصل الثالث: تحدثت فيه عن المشكلات التي تواجه العرب والمسلمين في بريطانيا، وعن الجمعيات والمؤسسات العربية والإسلامية ودورها في حل هذه المشكلات.

الفصل الرابع: تعرضت فيه للحديث عن عدة شخصيات عربية وإسلامية في بريطانيا، ودورها في رفع نسبة الاحترام للعرب والمسلمين.

الفصل الخامس: يناقش النظرة المستقبلية لواقع العرب والمسلمين في بريطانيا.

*** أهداف الدراسة:**

1. التعريف بوضع العرب والمسلمين في بريطانيا.
2. إظهار أثر المؤسسات والجمعيات العربية والإسلامية في بريطانيا.
3. تبيان الايجابيات / والسلبيات إن وجدت المترتبة على اندماج العرب والمسلمين في المؤسسة البريطانية.
4. تبيان المشكلات التي تواجه الجالية العربية والإسلامية في بريطانيا.

- **خلفية الدراسة:**

لقد قام الباحث بالبحث عن مصادر وكتب وموضوعات حول وضع العرب والمسلمين في بريطانيا، فكانت هناك كتابات عديدة من باحثين غربيين وآخرين من العرب والمسلمين، لكنها كتابات متفرقة، وكل باحث كان يكتب من زاوية مختلفة عن الآخرين، وفي مواضيع محددة، فرأى الباحث أن يكتب في الموضوع بشكل متكامل بحيث يغطي الميادين المهمة كافة التي تتعلق بالجالية العربية والإسلامية في بريطانيا، وخاصة أن عدد العرب والمسلمين في تزايد مستمر في بريطانيا، فقد كان عدد الجالية العربية سنة 1980 يقدر بنحو 250 ألفاً، وأرتفع سنة 1988 إلى 500 ألف، أما المسلمين فقدر عددهم سنة 1981 حوالي 750 ألف، وبعد مرور عشر سنوات قدرت أعداد المسلمين بنحو مليون و250 ألفاً.

ومن الدراسات التي كُتبت حول العرب والمسلمين في بريطانيا كتاب "المسلمون في بريطانيا"[1]، حيث تضمن عشرة فصول احتوت على مواضيع عدة منها حول البنية الثقافية والطبقية للمسلمين في بريطانيا، وكذلك عن الجماعات الإسلامية الموجودة هناك واشتراك المسلمين في النشاطات السياسية، ثم حول المساجد والمدارس الإسلامية، وعن وضع المرأة المسلمة في بريطانيا.

واطلع الباحث كذلك على كتاب "الإسلام في بريطانيا 1558 – 1685"[2] تحدث فيه الكاتب عن الإسلام في بريطانيا وسياسة التحول إلى الإسلام في الكتابات الإنجليزية، ثم تحدث عن النظرة من قبل بعض الغربيين للعرب والمسلمين من خلال كتابات بعض البريطانيين.

والعديد من الكتب والمجلات تضمنت دراسات مختصرة حول العرب والمسلمين في بريطانيا، منها لكتاب غربيين وأخرى لكتاب عرب ومسلمين، منها كتاب "الإسلام وأوروبا تعايش أم مجابهة؟" [3] وآخر اسمه "المسلمون في غرب أوروبا"[4]. وكتاب "الجاليات الإسلامية في أوروبا الغربية، مشكلات التأقلم والاندماج"[5] ... وغيرها من الدراسات.

---

[1] رضا، محمد، المسلمون في بريطانيا، (الساعدي، عبد الأمير (مترجم))، بيروت: دار الهادي، ط1، 1999.

[2] مطر، نبيل، الإسلام في بريطانيا (1558–1685) (عباس، بكر (مترجم))، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، (2002).

[3] كارلسون، أنجمار، الإسلام وأوروبا تعايش أم مجابهة، (بوتاني، سمير، مترجم)، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، (2003).

[4] نيلسون، يورغن، المسلمون في أوروبا، (شميط، وليد، مترجم)، بيروت، دار الساقي، ط1، (2005).

[5] سعد الدين، محمد منير وآخرون، الجاليات الإسلامية في أوروبا الغربية، بيروت: دار النفاس، ط1، (2003).

هذه بعض الدراسات التي اطلع عليها الباحث وغيرها دراسات كثيرة سيرد ذكرها في موضوعات البحث، وغالبية هذه الدراسات باللغة العربية، بعضها لكتاب غربيين ترجمت دراساتهم للعربية ولم يعثر الباحث على مصادر أجنبية إلا كتابان أثبتهما في قائمة المصادر.

- **مصطلحات الدراسة:**

يكون للمصطلحات الواردة في الدراسة التعاريف الإجرائية التالية:

- **العرب والجالية العربية في بريطانيا :** هم أولئك المتوطنون في بريطانيا من ذوي الأصول العربية، فهناك العرب المقيمون ممن لا يزالون يحملون جنسية بلد المولد في حين يحمل الآخرون الجنسية البريطانية، ويدخل ضمن هذا المصطلح من كان ذا ثقافة عربية، وإن كان من أصل عرقي غير عربي مثل الأقليات غير العربية في البلدان العربية (كالبربر، الأكراد..... الخ) [1].
- **الجالية الإسلامية (في بريطانيا):** هم المسلمون المتوطنون (في بريطانيا) من أي جنسية كانوا ومن أي شريحة كانوا، عمالا أو طلابا أو علماء أو ممن ولدوا (في بريطانيا)، أو ممن اعتنق (الإسلام) من البريطانيين[2]. (بدل بريطانيا نستطيع وضع أي دولة أوروبية).
- **الاسلاموفوبيا:** الخوف المرضي من الإسلام والمسلمين والكراهية لهم[3].
- **الصورة الذهنية:** هي الناتج النهائي للانطباعات الذاتية، التي تتكون عند الأفراد أو الجماعات، إزاء شخص معين أو نظام معين أو جنس بعينه أو مهنة معينة أو أي شيء آخر، يمكن أن يكون له تأثير في حياة الإنسان. وتتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة، وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم بغض النظر عن صحة المعلومات التي تتضمنها هذه التجارب [4].
- **الكومنولث:** رابطة دولية حرة بين بريطانيا ومستعمراتها السابقة التي استقلت عنها وظلت محافظة على ولائها للتاج البريطاني، تأسست عام 1944، والهدف الأصلي من هذه الرابطة الإبقاء على صلات التشاور والتعاون بين بريطانيا والدول المتأثرة بها سياسياً وثقافياً[5].

---

[1] غوبتا، انجان وآخرون، الجالية العربية في بريطانيا، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، (2002)، ص171.

[2] القرضاوي، يوسف، فقه الأقليات المسلمة، القاهرة: دار الشروق، ط1، 2001، ص 15.

[3] الخوند، مسعود، الأقليات المسلمة في العالم، بيروت: Universal company، ط2، 2006، ص 194.

[4] مشارقة، تيسير، قضايا إعلامية معاصرة، الخليل، فلسطين: مركز وطن، ط1، (1999)، ص 30– 31.

[5] الكيالي، عبد الوهاب، وآخرون، موسوعة السياسة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، ج5، (1979)، ص261.

الفصل الأول

العرب والمسلمون في أوروبا

1.1 تمهيد

2.1 تعايش العرب والمسلمين في المجتمعات الأوروبية

3.1 عوائق التعايش

1.3.1 الصورة السلبية لكل طرف في ذهن الآخر

2.3.1 النظرة الاستعلائية عند الأوروبيين

3.3.1 القصور العربي والإسلامي تجاه الغرب

4.1 دور المؤسسات العربية والإسلامية الأوروبية في تحقيق التعايش

5.1 دعوات أوروبية للتعايش

الفصل الأول
العرب والمسلمون في أوروبا

1.1 تمهيد:

إن الوجود العربي والإسلامي في القارة الأوروبية قديم، وله جذور راسخة، وقد حصل ذلك عبر قنوات عديدة، منها ما كان عبر التجارة، وما كان عبر القتال والحروب، وكانت البداية عندما نزل العرب والمسلمون على أرض إسبانيا بقيادة "طارق بن زياد" في 28/رمضان/ 92هـ [711/7/19م][1]، ومنذ ذلك التاريخ، والعرب والمسلمون بين مد وجزر في انتقالهم إلى أوروبا، وأكبر انتقال كان لهم بعد الحربين العالميتين، الأولى(1914–1918)، والثانية(1939–1945)، واللتين حصدتا أرواح ملايين البشر. حوالي 60 مليونًا .، ما دفع الدول الأوروبية للعمل على استقدام الأيدي العاملة، فكان أغلبها من المناطق العربية والإسلامية لأسباب عديدة، من أهمها أنها كانت مستعمرات أوروبية، والأيدي العاملة فيها رخيصة.

لم تقتصر هجرة العرب والمسلمين إلى أوروبا على العمالة فقط، فهناك هجرات لأجل العلم، وأخرى لأسباب سياسية، وفي العقود الأربعة الأخيرة، كان لبعض الأحداث العالمية والمحلية في المناطق العربية والإسلامية تأثيرات واضحة على مستويات الهجرة العددية والنوعية، ولم تكن هذه الهجرات منظمة، إذ كانت رهناً بالسياسة الحكومية الدائمة التغيير [2]،ونتيجة طبيعية لاستمرار الهجرة إلى أوروبا، واستقرار كثير من العرب والمسلمين هناك، فإن أعدادهم آخذة في الازدياد، وتشير بعض التقديرات إلى حوالي 20 مليون عربي ومسلم يعيشون في الاتحاد الأوروبي مع بداية القرن الحادي والعشرين[3].

إن وجود هذه الأعداد الكبيرة من العرب والمسلمين في أوروبا، شكل للعديد من الباحثين مدخلاً لتساؤلات كثيرة، من أهمها: اندماج الجاليات العربية والإسلامية في المجتمعات الأوروبية، وتعايش أبنائها مع الأوروبيين.

---

[1] أبو زيدون، وديع، تاريخ الأندلس. عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، (2005)، ص110.

[2] نيلسون، يورغن، مصدر سابق، ص25.

[3] كارلسون، أنجمار، مصدر سابق، ص174.

2.1 تعايش العرب والمسلمين في المجتمعات الأوروبية:

قبل الخوض في موضوع "التعايش"، ينبغي الوقوف عند مفهوم هذه الكلمة؛ لأن الذين كتبوا حول هذا المفهوم انقسموا بين مؤيد ومعارض له، ومن قالوا إنه مفهوم مرفوض، فمن وجهة نظرهم أنه يدفع بالعربي والمسلم للذوبان في المجتمع الأوروبي، ونسيان الهوية، عدا الابتعاد شيئاً فشيئًا عن عادات الوطن الأم وتقاليده ، ولم يقتصر الاعتراض على الجانب الإسلامي، فالجانب الآخر– الغربي– كان فيه المعترضون كذلك، فكتب أحدهم [1] "صراع الحضارات" ليعزز فكرة التصادم بين الثقافات المختلفة، وهذا الوضوح في الطرح السلبي للاندماج وطريقة التعايش من ذلك الكاتب، حدا بعض الكتاب الغربيين والمسلمين على أن يكتبوا ردوداً واضحة على ذلك الطرح، ليظهروا عبر الدلائل العديدة إمكانية التعايش بين الجانبين، لأن بوادره موجودة، ووسائله متوافرة، ومن هؤلاء "هارالد موللر" الذي كتب "تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنجتون"[2]، وكذلك "زغلول النجار"كتب في ذلك "الإسلام والغرب في كتابات الغربيين"، وساهمت في هذا الطرح الإيجابي المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) فكتب أمينها العام . عبد العزيز التويجري . كتاباً بعنوان "الحوار من أجل التعايش".

ومفهوم التعايش لا يعني – بحال من الأحوال – التنازل عن الفكرة أو الشخصية أو الدين أو عن جزء منه، فهذا الأمر حكمت به السماء منذ نزول الوحي(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ)[3] فالتعايش فيه حياة للفرد، وحياة للشعوب، ونماء للمجتمعات التي تتمثله، وهو اندماج لا يلغي هوية فرد أو أقلية في مجتمع أو أمة، إن المعنى الإيجابي للتعايش هو أن نتوصل إلى مستويات أخلاقية في الحوار والاتفاق على أسس العيش والتصالح، وتقدير الاختلاف، والاعتراف به، والاعتراف بالتعددية، ومن الجدير بالتنبيه إليه أن القرآن الكريم جاء بمصطلحات ربما تكون أوسع معنى، وأشمل تعاملاً من مصطلح التعايش، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ

---

[1] صموئيل هانتنغتون أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد.

[2] موللر، هارلد. تعايش الثقافات، أبو هشهش، إبراهيم(مترجم) ليبيا: دار الكتاب الجديد، ط1، (2005)، ص23.

[3] سورة البقرة: آية 85.

وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)[1]، فلفظ التعارف ليس مقصوراً على الاسم والقبيلة، إنما هو خطاب للبشرية بالمعنى الواسع في تبادل المعارف والعلوم والمحاسن والفضائل. إن معنى التعايش هو قبول التصالح الدنيوي والوجود والجوار في الاتفاق على جملة من الأخلاق الإنسانية، التي تتيح فرصة لتبادل الحوار، والتعايش هو نوع من التعاون في المشترك الحضاري والإنساني، وتبادل الخبرات التي تعين الإنسان على عمارة الأرض، ونشر قيم الخير التي يتفق الناس على الاعتراف بها.

3.1 عوائق التعايش

ورغم أن التعايش الحقيقي مطلب كثير من عقلاء الطرفين، وأقيم لأجله العديد من المؤتمرات، كما تناوله كثير من الدراسات من الجانب الإيجابي، فإن هناك عوائق متعددة تحول دون تحقيق الاندماج البناء، والتعايش الحقيقي وبالشكل الحضاري الذي يتلاءم مع التقدم الذي وصلت إليه البشرية، ويمكن إجمال هذه العوائق في النقاط الآتية:

1. الصورة السلبية لكل طرف في ذهن الآخر.
2. النظرة الاستعلائية عند الأوروبيين.
3. قصور الجانب العربي والإسلامي.

وسيعرض الباحث هذه النقاط بشيء من التفصيل.

1.3.1 الصورة السلبية لكل طرف في ذهن الآخر

1.1.3.1 صورة الإسلام والعرب والمسلمين في الذهن الغربيّ:

إن هناك نظرات سلبية عند الأوروبيين للعرب والمسلمين، وللإسلام ، أما نظرتهم السلبية للإسلام، فمن أهم أسبابها، النقص الكبير في معلوماتهم حول مفاهيمه وتشريعاته ومفرداته الأخرى، لذلك رُسمت في الذهن الأوروبيّ عن الإسلام عناوين بارزة، مثل:

---

[1] سورة الحجرات: آية 13.

1. أن العقيدة الإسلامية هي عقيدة منحرفة، وتحريف متعمد للحقائق. 2. الإسلام عدو للعالم. 3.انتشار الإسلام بالسيف. 4. اضطهاد المرأة، وتعدد الزوجات. 5.اعتبار الإسلام ديناً وثنياً. 6.اعتبار النبي ساحراً وداعياً إلى اللذات الحسية. 7. اعتبار القرآن خرافات مستعارة من الإنجيل بعد تشويهها[1].

أما صورة العرب والمسلمين، فإن العديد من كتب الأدب والفكر الغربي، عدا الأفلام التلفزيونية، تصورهم بشكل سلبي، فهم إما قتلة متعطشين للدماء، وإما أغنياء جهلة وشهواتهم للنساء الغربيات لا ترتوي، وتعليقا على ذلك، يقول الديبلوماسي السويدي . إنجمار كارلسون .: "تمرّ هذه المواد . أي الأفلام التلفزيونية المسيئة . بدون معاقبة ولا مساءلة، بل، ولا تجد هذه المواد الفنية أي نقد جدي، لا هي، ولا الكتب والمؤلفات التي تقطر عنصرية اتجاه العرب. وهكذا ظهرت كتب نموذجية من هذا الصنف خلال العقود الأخيرة، مثل كتاب "رافائيل باتيه" الذي يحمل عنوان "العقل العربي"، والذي لا يكتفي بكيل النعوت البذيئة للعرب، وإنما يمضي إلى اعتبارها صفات أصيلة في الجنس العربي تتناقل بالوراثة"(2).

ولم يفت الساسة الأوروبيين بثّ هذه النظرة القاتمة في العقلية الغربية، فهذه رئيسة وزراء بريطانيا السابقة "مارجريت تاتشر" تتحدث عن أن المعركة هي حول"القيم" و"المصالح"، فتقول عن المسلمين: "إنهم يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب..وإنهم يمثلون أيديولوجية عدائية لأمريكا والغرب.. فهم كالبلشفية في الماضي.. وكما كانت الحال مع الشيوعية، فلا بد من تبني استراتيجية طويلة المدى ليتسنى لنا هزيمتهم" [2]. وأما وزير الداخلية في ألمانيا "أوتوشيلي" يبلغ الحد الذي يصف فيه عقيدة الإسلام بأنها "هرطقة وضلال"![3].

وازدادت النظرة السلبية للعرب والمسلمين بعد أحداث 11/أيلول/2001، فقد أظهرت أوروبا تعاطفاً حكومياً وشعبياً واسعاً مع الولايات المتحدة ، وانطلقت في شوارع العواصم الأوروبية الكبرى، شعارات "كلنا أمريكان"[4]، وشكلت هذه الأحداث تأثيرات واضحة على وضع العرب والمسلمين في

---

[1] علاء الدين، بكري، أوروبا والإسلام، الفكر العربي، السنة الثانية، العدد 1، (1981)، ص189.

[2] عمارة، محمد، الإسلام في عيون غربية، القاهرة: دار الشروق، ط1، (2004)، ص49.

[3] عمارة، محمد، الغرب والإسلام، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، (2004)، ص86.

[4] الجاسور، ناظم عبد الواحد، تأثير الخلافات الأمريكية – الأوروبية على قضايا الأمة العربية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، (2007)، ص252.

أوروبا، لكن في درجات متفاوتة بين دولة وأخرى، وبدأ الحديث في بعض الدول عن اعتداءات فعلية على أشخاص وممتلكات اعتبرت إسلامية، وفي هذا الإطار عمد بعضهم إلى تمزيق حجاب النساء، وضرب أفراد تظهر عليهم الملامح الإسلامية، أو شتمهم، أو الإساءة إليهم كلامياً، كذلك أقدم آخرون على تحطيم النوافذ والكتابة على الجدران [1]، وبدت محاولات الهيمنة على أسلوب الحياة للمهاجرين والمواطنين من أصول عربية وإسلامية من خلال سياسات التهميش والاستعباد والقهر الاجتماعي، وازداد تشويه صورة الإسلام والمسلمين[2].

إن هذه الحملة ضد العرب والمسلمين من بعض الأوروبيين كانت موجودة قبل أحداث 11/ أيلول، لكنها بعد الأحداث اتسمت بالاتساع على الصعد كافة، وبكل الوسائل، فهناك الاتهام الجاهز، الذي يوجه للعرب وللمسلمين، من قبل أن يبدأ أي تحقيق. والمجرم ثابت في شهادة الميلاد، فهو ثابت بمجرد أن يكون الاسم أحمد أو عبد الرحمن، أو مصطفى،... وحتى لو حاول أحد تغيير اسمه إلى جون أو بيتر،... فلن يكفي هذا للتبرئه... لأن الملامح تبقى شرق أوسطية، وهذا يكفي للتعرض إلى مختلف أنواع الإساءة والإيذاء[3].

هذه نظرات سريعة لمواقف أوروبية من الإسلام والعرب والمسلمين..مواقف تنم عن الثقافة التي شاعت في أذهان بعض الغربيين في القديم والحديث...ثقافة الكراهية.. ما حدا أحد الكتاب الغربيين وهو "Norman Daniel" على أن التأكيد أن الصراع بين الغرب والإسلام حتمية تاريخية نتيجة هذه الثقافة، فقال: "إن العداء بين الإسلام والمسيحية كان حتمية نظراً للظروف التي عاشها المسيحيون؛ لأن المسؤولين المسيحيين وضعوا ضغوطاً هائلة لتنصير المسلمين وعزلهم، وقد عاش المجتمع الإسلامي والمسيحي بعيدين عن بعضهما بعضاً بالحد الذي قدر له، ولم يسمح أصلا بفهم للإسلام على حقيقته...وأن تنشئة المسيحي كانت تتعلق بتعزيز مفاهيم العنف والقوة ضد المسلمين"[4].

---

[1] نيلسون، جوردن، مصدر سابق ، (2005)، ص 264.

[2] ياسين، السيد، الحرب الكونية الثالثة عاصفة سبتمبر والسلام العالمي، دمشق، بيروت: دار المدى، ط 1، (2003)، ص 45.

[3] أمين، جلال، عولمة القهر، القاهرة: دار الشروق، ط1، (2002)، ص130.

[4] Daniel, Norman.(1960). Islamond the west. First publirhed by Edinburgh University Press. England، ص297.

هذا غيض من فيض من مستودع الكراهية المخزون في أذهان بعض الغربيين عن الإسلام والعرب والمسلمين، وعلى الطرف الآخر، لم تكن النفوس في منأى عن ذلك الجانب من الكراهية.

2.1.3.1 صورة الأوروبي في الذهن العربي والإسلامي:

وهو شعور في أغلب الأحيان مشحون بالتوجس والتوتر والقلق، وفي أحيان أخرى بالمرارة والمعاداة، وذلك أمر يمكن أن يفهم في ضوء علاقة التماس بين المسلمين والغرب، وهي علاقة لم توجد مع سواه. هذه العلاقة ذات جذور تمتد في الماضي لا تدعو إلى الاطمئنان، كما أن لها نتوءاً في الحاضر يمنع من المصافاة [1]. إن هذا الشعور بالعداء والكراهية والقلق تجاه الغرب لا نجده بالدرجة نفسها مع مناطق أخرى، رغم الاختلاف معها عقدياً واجتماعياً.. ورغم فترات من الصراع كانت معها، مثل روسيا، واليابان، والصين وغيرها . هذه الصورة القاتمة عن الغرب لم تأت من فراغ، فكما جاء في الصفحات السابقة من أسباب للكراهية التي يختزنها الذهن الأوروبيّ عن العرب والمسلمين، كذلك توجد أسباب تجعل العرب والمسلمين ينظرون بكراهية إلى أوروبا، ومن هذه الأسباب: الحروب الصليبية، والاستعمار، ومحاربة الإسلام والمسلمين. وسيقوم الباحث بإلقاء نظرة سريعة على هذه النقاط.

أولا: الحروب الصليبية

إن من أوائل الصور التي تتراءى للعرب والمسلمين عن الغرب، الحروب الصليبية، وهي الحملات العسكرية التي قامت بها أوروبا المسيحية إلى الشرق العربي والإسلامي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين (في فترة 1096–1291م) وقد جرت هذه الحملات تحت ستار الدوافع الدينية (إنقاذ بيت المقدس من المسلمين)، إلا إنها كانت في الحقيقة ذات دوافع اقتصادية في الأساس [2]. وقد كان دافع الحروب الصليبية المباشر هو الموعظة التي ألقاها البابا "أوربان الثاني" في مجمع كارمونت 1095. وحث فيها العالم المسيحي على الحرب لتخليص القبر المقدس من المسلمين، ووعد المحاربين بأن تكون رحلتهم إلى الشرق غفراناً كاملاً لذنوبهم، كما

---

[1] المبارك، راشد، فلسفة الكراهية(دعوة إلى المحبة)، بيروت: دار صادر، ط1، (2001)، ص45.

[2] الكيالي، عبد الوهاب، وآخرون، مصدر سابق، ص238.

وعدهم بهدنة عامة تحمي بيوتهم خلال غيبتهم [1]. من ذلك نرى أن الحروب الصليبية تعتبر انطلاقة أوروبا الدينية والاقتصادية في مواجهة العالم الإسلامي، وأن الظاهرة الواضحة الدالة على هذا المعنى هو أن الغزو الأوروبيّ والغربيّ كان عنيفاً ومليئاً بروح التعصب والانتقام [2]. حتى إن اسم "الحروب الصليبية" يحمل في أثنائه، وفي أبعاده التعصب المقيت، وكذلك يثير العنوان في حد ذاته التساؤل حول اختيار التسمية، ذلك أن العرب– ومؤرخيهم بصورة خاصة– قد حرصوا على تسمية الصليبيين الفرنج، تحديداً لهويتهم، وتمييزاً لأهدافهم من الحرب، في حين حرص الغربيون على تسميتها الحروب الصليبية، تمييزاً لطابعها الأيديولوجي (الديني).

ولقد درج بعض الكتّاب في الغرب على استخدام اصطلاح "الصليبية"، حتى في العصور الحديثة، فجاء "أيزنهاور"–على سبيل المثال– ليطلق على كتابه اسم "حروب صليبية في أوروبا"، تمييزاً لطابعها الأيديولوجي في الصراع بين "العقيدة الحرة" و"العقيدة الديكتاتورية"[3].

إن الحروب الصليبية، وما كان فيها من فظائع، رسمت الغرب في الذهن العربي والإسلاميّ بصورة سلبية، وانعكس ذلك سلباً على تعايش بعض العرب والمسلمين في أوروبا.

ثانيا: الاستعمار

إن للاستعمار صفحات سوداء يتذكرها العرب والمسلمون، فصورة الاستعمار لا تقل بشاعة عن تلك التي رسمها الصليبيون لأنفسهم، ولعل مما لا يحتاج إلى تأكيد القول إن مظالم الاستعمار ومآثمه ستبقى معلماً بارزاً في مسار التاريخ، ومثلاً حاد الدلالة على البشاعة التي تنطوي عليها نفوس بعض البشر[4].

---

[1] غربال، محمد شفيق، وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، دار الجيل، الجمعية المصرية لنشر المعرفة، ط1،ج1، (1995)، ص709.

[2] الجندي، أنور، الإسلام وحركة التاريخ، القاهرة: دار الكتاب العربي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (1980)، ص199.

[3] العسلي، بسام، الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، بيروت: دار النفائس، ط2، (1983)، ص9.

[4] المصدر السابق، ص 54.

إن الاستعمار شكل عائقاً أمام تطلع الشعوب العربية والإسلامية إلى التعايش الإيجابي مع الغرب الأوروبي، ذلك بأن ممارساته العدوانية لا تزال ماثلة في الأذهان.

ثالثا: التحريض ضد الإسلام والعرب والمسلمين

إن من أسباب الكراهية للغرب، والذي تشكل الدول الأوروبية جزءاً كبيراً منه، التحريض الذي يرى العرب والمسلمون أنه يمارس ضدهم، وأن سهامه موجهة لهم وللإسلام، تحريض يمارس على الصعد كافة، الثقافية والإعلامية والاقتصادية والسياسية... وتمثل هذا التحريض في صور عدائية كثيرة يراها العرب والمسلمون ماثلة أمامهم أحياناً، وتكون واضحة دون مواربة، مما يعمق الكراهية في النفوس، ويزيد من العوائق التي تحول دون التعايش الحقيقي بين الجانبين، وسيقوم الباحث بتوضيح هذه الصورة من خلال خمسة عناوين: 1. الخوف من الإسلام. 2. إشكالية الحجاب. 3. بناء المساجد. 4. قضايا معاصرة. 5. تشويه صورة الإسلام والعرب والمسلمين.

1. الخوف من الإسلام "الإسلاموفوبيا":

إن الغرب بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وانحسار المد الشيوعي، وانتهاء الحرب الباردة، أخذ يبحث عن عدو جديد يملأ به "فراغ التهديد"، الذي كانت تمثله الشيوعية، وكأنه وجد مراده في الإسلام والمسلمين . عرباً وغيرعرب .، فالإسلام يعتبر ديانة عالمية، وقوة أيديولوجية، تحتضن أكثر من خمس سكان العالم [1]، وكما يقول "جيمس زغبي" *: "إن هدف الحملة الحالية هو تصوير الإسلام بمثابة عدو فاتك للغرب، وبالتالي الاستعاضة عن الحرب الباردة ضد الشيوعية بحرب ضد عدو لا يقل خطراً اسمه "الإسلام الراديكالي"، وظهرت عدة مقالات وكاريكاتيرات بدأت بإدانة "الأصولية" ثم انتقلت إلى "شجب الإسلام كحضارة"[2].

وأخذت تزداد في أوروبا فكرة: اعتبار الإسلام العدو العالمي الجديد المتكتل ضد الغرب، وبدا واضحاً وجود هذه الفكرة في الإعلام المقروء والمسموع والمرئي، وكذلك في المؤتمرات

---

[1] اسبوزيتو، جون ل.، التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة؟ (قاسم، قاسم عبدو، مترجم)، القاهرة: دار الشروق، ط2، (2002)، ص19.

*رئيس المعهد العربي الأمريكي في واشنطن.

واللقاءات الرسمية والشعبية في دول أوروبا كافة، حتى أصبحت النظرة إلى الإسلام على أنه "المارد الأخضر" القادم لإبادة الغرب وحضارته، وغدا مصطلح "إسلاموفوبيا" متداولاً في الأوساط الأوروبية، وقد ساهم في التحريض، ودق ناقوس الخطر من الإسلام وزحف أبنائه إلى الغرب، قادة أوروبيون ، أمثال "فيلي كلاوس" – سكرتير حلف الأطلسيّ السابق – الذي صرّح بأن على الحلف الأطلسيّ إعداد العدة لمواجهة الخطر الأخضر – الإسلام – بدل الخطر الأحمر– الشيوعية[1]

ولعل بعض الباحثين المسلمين ساهموا في تعزيز تلك الفكرة، أي الخوف من الإسلام، من حيث لا يشعرون، فقد كثر حديثهم في الآونة الأخيرة عن "أسلمة أوروبا" استناداً إلى إحصاءات موثقة تؤكد أن نسبة 20% إلى 30% من الأوروبيين الذين تقل أعمارهم عن 25 عاماً، ينحدرون من أصول عربية وإسلامية (أبناء الجيلين الثاني والثالث).... والمحقق من هذه الأفكار أنها تزيد في الفجوة بين سكان أوروبا الأصليين وبين الجاليات العربية والإسلامية[2].

2. إشكالية الحجاب

تباينت وجهات النظر الأوروبية في مسألة الحجاب، بين مؤيد ومعارض، ومتشدد ومتساهل، ويمكن تقسيم التوجهات الأوروبية إزاء الحجاب الإسلامي إلى ثلاثة مواقف:

- الأول: يرى أن الحجاب مسألة شخصية تتعلق بحرية الشخص وقناعاته الذاتية.
- الثاني: يعتبر الحجاب مسألة شخصية، ولكن الفتاة التي تلتزم بالحجاب تحرم من بعض الحقوق، كحق العمل في المؤسسات الحكومية.
- الثالث: يعلن عداءه للحجاب، ويرفض رفضاً قاطعاً ظاهرة الحجاب.

---

[1] فرحان، إسحق أحمد، مواقف وآراء سياسية في قضايا وطنية وعربية وإسلامية، عمان؛ دار الفرقان، ط 1، (1997)، ص204.(2)

[2] اللاوندي، سعيد، فوبيا الإسلام في الغرب، القاهرة: دار أخبار اليوم، ط1، (2006)، ص 4.

ويرى بعض من الأوروبيين أن انتشار الحجاب في أوروبا يعني أن الإسلام أصبح له موطئ قدم في أوروبا، وأن وجود الحجاب يعني أن الظاهرة الإسلامية في تنامٍ مستمر، وهذا من وجهة نظرهم يشكل تهديداً لطبيعة المجتمع الأوروبي في جوانبه كافة.

وقد أثيرت أول ضجة حول الحجاب في فرنسا سنة 1989م، عندما أقدم بعض مديري المؤسسات التعليمية على منع عدد من الطالبات من الدخول إلى فصول الدراسة بسبب ارتدائهن الحجاب، على اعتبار أنه يمثل "رمزاً دينياً"، وهو ما يتعارض مع القيم العلمانية الفرنسية. واستطاعت فرنسا أن تخوض معركتها ضد الحجاب وتنقلها إلى دول الجوار، مثل إيطاليا وأسبانيا والبرتغال وألمانيا حيث قام العديد من المنظمات النسوية والحكومية بالمطالبة بالسير على خطا فرنسا في منع الحجاب وتوحيد النمط الاجتماعي الغربي، إلى درجة أن بعض المجلات باتت تنشر صور "الموناليزا – لوحة ليوناردو فينشي الشهيرة–" وهي ترتدي الحجاب في إشارة إلى التهديد المحدق بالهوية الأوروبية[1].

3. بناء المساجد

مع انتشار الإسلام في أوروبا، واستقرار أعداد كبيرة من المهاجرين المسلمين في الدول الأوروبية، عدا بعض تلك الدول اعترفت بالإسلام كديانة ثانية، لها حقوقها وامتيازاتها، مثل فرنسا، فإن ذلك دفع المسلمين للمطالبة ببناء مساجد ملائمة لإقامة الصلوات، حيث كان المسلمون ولا يزال كثير منهم يؤدون الصلاة في مواقف السيارات المغلقة، وفي المصانع القديمة، وورش العمل[2].

وقد انقسم الأوروبيون إزاء هذه المطالب بين مؤيد ومعارض، فالذين أيدوا بناء المساجد رأوا أن المسلمين من حقهم إقامة الشعائر الدينية في مساجدهم، كما يقوم المسيحيون بإقامة شعائرهم في الكنائس، خاصة أن الجيلين الثاني والثالث من المهاجرين المسلمين إلى أوروبا، أصبحوا مواطنين مقيمين في الدول التي استقروا فيها.

---

[1] نيلسون، جوردن، مصدر سابق ، (2005)، ص261.

[2] عبد القادر، حسين، فرنسا والأديان السماوية، القاهرة: دار بلال، ط1، (1998)، ص182.

أما الاتجاه الآخر، المعارض لبناء المساجد، فقد قاما بتظاهرات في عدة عواصم أوروبية خلال العقدين الماضيين، كما قامت مجموعات يمينية متطرفة من هذا الاتجاه باعتداءات متنوعة على المساجد، من إحراق، إلى تدمير، إلى إلقاء رؤوس الخنازير بداخلها، كما حدث في مسجدين في شرق لندن، إلى رسومات عنصرية على جدرانها.ويرى هذا الفريق أن المساجد تثير مخاوف الأوروبيين؛ لأنها تعمل كمفرخة لتخريج المزيد من الإرهابيين الذين يهددون الأمن الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الأوروبية الأصلية[1].

أمام هذه النظرة السلبية للمساجد في أوروبا الغربية ، والتي يبلغ عددها حسب آخر التقديرات حوالي 20 ألف مسجد، كان الشعور بالاستهجان والاستنكار لدى العرب والمسلمين في أوروبا، وارتفعت نسبة الكراهية للغرب في نفوسهم .

4. قضايا سياسية معاصرة

وسبب آخر من أسباب العداء لأوروبا، ويزيد من الكراهية لها، يتمثل في الإدراك العربي والإسلامي الذي ينبني على أن الدول الأوروبية تنظر بلا مبالاة لمعاناة العرب والمسلمين ومآسيهم في فلسطين والشيشان وتيمور الشرقية والبوسنة والهرسك وكشمير وأفغانستان والعراق... وغيرها من المناطق، ليس هذا فحسب، بل إن العرب والمسلمين يرون دعماً أوروبياً واضحاً للكيانات المعادية للإسلام والمسلمين، على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري... وحتى المعنوي، وسيتناول الباحث نموذجاً يظهر بجلاء الانحياز الأوروبي لأعداء العرب والمسلمين، ويتمثل هذا النموذج في دولة إسرائيل، والدور الأوروبي في نشأتها ودعمها على حساب العرب والمسلمين.

إن دعم الدول الأوروبية لإسرائيل له جذور تعود إلى عهد "نابليون بونابرت"، الذي أعلن – وهو في طريقه من مرسيليا إلى الإسكندرية – أنه سيجند عشرين ألفاً من أبناء الأقليات لتوظيفهم – كشركاء وعملاء – في إقامة إمبراطوريته الاستعمارية، ومن هؤلاء "اليهود"، حيث إن "بونابرت" أصدر نداءً أثناء حصاره لمدينة عكا سنة 1799 إلى يهود العالم طالباً منهم مساعدته في مشروعه الاستعماري ضد العرب والمسلمين، مقابل تمكينه لهم من استعمار فلسطين، فلما انهزمت فرنسا وتراجعت عن قيادة المشروع الاستعماري الغربي، وحلت محلها إنجلترا، سعت هذه

---

[1] فتحي، أحمد، إلقاء خنازير على مسجد بلندن، (2005)، www. Islamonline.net 2007/12/15

إلى زرع كيان يهودي يقطع أوصال أرض الأمة العربية، ويمثل قاعدة غربية، وأداة استعمارية تحول بين العرب والمسلمين وبين النهوض، وفي سنة 1840 طلب وزير الخارجية الإنجليزي "بالمرستون" من سفيره في الأستانة أن يضغط على السلطان العثماني كي يسمح بهجرة اليهود إلى فلسطين[1].

وقد خاطب "ثيودور هرتزل" القوى الأوروبية، قائلا: "إذا كانت فلسطين الإقليم المختار لليهود، فسنشكل هناك سوراً في وجه آسيا، والحارس المتقدم للحضارة ضد البربرية، وسنبقى كدولة محايدة، في علاقات دائمة مع كل أوروبا التي يجب أن تضمن وجودها"[2].

واستطاع اليهود الحصول على وعد "بلفور"، الذي ظهر من خلاله بوضوح الدعم البريطاني لليهود على حساب العرب والمسلمين، وكان الإعلان في 1917/11/2 على شكل كتاب وجهه اللورد "بلفور"، سكرتير دولة في وزارة الخارجية، إلى اللورد "روتشيلد" ممثل الاتحاد الصهيوني الإنجليزي[3].

واستمر الدعم الأوروبي لليهود حتى أعلنوا قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين في 1948/5/15، ولم تتأخر الدول الأوروبية في الاعتراف بها، وكيف تتوانى في ذلك وإسرائيل كما يقول "محمود عباس": "إن إسرائيل مشروع استعماري غربي أساساً، وركيزة غربية"[4].

وإذا كانت بريطانيا أعطت اليهود وعد بلفور، فإن فرنسا قد ضمنت الوجود الإسرائيلي منذ مساهمتها في الإعلان الثلاثي عام 1951 مع بريطانيا والولايات المتحدة، والذي تكفل بضمان حدود الدولة الصهيونية[5]. ولم تتردد كذلك في مساعدتها في بناء ترسانتها العسكرية، وحتى الذرية

---

[1] عمارة، محمد، الإسلام والتحديات المعاصرة، القاهرة: مكتبة الشروق، (2005)، ص 335.

[2] خضر، بشارة، أوروبا وفلسطين من الحروب الصليبية حتى اليوم، (القاضي، منصور (مترجم))، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، (2003)، ص117. عنوان الكتاب بالفرنسية: L'Europe et la Palestine Des crousades a' noo jours (Pars,L' Harmattan 1999)

[3] المصدر السابق، ص 143.

[4] الأزعر، محمد خالد، الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية، عمان: دار الجليل، ط1، (1991)، ص88.

[5] الشلبي، جمال، العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة، عمان: مطبعة الجامعة الأردنية، ط 1، (2000)، ص40.

منذ الخمسينيات من هذا القرن [1]، وقد قالت فرنسا في الجمعية العامة للأمم المتحدة (لا) لحقوق الشعب الفلسطيني حوالي 299 مرة من سنة 1967 –1997[2].

ورغم بعض المواقف الفرنسية المؤازرة للمواقف العربية، فإن وقوفها إلى جانب إسرائيل والعمل على حفظ أمنها واستقرارها، أمر لا تتنازل عنه، وهذا ما صرّح به آخر رئيس للجمهورية الفرنسية . ساركوزي . للمؤسسات اليهودية في فرنسا (كريف) يوم 2008/2/13، وقال فيه، "إن العام 2008 يشهد الذكرى الستين لقيام دولة إسرائيل، إنه حدث يجب أن نشدد على أهميته، وأنا صديق لإسرائيل، وإن فرنسا لن تساوم على أمن إسرائيل"[3].

أما على المستوى التجاري، فإن التجارة الإسرائيلية مستمرة إلى أوروبا، وتتزايد وتحصل على أموال الدعم والقروض والتبادل التقني، وتتنافس البنوك الأوروبية مع الولايات المتحدة على ضمان مشاريع الخصخصة في إسرائيل، وتوصلت إسرائيل والاتحاد الأوروبي في تموز 1995 إلى اتفاق اقتصادي كبير يعطي المنتجات الزراعية، والتقنية الإسرائيلية حرية أكبر في دخول السوق الأوروبية، وما زالت اسرائيل تحظى بهذا الامتياز[4].

ولو سار الباحث مع الدول الأوروبية، كل دولة على حدة، لتبين بوضوح أن هذه الدول كلها تدعم دولة إسرائيل، لذلك، لا غرابة من وجود كراهية تحملها صدور العرب والمسلمين تجاه الدول الأوروبية، وكما قال أحد المفكرين العرب . سيار الجميل .: " ولا نعجب إذا كانت أغلب الأجيال العربية الجديدة تربت على كراهية الغرب وسياساته، التي أخلت فعلاً بالمصالح الوطنية والقومية العربية في القرن العشرين، وكانت وراء تأسيس الكيان الصهيوني في فلسطين"[5].

5. تشويه صورة الإسلام والمسلمين والعرب:

---

[1] محمود، علي حسن، فرنسا والصراع العربي الإسرائيلي، الإمارات، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ط 1، (2002)، ص23.

[2] النمورة، محمود طلب خليل، الغرب والإسلام وفلسطين، الخليل، مطبعة بابل الفنية، ط1، (2006)، ص443.

[3] ساركوزي: أنا صديق لإسرائيل، جريدة القدس (فلسطين) 2008/2/15، العدد 13826، ص 2.

[4] أبو لغد، إبراهيم، وآخرون، العرب ومواجهة إسرائيل، احتمالات المستقبل، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ج1، (2000)، ص 1156.

[5] الجميل، سيار، العولمة والمستقبل، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، (2000)، ص285.

لقد دأبت مجموعة من المفكرين والأدباء والإعلاميين وبعض الساسة في أوروبا، على تشويه صورة الإسلام والعرب والمسلمين بشتى الطرق، ووظفوا لهذا الأمر كل وسائل الإعلام، ورغم أن حجم هؤلاء قليل مقارنة مع الذين يحترمونه، فإن ذلك له تأثيره السلبي على العملية الاندماجية؛ لأنهم بذلك يستفزون مشاعر العرب والمسلمين، ويعمقون في نفوسهم روح الكراهية، خاصة أن التشويه يمس أقدس المقدسات لدى المسلمين، وهما الرسول عليه السلام والقرآن الكريم فمن أقوالهم، ما ورد على لسان النائب في البرلمان الهولندي "غيرت فلدرز": "على العرب والمسلمين تمزيق نصف القرآن إذا كانوا يرغبون حقاً في البقاء في هولندا" [1]. ويعتزم هذا النائب عرض فيلم بعنوان "فتنة" يهاجم فيه القرآن الكريم*، ويقول عنه إنه كتاب فاشستي[2].

وأما الروائي الفرنسي "ويليبيك" فقد قال: "إن أكثر الأديان غباءً هو الإسلام، وفي كل مرة أتلقى فيها خبر مقتل "إرهابي" فلسطيني. أو طفل فلسطيني، أو امرأة حامل فلسطينية، بالرصاص في غزة، كان يعتريني شعور بالغبطة الكبيرة"[3].

أما محاولات تشويه صورة الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد كثرت في مقالات ورسومات وكتب نشرت في أوروبا، ولعل أبرز حدث أثار المشاعر، وترك اشمئزازاً في نفوس العرب والمسلمين، هو تعمد نشر صور كاريكاتيرية تسيء للنبي محمد عليه السلام، تلك الرسوم التي بدأتها صحيفة "يولانس بوستن" الدنماركية سنة 2005، وأثارت هذه الرسوم مشاعر الغضب لدى المسلمين في أنحاء العالم كافة، فانطلقت التظاهرات وعقدت المؤتمرات احتجاجاً على ذلك[4].

أما تشويه صورة العرب، فقد زخرت بها مؤلفات أوروبية كثيرة، عدا الموسوعات العلمية الغربية ، وكذلك الكتب المدرسية، فضلاً عن الإعلام المقروء والمسموع والمرئي، فمن الأوصاف التي نعت بها العرب، وتجمع عليها كل المصادر السابقة، تلك الأوصاف التي جمعتها باحثة

---

[1] الدجبي، نصر الدين، إسلاموفوبيا هولندا" إلى أين؟ 2007/12/10 www.islamonline.net

* لقد تم عرض الفيلم في 28 آذار 2008، ولم تحدث، لدى المسلمين، ضجة كبيرة عليه، كما حدث مع الرسوم المسيئة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم–الباحث–.

[2] "فتنة" عنوان الفيلم المسيء للإسلام في هولندا، جريدة القدس (فلسطين) 2008/2/11، العدد 13822، ص15.

(3) النمورة، محمود طلب، خليل، مصد سابق، (2006)، ص 220.

[4] وزير الداخلية الألماني يدعو إلى إعادة نشر الصور المسيئة للرسول 2008/2/27 .www.aljazeera.net

لبنانية[1]، من خلال الكتب المدرسية الفرنسية، وذكرت منها: أن العرب: بربر، لصوص نهابون، متأخرون، بدائيون، كسولون، ضعيفو الإنتاج، ويتصفون بالدونية واللافاعلية، وحتى القصص الخيالية في كتب القراءة الابتدائية والثانوية، لا بد من أن تنتهي بفشل الشخصيات العربية (الموت، الهرب، الاستسلام، الاعتزال، الخنوع)[2].

إن حملات التشويه هذه عند الأوروبيين لها تأثيرها على الروح الاندماجية التي هي مطمح العقلاء من جميع الفئات؛ لذا فإن مهمة الحكماء والفلاسفة كبيرة للتقريب بين الشعوب، وفي بثّ روح التعايش الحقيقي بين المجتمعات والحضارات.

2.3.1 النظرة الاستعلائية عند الأوروبيين:

إن أوروبا تنظر إلى نفسها باستعلاء، وتنتصر لنفسها بشكل مطلق، وهذه الفوقية أصبحت تسمى" مركزية أوروبا"، بحيث ترى أوروبا أنها صاحبة الحداثة والتقدم والإنسانية والتفوق في كل علم، وما عداها من ثقافات إنما هو تبع لمركزيتها، هذا التحيز لمركزية أوروبا شكل حاجزاً إضافياً أمام التعايش الحقيقي بين أوروبا وغيرها من البلدان وخاصة البلدان العربية والإسلامية؛ لأن هذا التحيز يجعل الآخر ينظر بازدراء إلى المتحيّز ضدّهم، ويشكل عنده نفوراً نفسياً للتقارب معهم.

ونادى بمركزية أوروبا ساسة ومفكرون، أمثال "ديفيد لاندر" الذي يعتبر ذلك" فكرة طيبة سليمة سياسيًا"[3]، وكذلك رئيس وزراء إيطاليا "سيلفيو بيرلسكوني" الذي أعلن في 26/أيلول/2001، أن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الإسلامية....ولا بد من انتصار الحضارة الغربية على الإسلام، الذي يجب أن يهزم؛ لأنه لا يعرف الحرية ولا التعددية ولا حقوق الإنسان.. وأن الغرب سيواصل تعميم حضارته، وفرض نفسه على الشعوب، وأنه قد نجح . حتى الآن . في تعميم حضارته وفرض نفسه على العالم الشيوعي وقسم من العالم الإسلامي[4]!!

---

[1] وهي مارلين نصر.

[2] حبيب، الطاهر (محرر)، صورة الآخر العربي ناظراً وناظراً إليه، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، ص463. مشارقة، تيسير، مصدر سابق، (1999)، ص54.

[3] هوبسون، جون إم. الجذور الشرقية للحضارة الغربية، (قابيل، منال، مترجم). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، (2006)، ص32.

[4] عمارة، محمد، الغرب والإسلام، مصدر سابق، (2004)، ص86.

واستعان الغرب . في سبيل تأكيد "نزعته المركزية" . بنظريات علمية، مثل "الداروني‍ة" التي ترى أن الصراع هو قانون العلاقة بين الأحياء، وأن البقاء للأقوى؛ لأن الأقوى هو الأصلح، فانطلق الغرب الاستعماري من هذا لتبرير إلغائه لثقافات الأمم والشعوب وحضاراتها التي ابتليت باستعمارها لبلادها...بحجة أنها الضعيفة، وأنه الأقوى... وفي سبيل تكريس هذا الزيف الغربي، بلور الغرب علماً سماه "الإنثروبولوجيا الاجتماعية "[1]، والخاص بدراسة المجتمعات البدائية، التي هي في عرف الغرب . المجتمعات غير الغربية..فهي بدائية..وهو المتقدم...وهي الضعيفة..وهو الأقوى..فلها الإبادة، وله البقاء...[2].

إن هذه النزعة المركزية لعبت دوراً سلبياً في بث الروح العدائية ضد الآخر، وبنت في نفوس بعض الغربيين فكراً يرفض وجود الآخر. وحول ذلك تقول المستشرقة الألمانية: "زيجريد هونكه" في كتابها "شمس الله تسطع على الغرب": "إن أوروبا مدينة للعرب وللحضارة العربية، وإن الدَيْن الذي في عنق أوروبا وسائر القارات للعرب كبير جداً، وكان يتعين على أوروبا أن تعترف بهذا الفضل منذ زمن بعيد، لكن التعصب واختلاف العقيدة أعميا عيوننا وترى عليها غشاوة، حتى إننا لنقرأ ثمانية وتسعين كتاباً من مائة، فلا نجد فيها إشارة إلى فضل العرب وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة...وفي مراكز العلم الأوروبية لم يكن هناك عالم واحد إلا ومد يده إلى الكنوز العربية يغترف منها، وينهل كما ينهل الظامئ من الماء العذب...ولم يكن هناك ثمة كتاب واحد من بين الكتب التي ظهرت في أوروبا في ذلك الوقت، إلا وارتوت صفحاته من نبع الحضارة العربية"[3].

3.3.1 القصور العربي والإسلامي تجاه الغرب

إن من العوائق أمام التعايش الايجابي للعرب والمسلمين مع الغرب الأوروبي، القصور الحادث من الجانب العربي والإسلامي تجاهه ، قصور في عدة جوانب، أهمها الجانبان الإعلامي والسلوكي، أما الجانب السلوكي، فيرى البعض أن تخاذل العرب والمسلمين وضعفهم بالإضافة إلى المسلكيات السلبية التي يقوم بها أبناء الجاليات العربية والإسلامية في أوروبا شكل ذلك عائقاً كبيراً

---

[1] أحمد، عبد الفتاح، الغرب الوجه الآخر، القاهرة: دار الكاتب للطباعة والنشر، ط1، (2002)، ص33.

[2] عمارة، محمد، الغرب والإسلام، مصدر سابق، (2004)، ص62.

[3] شواهين، خير، دور العلماء العرب في نهضة الحضارة الغربية، عمان: دار المسيرة، ط1، (2007)، ص27.

أمام التعايش الإيجابي حيث إن كثيرًا منهم تعاملوا بأخلاقيات غير حضارية، وأبرزها استخدام العنف في حل قضاياهم، الذي تطور في بعض صوره إلى ما سمي "الإرهاب" في نظر الغربيين، وقد تداركت المؤسسات الإسلامية في أوروبا ذلك، فتمكنت من خلال فعالياتها المتعددة، رسم صورة حضارية للشخصية العربية والإسلامية، ورفعت من نسبة الاحترام لهذه الشخصية في نفوس الغربيين، وهي تحتاج إلى جهود إضافية؛ لأن بعض المسلكيات السلبية لا تزال قائمة بين أبناء الجالية العربية والإسلامية في أوروبا.

أما الجانب الإعلامي، فهناك قصور واضح في هذا المجال، والوسائل الإعلامية العربية والإسلامية في أوروبا . على تعددها وانتشارها . إلا أنها دون المستوى المطلوب، رغم الأهمية التي تتبوأها وسائل الاعلام في التأثير على الأفراد والمجتمعات والدول، حتى بات مصطلح (الاستعمار الاعلامي) يأخذ مداه الواسع في أدبيات الاعلام الدولي، ما حدا الرئيس الفنلندي السابق "أورهو كيكونين" في عام 1973 على القول: إن الساحة الدولية تعاني من حالة يمكن أن نصفها باستعمار الاتصال [1].أمام هذه الأهمية للإعلام ، فإنه يجب على أهل الاختصاص، من العرب والمسلمين، التفكير جدياً بوضع خطط عملية للارتقاء بالإعلام العربي والإسلامي، خاصة في خطابه للمتلقي الغربي.

إن تدارك القصور الحاصل تجاه الأوروبيين عند العرب والمسلمين في الجانبين الإعلامي والسلوكي، وجوانب أخرى، جوانب عديدة تجاه الغرب، يساهم بشكل فعال في الوصول إلى تغيير الصورة السلبية عنهم في الذهن الاوروبيّ، ولذلك تحركت فئات عربية وإسلامية عديدة في هذا الإطار، كالمؤسسات العربية والإسلامية المنتشرة في أوروبا، وهو مدار المبحث الآتي.

4.1 دور المؤسسات العربية والإسلامية الأوروبية في تحقيق التعايش

لقد كانت المساجد في أوروبا تلعب دوراً توجيهياً وتعليمياً مهماً للمسلمين مع بدايات القرن الماضي وأواسطه، ثم بدأ يتقلص دور العديد منها بعد ظهور مراكز ومؤسسات ومنظمات إسلامية في عدة دول أوروبية على مستوى محلي، حيث استحوذت على غالبية العمل الإسلامي، ثم توسعت هذه المؤسسات والجمعيات الإسلامية، وانتشرت في معظم دول أوروبا، وتنوعت، فمن

---

[1] البياتي، ياس خضير، الاتصال الدولي والعربي، عمان، رام الله: دار الشروق، ط1، (2006)، ص76.

المراكز والمنظمات الإسلامية والعربية، إلى المؤسسات التعليمية والاجتماعية والمهنية (التخصصية)، إلى الاتحادات الطلابية والمؤسسات الشبابية والنسوية، ومن أهم هذه المؤسسات والجمعيات والمنظمات العربية والإسلامية على الساحة الأوروبية:

1. المؤسسات ذات البعد الأوروبي، مثل: اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا.
2. المؤسسات ذات البعد الوطني أو القطري، مثل: المركز الثقافي الإسلامي في مدريد، واتحاد الجمعيات الإسلامية في سويسرا، والمؤسسات النسوية، والإتحادات الطلابية.
3. المؤسسات العربية والقومية: وهي ذات نشاطات محدودة، ومن ذلك النادي العربي في بريطانيا[1].

إن هذه المؤسسات والجمعيات والمراكز العربية والإسلامية التي تعمل على الساحة الأوروبية، من أبرز مهامها التشجيع والعمل على تحقيق الاندماج الإيجابي للعرب والمسلمين في المجتمعات الأوروبية اندماجاً يجمع بين الحفاظ على الشخصية العربية /الإسلامية من جانب، وممارسة المواطنة الصالحة من جانب آخر، خدمة للصالح العام، وتحقيقاً لمبادئ الأمن والانسجام والازدهار، والمساهمة الفاعلة في الحياة الثقافية والفكرية والسياسية في المجتمع الأوروبي، ومحاربة التمييز العنصري، وإزالة ما علق بالإسلام والعرب والمسلمين من جانب أبناء المجتمعات الأوروبية ومؤسساتها من تشويه، وتحقيق المعادلة القائلة: استقامة بلا انغلاق، واندماج بلا ذوبان.

ومن أهم أهدافها، كما يقول رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا "أحمد الراوي"، العمل على تحقيق حضور المسلمين في المجتمع الأوروبي، وتمثيلهم في المؤسسات الأوروبية، وتوسيع الحوار الثقافي والحضاري بين المسلمين وأصحاب الأديان والعقائد والأفكار الآخرى، والعمل على التفاعل معها، وصولاً إلى توطيد السلم الاجتماعي في المجتمع الأوروبي، ومد جسور التعارف والتعاون بين المؤسسات والهيئات العربية والإسلامية على الصعيد الأوروبي الرسمي والشعبي، وعلى المستوى العالمي في إطار المصالح المشتركة. ويتابع "الراوي" إن من أهم السياسات التي تقوم بها المؤسسات والجمعيات الإسلامية في أوروبا: الانفتاح على المجتمع والبيئة، وتكوين علاقات تعاون مع مختلف الجهات التي تخدم المسلمين، ودعم الحوار بين مختلف الأديان

---

[1] سعد الدين، محمد منير وآخرون، مصدر سابق، ص 31 – 38.

والأفكار في المجتمع الأوروبي، خاصة الحوار الإسلامي المسيحي، وتقديم القيام بواجبات المواطنة في المجتمع على المطالبة بالحقوق[1].

وقد استطاعت هذه المؤسسات والمراكز والجمعيات الإسلامية في أوروبا تحقيق تقارب كبير مع الآخر الأوروبي، وقطعت شوطًا كبيراً في تحسين صورة الإنسان العربي والمسلم في الذهن الأوروبيّ، كما أنها نجحت في تذليل مجموعة من العقبات، ومواجهة العديد من التحديات والمشكلات التي اعترضت طريق العرب والمسلمين في أوروبا، مثل: التحديات المتعلقة بممارسة الشعائر الدينية، والمتعلقة بقضايا الأحوال الشخصية، وتحديات أخرى متعلقة بالتعليم وبالأمور الاجتماعية، وكذلك المشكلات المتعلقة بالمسائل المالية والاقتصادية، عدا التحديات القانونية الدستورية، والمشكلات السياسية والقضايا العامة، بالإضافة إلى التحديات والمشكلات التي مصدرها الجاليات الإسلامية في أوروبا، حيث إن أغلب أفرادها لا يزالون يفكرون بعقلية بلدهم الأم، وهم يريدون التعامل مع المجتمع الأوروبي بهذه العقلية، وكثير منهم غير مثقفين، فضلاً عن خلافاتهم العرقية والثقافية والمذهبية[2].

5.1 دعوات أوروبية للتعايش:

وعند الآخر الأوروبي، نجد دعوات كثيرة تدعو للتعايش الإيجابي مع العرب والمسلمين، فموجة العداء للإسلام والعرب والمسلمين لا يسير في ركابها كل الأوروبيين، فهناك عناوين عديدة من فلاسفة ومفكرين أوروبيين نأوا بأنفسهم عن ذلك، إضافةً إلى مؤسسات أوروبية رسمية وغير رسمية، أنصفت الإسلام، ونظرت إلى العرب والمسلمين باعتدال، وبنظرة إيجابية إنسانية.

وحتى وسائل الإعلام الأوروبية، لم تنجرّ كلها لمعاداة العرب والمسلمين، أو للإسلام، فهذه الصحف ووسائل الإعلام النرويجية رفضت نشر الرسوم المسيئة مجدداً، على غرار ما أقدمت

---

[1] الراوي، أحمد، في المنطلقات والأهداف والسياسات التي تشكل إطاراً للمؤسسات الإسلامية في أوروبا، 2008/3/8، www.islamonline.net.

[2] انظر: ضناوي، محمد علي، الأقليات الإسلامية في العالم، بيروت: مؤسسة الريان،ط 1، (1992)، ص 41 – 129، وكسبة، مصطفى دسوقي، (1997) المسلمون في أوروبا التاريخ والأقليات (هدية مجلة الأزهر) عدد ذي الحجة 1417هـ، ص 83 – 103، سعد الدين، محمد منير وآخرون، (2003)، الجاليات الإسلامية في أوروبا الغربية، ط1، (1992)، ص 8 – 10.

عليه الصحف الدنماركية، وقد أعلن رئيس تحرير صحيفة الحزب الحاكم "داغ أفيس" أن نشر الرسوم المسيئة لمحمد لا يعتبر طريقة جيدة للتعبير عن حرية الرأي، مبيناً أن في ذلك استفزازاً كبيراً لا مبرر له لمشاعر المسلمين في النرويج والعالم، وخلق بؤر توتر جديدة لا داعي لها[1].

وهناك ومضات ومواقف أوروبية عديدة أظهرها قادة ومفكرون وعلماء دين، يتبين من خلالها دعوتهم الصريحة للتسامح والتعايش والتعاون والحوار، ونبذهم لمظاهر العنصرية والانعزال، ومن هذه المواقف، كلمة الرئيس الألماني بمناسبة عيد الفطر، حيث قال: "نحن بحاجة إلى الالتزام والتدبر، ويحدوني الأمل في أن يتعامل الناس في كل أنحاء البلاد مع بعضهم البعض باحترام وتسامح، ولا يتم استبعاد أي جماعة من الحياة العامة أو أن تنأى جماعة بنفسها عن المجتمع" وأضاف "الطريقة الوحيدة لنا لصياغة مجتمعنا لصالح الجميع، هو أن نعمل معاً"[2].

أما وزيرة الخارجية النمساوية "أرزولا بلاسنيك" فقد قالت: "إن الإسلام بات حقيقة واقعة في أوروبا، ويتعين إشراك المسلمين الأوروبيين". وأضافت في كلمة افتتحت بها "مؤتمر الإسلام في أوروبا" يوم 2007/3/23 قائلة: "نحن نرحب بوجود عدد كبير من المسلمين الأوروبيين ممّن أكدوا تمسكهم بهويتهم الدينية، وانتمائهم للمجتمع الأوروبي الذي يعيشون فيه، وأن جميع المواطنين في أوروبا – بمن فيهم المسلمون – متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات، وليس هناك تهميش لأية فئة". وقالت أيضاً في ذلك المؤتمر الذي نظمته وزارة الخارجية النمساوية بالتعاون مع الأكاديمية الدبلوماسية في فينا: "إن الحوار يكتسب مصداقية أكبر عندما تشارك فيه جميع الأطراف"[3].

أما على المستوى الأدبي، فقد قامت كاتبة إيطالية . وهي "ريتا دي ميليو" . بتأليف كتاب عنوانه "الإسلام ذلك المجهول في الغرب" وقالت في مقدمته: "شرف لي أن أتحدث عن الإسلام، لا

---

[1] صحف النرويج ترفض الإساءة للرسول عليه السلام، 2008/2/25. www.islamtoday.net.

[2] نور الدين، أسامة، مسلمو ألمانيا، بين مطرقة الاندماج والتعايش وسندان الإرهاب، 2008/2/5 www.raiat_altuheed.net

[3] المحمدي، عمر بن سالم، النمسا تدعو لإشراك المسلمين بشكل فعال في نموذج الحياة الأوروبي 2007/3/26. www.26sep.net

أبغي من ذلك جزاءً ولا شكوراً"، وذكرت في كتابها أن الإسلام تعرض إلى ظلم كبير من جانب من لم يعرفه من الغرب، وقدم إليه بصورة مشوهة، أحياناً عمداً، وأحياناً عن جهل وضيق أفق"[1].

ومن المواقف المهمة في مجال التعايش على الأرض الأوروبية، مؤتمرات حوار الحضارات، ومنها مؤتمر قرطبة الذي عقد في 2007/10/9، الذي قادته أسبانيا، ورعته منظمة الأمن والتعاون في أوروبا*، وفي هذا المؤتمر رفض المجتمعون القوالب السلبية، التي تسبغها أجهزة الإعلام على العرب والمسلمين، كما رفضوا الربط بين الإرهاب والإسلام، وفي مداخلته أمام الاجتماع اعتبر "أنطون تالمان" نائب كاتب الدولة للشؤون الخارجية السويسرية: "أن التعايش بين أشخاص من ديانات مختلفة يمثل تحديًا يومياً"، وحذّر في كلمته من خطر تفاقم ظاهرة عدم التسامح تجاه المسلمين في أوروبا[2].

وأما في سويسرا، فقد وقف الحزب الديمقراطي المسيحي موقفا مشرفاً إزاء التعايش، ودفع التمييز اتجاه الآخر، حيث قرر ترشيح فتاة مسلمة محجبة للانتخابات البلدية في إقليم نيسان [3]، وكذلك كان موقف الحزب الموحد، أو الخضر الدنماركي، فقد قام بترشيح فتاة مسلمة من أصل فلسطيني لدخول البرلمان الدنماركي هي " أسماء عبد الحميد"، وقد عملت كأول مذيعة مسلمة محجبة في التلفزيون الدنماركي، وقدمت سلسلة حلقات فكرية وثقافية واجتماعية، وقالت أسماء لديّ رؤية متكاملة تنطلق من قضايا داخلية بالأساس، وأهمهما مسألة التأمينات الاجتماعية، وقضايا الاندماج والتعليم، فضلاً عن القضايا الخارجية، وعلى رأسها الموقف من العراق، وما يجري في فلسطين وأفغانستان"[4].

---

[1] كاتبة إيطالية: شرف لي أن أتحدث عن الإسلام، جريدة القدس(فلسطين)، العدد 13803، 2008/1/22، ص23.

* تضم هذه المنظمة، المعنية بالأمن والاستقرار في أوروبا، 56 دولة في صفوفها، وتهتم بالأبعاد السياسية والعسكرية والاقتصادية – البيئية والإنسانية في المجال الأمني.

[2] السيد، رضوان، علاقات الغرب بالإسلام هل هي تطورات حقيقية؟ جريدة القدس(فلسطين)، العدد 13709، 2007/10/17، ص 21.

[3] سويسرا: حزب مسيحي يرشح محجبة للانتخابات، مجلة المنبر، العدد 41، 2004/7، ص36.

[4] أول مسلمة تعمل بالتلفزيون الدنماركي وتستعد لعضوية البرلمان، فلسطين، 2007/5/30، العدد37، ص10.

وفي كتابه "الإسلام وأوروبا تعايش أم مجابهة" يضع المفكر السويدي "إنجمار كارلسون" مجموعة توصيات تساهم في عملية الاندماج الحقيقي على الأرض الأوروبية، ومن ضمن توصياته: أنه لا بد من الاعتراف بالإسلام، والنظر إليه على أنه دين "محلي"، فالإسلام هو بالفعل في يومنا هذا جزء لا يتجزأ من أوروبا، وهو دين أوروبي، وكما تحدثنا عن مسيحية الشرق سوف نتحدث أيضاً عن إسلام الغرب. وكي يشعر المهاجرون المسلمون بالانتماء فلا بد من الآتي:

- لا بد من التخلص من العامل الهدام على نحوٍ مشترك، فلا بد من التعريف بالإسلام بصورة أفضل في مدارسنا، ويتعين أيضاً على وسائل الإعلام أن تصحح تلك النظرة التي لا تزال تنقلها عن الإسلام بما هي عليه من جمود وتسطيح.
- إن مجتمعاتنا الأوروبية عليها أن تحمي كل من يرغب في الاندماج في المجتمع الأوروبي.
- لا بد أن تتاح الفرصة للمهاجرين لتكوين آرائهم ورغباتهم والتعبير عنها.

ويضيف: " إن أوروبا المستقبل التي تتيح وجوداً إسلامياً نشطاً، وهوية أوروبية منفتحة، لا بد أن تقوم على النقد الذاتي والحوار المتواصل والمنفتح، وعلى احترام الاختلاف. ولا بد أن ندرك أن المسلمين من الممكن أن يسهموا بطريقة إيجابية في انتشار أوروبا جديدة، ولا بد من النظر إلى وجودهم لا على أنه مشكلة، بل كأحد منابع الإثراء. والمهاجرون المسلمون من جانبهم، لا بد أن ينظروا إلى أنفسهم باعتبارهم مواطنين بكل معنى الكلمة، وأن يشاركوا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية والسياسية في الدول التي يعيشون فيها"[1].

فلا بد من السير نحو التعايش، والوصول إلى اندماج حقيقي بين العرب والمسلمين من جهة، والأوروبيين من الجهة الأخرى، مع الاحتفاظ بالخصوصيات العقائدية، فهذه دعوة السماء (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)[2]، وهي دعوة العقلاء من البشر، وفيها تكون السعادة، ومن خلالها يعم الأمن والاستقرار على المستوى الفردي والجماعي.

---

[1] كارلسون، انجمار، مصدر سابق، (2003)، ص 176 – 180.

[2] سورة الحجرات: آية 13.

الفصل الثاني

دراسة حالة وضع العرب والمسلمين في بريطانيا

1.2 وصف عام لبريطانيا

2.2 تمهيد

1.2.2 تاريخ الهجرة العربية والإسلامية إلى بريطانيا

2.2.2 البنية الثقافية لمسلمي بريطانيا

3.2.2 أماكن وجود المسلمين في بريطانيا وتعدادهم

3.2 علاقة الجالية العربية والإسلامية مع المؤسسة البريطانية

1.3.2 العلاقة مع المؤسسة التربوية والتعليمية

2.3.2 العلاقة مع المؤسسة الاقتصادية

3.3.2 العلاقة مع المؤسسة السياسية

4.3.2 عرب ومسلمو بريطانيا والحقوق المدنية

الفصل الثاني

دراسة حالة وضع العرب والمسلمين في بريطانيا

1.2 وصف عام لبريطانيا

إن الاسم الرسمي لبريطانيا هو المملكة المتحدة، وتضم بريطانيا العظمى (وتضم انجلترا وسكوتلندا وويلز)، وإيرلندا الشمالية، وعرفت بهذا الاسم منذ عام 1707، وتقع في الشمال الغربي من أوروبا، ومن أهم المدن فيها لندن (العاصمة)، بيرمنجهام، ليدز، جلاسجو، ليفربول، برادفورد، مانشستر، أدينبرة. وتبلغ مساحتها حوالي 244100 كم^2، وعدد سكانها 59113439 نسمة، أما الدين، فيوجد في المملكة المتحدة بروتستنت أنجليكانيون، كاثوليك رومانيون، مذاهب مسيحية أخرى، مسلمون، يهود. ونظام الحكم فيها ملكي دستوري (ودستورها غير مكتوب)، تحكمها الملكة والبرلمان الذي يتكون من مجلسين، مجلس اللوردات، ويضم أكثر من 1100 عضو، ومجلس العموم ويتكون من 659 عضواً، يتم اختيارهم بالانتخاب العام، أما السلطة التنفيذية، فيمارسها مجلس الوزراء.

والملكية هي بدون شك العنصر الأقدم في الهيئات السياسية البريطانية وقد اقتنعت بها بريطانيا بعد إن جردتها تدريجياً من كل سلطاتها. والرئيس الأعلى للدولة في بريطانيا هو الملك أو (الملكة) وملوك بريطانيا يتولون العرش وفقاً لقانون الوراثة، ويميز الإنجليزي بين الملك كشخص طبيعي، والتاج (The Crown) الذي يعتبر مؤسسة قانونية، تمتلك مجموعة من السلطات (Prevogatives). وأن عبارة الحاكم الأعلى تشير إلى (الملك) كفرد، وعبارة (التاج) إلى المملكة كنظام، وتعني السلطة التنفيذية العليا في الدولة[1].

وقد شاركت في الحربين العالميتين الأولى والثانية (1939 –1945)، ورغم الانتصارات التي أحرزتها، فإنها فقدت أعداداً هائلة من الأرواح، وأصيب اقتصادها بالاضطراب الشديد.

---

[1] الديلمي، حافظ علوان، النظم السياسية في أوروبا الغربية والولايات المتحدة، عمان: دار وائل، ط 1، (2001)، ص113.

وأما الأحزاب السياسية، فتوزعت بين اليسار واليمين والوسط، ومنها: حزب المحافظين، وحزب العمال، وهناك حزب الخضر الذي يدعو للحفاظ على البيئة[1].

2.2 تمهيد

تشير المصادر التاريخية إلى أن أول لقاءٍ بين المسلمين والبريطانيين كان في منتصف القرن السادس عشر، حيث كان في سنة 1553 تجار وبحارة إنجليز يبحرون في البحر المتوسط، فوقع بعضهم في أيدي المسلمين، ولم تعرف أعدادهم ولا أسماؤهم، ودخل بعضهم في الإسلام، ويعتبر "انتوني جنكنسن Anthony Jenkinson" أول بريطاني يدخل الإمبراطورية العثمانية في ذلك العام، ولم تتوقف بعد ذلك اللقاءات بين البريطانيين والمسلمين، وقد تميز بعضها بنواح تجارية [2]، وأخرى دبلوماسية، لكن معظم حالات الاحتكاك الأولية جرت على شكل مناوشات بحرية، حيث كان التفوق التكنولوجي الإسلامي في البحر يقود إلى إغراق وأسر أعداد كبيرة من السفن البريطانية، وما أزعج السلطات الملكية البريطانية آنذاك الأخبار التي كانت تصلهم تباعاً عن اعتناق أعداد كبيرة من الأسرى للإسلام معظمهم بمحض إرادتهم، ومنهم من تبوأ مناصب قيادية مثل "حسن آغا" الذي يحمل في الأصل اسم "سامسون رولي". وعندما أرسل الملك "تشارلز الثاني" الكابتن "هاميلتون" لافتداء بعض الأسرى البريطانيين في الجزائر، باءت مهمته بالفشل، حيث رفض الأسرى جميعهم العودة، وفضلوا البقاء بعد اعتناقهم الدين الإسلامي، فما كان من المبعوث البريطاني إلا أن كتب في تقريره يقول: "لقد تم إغراؤهم للتضحية بربهم من أجل حب النساء التركيات"[3].

وبعد فترة وجيزة من الصدامات، بدأت التجارة البريطانية تزدهر مع الإمبراطورية العثمانية، وأصبحت بريطانيا من بين جميع دول أوروبا تتمتع بأوسع تجارة مع الإمبراطورية الإسلامية في القرن السابع عشر، فكانت تصدر الأجواخ والأصواف والقصدير والرصاص، وتستورد الزبيب

---

[1] عتريس، محمد، معجم بلدان العالم، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ط 1، (2002) ص 147 –153. الكتاني، علي بن المنتصر، مصدر سابق، (2005)، ص 311 – 313.

[2] مطر، نبيل، مصدر سابق، ص 19 –21. (العنوان الأصلي للكتاب ISLAM IN BRITAIN (1685 – 1558))

[3] عناصر دولة: المسلمون في بريطانيا 2008/3/25 www.islamicnees.net.

والقطن والتوابل والمواد الكيماوية والحرير ومواد أخرى...، وكان بعض هذه الواردات مما ساعد على نشوء صناعات جديدة في ولتشير وجلوستر واسكس وسوفوك ومانشستر، ومع نهاية القرن السابع عشر كانت التجارة مع تركيا – على حد قول السير جون تشاردين Sir John chardin – تشكل ربع النشاط التجاري الإنجليزي فيما وراء البحار بأكمله[1]. ونتيجة لهذه اللقاءات، فقد ظهرت في إنجلترا كتبٌ عديدة تبين مدى تفاعل البريطانيين مع المسلمين كأعداء وحلفاء ومرتدين – أي الذين تحولوا إلى الإسلام–، ولأن أعداد الذين دخلوا في الإسلام كانت كبيرة – كما تقول المصادر البريطانية –، فقد تكرر التطرق إلى ذلك في كتابات البريطانيين الأدبية واللاهويته في عصر النهضة. وحاولوا تشويه صورة المسلمين في ثلاثة مجالات من كتاباتهم ونشاطهم، وهي الجدل اللاهوتي والمسرحية والحماسة الصليبية[2].

وحسب العديد من المصادر البريطانية، ومنها كتاب" الرحلة إلى طرابلس The voyage made to Tripolis (1583)"، فإن أول بريطاني دخل في دين الإسلام كان "جون نلسون John Nelson"[3]. وفي معظم الحالات لم يكن الإنجليز الذين اعتنقوا الإسلام عبيداً، وإنما تجارٌ أحرارٌ أو خدمٌ للملك، وقد حدا هذا الوضع بعض الساسة البريطانيين على التحذير من مغبة الانفتاح كثيراً على العرب والمسلمين، ومنهم السير "توماس شيرلي"، الذي حذّر من أن الحديث مع المسلمين يحدث فساداً كبيراً، وأن إقامة الإنجليزي في العالم الإسلامي تقربه من اعتناق الإسلام، وتبنّي أخلاق المسلمين، خاصة إذا طالت مُدة الإقامة....

وفي نهاية القرن التاسع عشر، عرف البريطانيون الإسلام بطريقة تختلف عما عرفوه في بدايات الاحتكاك، وذلك بدخول سفيرهم اللورد "ستانلي أوف الدرلي" الدين الإسلامي، حيث اعتنقه وهو سفير لبلاده في تركيا، وأطلق على نفسه اسم "عبد الرحمن"، وتبعه في اعتناق الإسلام السير "كويليام" أحد الشخصيات المهمة في ليفربول، وسمّى نفسه "عبد الله"، وحول قسماً من قصره إلى مسجد، وأصدر جريدتين إسلاميتين[4].

1.2.2 تاريخ الهجرة العربية والإسلامية إلى بريطانيا

---

[1] مطر، نبيل، مصدر سابق (2002)، ص 22 – 24.

[2] المصدر السابق، ص31.

[3] المصدر السابق، ص53، وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث، لندن، المسلمون في بريطانيا، ص6.

[4] عناصر دولة: المسلمون في بريطانيا، مصدر سابق.

إن الاستعمار البريطاني للمناطق العربية والإسلامية في أوائل القرن التاسع عشر جعل أعداداً كبيرة من العرب والمسلمين تحت الحكم البريطاني، ومن هنا كانت بداية الهجرات الجماعية، وأول المهاجرين كان اليمنيون عام 1870، حيث كانت مدينة عدن من أول المناطق العربية التي تستعمرها بريطانيا، وقد استقر بعض هؤلاء في كارديف أحد موانئ بريطانيا الكبيرة، ولا يزال حفدة هؤلاء المسلمين الأوائل هناك إلى يومنا هذا. وقد اتسمت هجرة اليمنيين إلى بريطانيا بالعمل في صناعة السفن[1].

وكذلك شكل القبارصة الأتراك مجموعة متميزة من ذوي الخلفية الإسلامية الذين هاجروا إلى بريطانيا، وازدادت هجرتهم من أواسط الخمسينيات[2].

وازدادت هجرة العرب والمسلمين إلى بريطانيا من مناطق عديدة مثل ماليزيا والمغرب والهند...، بعد الحرب العالمية الثانية (1949)، واستمرت وعاشت بطرق مختلفة في بريطانيا، وفي سنوات ما بعد الحرب مباشرة نتج عن البنية الاقتصادية المتغيرة، والتوسع الصناعي الحاجة إلى العمالة الرخيصة، خصوصاً في الوظائف المرغوب فيها، وقد وفرت المستعمرات السابقة مصدراً جاهزاً لمثل هذه العمالة، حيث منحت بريطانيا رعايا تلك المناطق حقوقاً خاصة تتعلق بحصولهم على الجنسية بصورة طبيعية، ومنحتهم تسهيلات في الإقامة والعمل في بريطانيا، وقد شجعت هذه العوامل شعوب شبه القارة الهندية للهجرة، فجاءت مجموعات كبيرة بنية العمل وجمع المال لدعم عائلاتهم، ولكي يستثمروا في بلادهم الأصلية، لكن هذه المجموعات أخذت تغير استراتيجيتها من الإقامة المؤقتة إلى الإقامة الدائمة، مع العمل على استحضار عائلاتهم[3].

ولم تكن هناك عوائق قانونية أو قيود معينة أمام ذلك قبل العام 1962، فتدفقت أعداد كبيرة من المهاجرين إلى بريطانيا، وارتفعت معدلات الهجرة ارتفاعاً حاداً وبشكل مفاجئ عامي 1961 و 1962، ويعزى السبب المباشر في ذلك إلى توقع صدور قوانين جديدة تضع قيوداً على هذا الدخول. وبالفعل، جاء قانون الكومنولث للمهاجرين في العام 1962 رداً على ازدياد النقاش

---

[1] غوبتا، انجان، مصدر سابق، (2002)، ص64.

[2] نيلسون، يورغن، مصدر سابق، ص 313.

[3] Nonneman, Gerd. Niblock, Tim. Szsjkowoki, Bogdan (1997), Muolim communities in the new Europe, U.k: Garnef Publithing.p. 175.

العام حول مدى الرغبة في استقبال مهاجرين جدد من "الملونين". ولم يخل النقاش من عناصر واضحة تدل على العنصرية وترتبط بإدراك البريطانيين أن بريطانيا أخذت تخرج من موقعها الإمبريالي. ورغم قانون 1962 الذي يقنن الهجرة، فإن أعداد المهاجرين بقيت في ازدياد، وذلك لأن سياسات الضبط والرقابة كانت تفتقر إلى الفعالية، كذلك لجأت شبكات المهاجرين إلى تطوير أساليب مضللة لخداع وسائل مراقبة الخروج التي كانت استحدثت في بلدانهم. والواقع أن أكثر من نصف الباكستانيين – وغالبيتهم من المسلمين – والذين زاد عددهم على 130 ألفاً، والذين وفدوا إلى بريطانيا حتى أواخر العام 1967، جاؤوا بعد بدء العمل بإجراءات المراقبة التي كانت قد اعتمدت في الأول من تموز 1962.

وقد واصلت من الحكومة البريطانية العمل على الحد من الارتفاع الحاد في الهجرة فلجأت إلى سن قوانين أخرى في سنتي 1969 و 1971 ومن هذه القوانين: القانون الذي ينص على إلغاء الحق التلقائي بالدخول لحاملي الجوازات البريطانية الذين يفتقرون إلى علاقات عائلية في بريطانيا، ومع ذلك، فإن أفواج الهجرة بقيت تتدفق إلى بريطانيا، وخاصة من الباكستان الغربية والشرقية معاً (وقد انفصلت هذه الأخيرة في العام 1971 عن الباكستان وصارت تعرف ببنغلادش) [1]، وبنظرة أولية إلى بعض الإحصائيات لمعدلات الهجرة، يظهر مدى الإرتفاع في نسبة المهاجرين العرب والمسلمين إلى بريطانيا، ومن ذلك إحصائية عام 1981 ومقارنتها بالإحصائية التي حصلت بعد عشر سنوات، أي في عام 1991، ففي عام 1981 أمكن التوصل إلى تقدير عدد العرب والمسلمين في بريطانيا حسب الجدول(1.2).

جدول (1.2): تقدير عدد المسلمين في بريطانيا في العام 1981[2]

باكستان – بنغلاديش	360000
الهند	130000
شرق إفريقيا	27000
ماليزيا	23000
نيجيريا	15000

[1] نيلسون، يورغن، مصدر سابق، ص 78.

[1] المصدر السابق، ص 80.

أتراك	5000
قبارصة أتراك	40000
عرب	50000
إيرانيون	20000
المجموع	690000

وبعد مرور عشر سنوات(1991)، وردت الأرقام الظاهرة في الجدول(2.2).

جدول (2.2): تقدير عدد المسلمين في بريطانيا في العام1991[1]

بنغلادشيون	160000
باكستانيون	476000
هنود	134000
ماليزيون	43000
عرب	134000
أتراك	26000
قبارصة أتراك	115000
المجموع	1133000

ولم يحدث أي تعداد سكاني على الانتماء الديني إلا في عام 2001، حيث تم للمرة الأولى إدراج سؤال حول الانتماء الديني في عملية التخطيط في وقت متأخر نسبياً استجابة لضغوط شديدة، فشكل واحداً من أسئلة قليلة في التعداد السكاني كان الرد عليها اختيارياً، وتبين إن العدد التقريبي للمسلمين يصل إلى ميلوني نسمة، ولم يحدث بعد عام 2001 تعداد سكاني حتى الآن(2008).

لأجل ذلك حاولت جهات رسمية وغير رسمية في بريطانيا دق ناقوس الخطر من الأعداد الكبيرة التي تأتي مهاجرة من المناطق الإسلامية، حتى أن بعض الغربيين اعتبر ذلك عملية غزو

---

[1] المصدر السابق، ص 81.

أجنبي، وانخفضت أصوات البريطانيين الذين يتحدثون عن التعددية الثقافية، واستقبال المهاجرين، وخاصة بعد أحداث 11/ أيلول[1].

2.2.2 البنية الثقافية للعرب والمسلمين في بريطانيا

إن واقع التركيبة الثقافية للعرب والمسلمين في بريطانيا يتصف بكثرة التعقيد والتداخل، وهذا الواقع كان نتيجة لبروز عوامل عديدة أوجدته، من أهمها، أن مجتمع المسلمين البريطانيين ينحدر من جنسيات وأصول مختلفة وجذورهم تقريباً من 56 دولة، وتنحدر أكبر المجموعات المسلمة من جنوب آسيا، خاصة من باكستان وبنغلاديش، بالإضافة إلى وجود مجموعات عربية وأفريقية. كذلك ينحدر جزء منهم من جنوب شرق آسيا والبلقان وتركيا، عدا العديد ممن اعتنقوا الإسلام من أتباع الديانات الأخرى، وفي نظرة إلى التعداد السكاني البريطاني للعام 2001 من خلال الجدول (3.2) يتبين مدى التنوع العرقي بين المسلمين .

---

[1] الجالية المسلمة أقل تمثيلاً في مواقع السلطة 2002/11/19 www.alquds.co.uk

الجدول (3.2): التنوع العرقي بين المسلمين[1]

	عدد المسلمين	نسبة المسلمين حسب العرق	نسبة العرق إلى نسبة المسلمين
الأبيض	179.733	0.4	11.6
الأبيض البريطاني	63.042	0.1	401
الأبيض الإيرلندي	890	0.1	< 0.1
آخرون بيض	115.841	8.6	7.5
مختلطة	64.262	9.7	4.2
الأبيض والأسود الكاريبي	1.385	0.6	0.1
الأبيض والأسود الإفريقي	10.523	13.3	0.7
الأبيض الآسيوي	30.397	16.1	2.0
آخرون مختلط	21.957	14.1	1.4
آسيا أو آسيا البريطانية	1.139.065	50.1	73.7
الهندي	131.662	12.7	8.5
الباكستاني	657.680	92.0	42.5
بنغلاديشي	259.710	92.5	16.8
الآسيوية الأخرى	90.013	37.3	5.8
أسود أو الأسود البريطاني	106.345	9.3	6.9
الأسود الكاريبي	4.477	0.8	0.3
الأفارقة السود	96.136	20.0	6.2
أخرى سوداء	5.732	6.0	0.4
الصينية	752	0.3	< 0.1
مجموعة عرقية أخرى	56.429	25.7	3.7
المجموع	1.546.626	3.0	100

وطبيعي أن ثقافات العرب والأتراك والماليزيين والباكستانيين وغيرهم تختلف فيما بينها، وفي أحيانٍ كثيرة نجد أن ثقافة كل مجموعة من هؤلاء، وتقاليدها التي تسير عليها، أقوى في تأثيرها على أفراد الجالية من تأثير التعاليم الإسلامية.

---

[1] en.wikipedia.org 2007/ 11/ 12 Islam in united kingdom

وعامل آخر له دور في البنية الثقافية للعرب والمسلمين في بريطانيا، هو التنوع العرقي في نفس البلد الأم للمهاجرين، هذا عدا التنوع العرقي للجاليات المسلمة كافة التي تعيش في بريطانيا، حيث إن العوامل العرقية رسمت خارطة ذات أبعاد متميزة لكل مجموعة مسلمة هاجرت إلى بريطانيا، وخاصة في بدايات الهجرة، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك، الباكستانيون، فالذين هاجروا من الباكستان إلى بريطانيا كان أغلبهم من منطقة البنجاب وميريور، ورغم انتمائهم للإسلام، فإن عوامل التفرقة القومية والعرقية تركزت بصورة واضحة بين هاتين المجموعتين. وبسبب هذه الاختلافات بادر المهاجرون البنغال والميريوريون والبنجابيون – منذ بداية وصولهم– إلى تشكيل الجمعيات والمساجد والتجمعات الإسلامية الخاصة بهم، فتغلبت العوامل العرقية والقومية على العوامل الإسلامية في هذه المجالات.

ومثال آخر، المسلمون الهنود، فقد جاؤوا إلى بريطانيا، وحمل أغلبهم ثقافة هندوسية وإسلامية مختلطة، ومن ثم فهم يركزون كثيراً على مسألة الطبقات الاجتماعية في المجتمع، رغم أن الإسلام انتقد هذه الظاهرة بشدة ورفضها رفضاً قاطعاً[1].

وقسْ على ذلك بقية القوميات والأعراق التي يتشكل منها مسلمو بريطانيا، فرغم افتخارهم بالإسلام، وقناعتهم بتعاليمه، فإن الإسلام بمفهومه الصحيح غير موجود بينهم، فقد سلبته العصبيات العرقية كثيراً من روحه، وخاصة في الجيل الأول من المهاجرين، أما الجيلان الثاني والثالث فإنهما أفضل حالاً في توجههم نحو الائتلاف دون النظر إلى القوميات والعرقيات، رغم أنها لا تزال قائمة، وتعمل الجمعيات والمؤسسات والمراكز والنوادي العربية والإسلامية في بريطانيا جاهدة للحد من تلكم العوامل التي تُكرس الفرقة، وتُشتت الجهود، وتزيد من مساحة الاختلاف المزعوم، وسيأتي الباحث لاحقاً على الدور الذي تقوم به تلك الجمعيات والنوادي والمؤسسات.

ومن العوامل المؤثرة في البنية الثقافية للمسلمين في بريطانيا، وجود الشيعة، فرغم أنهم يشكلون أقلية، حيث إنّ عددهم لا يتجاوز 40 ألفاً، منهم حوالي 25 ألفاً من إيران، والباقي من الشيعة الهنود والباكستانيين، فإن نشاطاتهم مستقلة عن باقي المجموعات الإسلامية، ولا يشركونهم إلا في النزر اليسير من النشاطات، ومن المؤسسات التي يديرها الشيعة في بريطانيا: الخوجة الإثنا

---

[1] رضا، محمد، مصدر سابق، (1999)، ص 5 – 9.

عشرية، الشيعة الإثنا عشرية، الفكر الجديد، دار الإسلام، الإمام الخوئي، التجمع الشبابي النسائي الإسلامي، المركز الإسلامي، الإمام علي[1].

وعامل آخر له دور في البنية الثقافية كذلك، وهو وجود المسيحيين العرب، الذين لا يعرف عددهم على وجه التحديد، لكن يبدو أن هناك عشرات الآلاف القادمين من مختلف أنحاء الوطن العربي، وعدم معرفة العدد على وجه الدقة يعود إلى عدة أسباب: منها – كما يقول الكاتب البريطاني "أنطوني ماكروي" – : "أن مجتمع العرب بوجه عام – في بريطانيا – تم تهميشه بعامل سياسة الحكومة العنصرية التي تتكلم فقط عن "السود" و"الآسيويين"، رغم العدد التقديري لهم والذي يصل إلى حوالي 500 ألف عربي"[2].

وإن أغلب المسيحيين العرب في بريطانيا هم من المصريين واللبنانيين ثم يأتي السوريون والسودانيون والفلسطينيون، وحول ذلك يقول "وجيه عبد المسيح" – راعي الأبرشية الإيفانجيليكي، وهو مصري الأصل – :" بأن 30% من العرب البريطانيين هم من المسيحيين المصريين واللبنانيين، حيث إنّ معظمهم من المهنيين، وفي الغالب أطباء"، أما الأب "مكار" – راعي الكنيسة القبطية في لندن – فصرح بأن هناك 17 كنيسة قبطية في بريطانيا، تنتمي لها 15 ألف أسرة جلها من المصريين، ويعيش غالبية المسيحيين العرب في لندن ومانشستر وبرمنجهام، ويعيشون في انسجام وتعاون فيما يخص علاقتهم مع المسلمين.(2)، ومن الشخصيات المسيحية المهمة في بريطانيا، الدكتور "مجدي يعقوب"، و"عفيف صافية" – ممثل فلسطين في بريطانيا –، و"فادي راهي" – أمين سر النادي العربي – ، و"فادي إيتاني" – أمين صندوق النادي العربي – ، وقد اختار الباحث أحد هذه الشخصيات للحديث عنها في الفصل الأخير وهو د. "مجدي يعقوب"، كأحد الشخصيات التي ساهمت في رفع نسبة الاحترام للعرب في بريطانيا.

3.2.2 أماكن وجود المسلمين في بريطانيا وتعدادهم

---

[1] المصدر السابق، ص 25.

[2] McRoy,Anthony. arab christians in Britain,(7 /4/2008), www. Naba.org.uk

إن أولى المجموعات من المهاجرين المسلمين إلى بريطانيا منذ 300 عام، استقرت في عدة مدن ساحلية، ثم جاءت موجه ثانية من المسلمين إلى بريطانيا في أعقاب فتح قناة السويس في 1869، وكان معظمهم من البحارة اليمنيين الذين تم تجنيدهم في الأسطول التجاري البريطاني واستقر معظمهم في عدة مدن مثل: لندن وكارديف وليفربول وهلل وجنوب شليلذر، وفي بداية القرن العشرين تحولت مدينتا ليفربول ووكينج إلى مركزين لأنشطة الجالية المسلمة في بريطانيا. ثم أخذت أعداد كبيرة من المسلمين تتوافد إلى بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية، وتوزعوا في عدة مدن بريطانية، ومع مرور السنوات، نمت أعدادهم، وأخذوا يتوزعون في كل مقاطعات بريطانيا ومدنها، وحسب إحصاء عام 2001، فإن أهم المراكز التي يعيش بها المسلمون في بريطانيا تتوزع كما هو مبين في الجدول (4.2).

الجدول (4.2): أهم المراكز التي يعيش بها العرب والمسلمون في بريطانيا[1]

المنطقة	تعداد السكان	تعداد المسلمين	النسبة المئوية
برادفورد	483.000	82.750	%17
لندن	7.2 مليون	مليون	%16
برمنغهام	مليون	150.000	%15
ليستر	300.000	35.000	%12
اولدهام	218.500	25.000	%11
ليدز	680.700	30.750	%4.5
ويلز	2.5 مليون	30.000	%1.7
أسكتلندا	5.1 مليون	40.000	%0.8
إيرلندا الشمالية	1.7 مليون	4.000	%0.2

وحسب الإحصاء نفسه . 2001 . فإن عدد المسلمين يصل إلى 1.59 مليون نسمة، ولكن العديد من الخبراء يعتقدون أن الرقم الحقيقي أقرب إلى مليوني نسمة [2]. وهناك مصادر تشير إلى أن عددهم قد يصل إلى 3 ملايين نسمة، وبذلك يعتبر المسلمون أكبر أقلية دينية في بريطانيا، وهم

---

[1] وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث، مصدر سابق، ص 12.

[2] شحادة، دينا، مسلمو بريطانيا ورحلة الوعي بالذات، السياسة الدولية، العدد 156، (2004)، ص69.

يتحدثون بأكثر من 100 لغة، وما يقارب من 55% منهم مولودون في بريطانيا، و 50% تقل أعمارهم عن 25 عاماً[1]. ويعتبر المسلمون في بريطانيا هم أصغر فئة عمرية بين الأقليات الدينية الأخرى، فهناك 34% من المسلمين ممن تقل أعمارهم عن 16 سنة وفقاً لتعداد السكان عام 2001[2].

3.2 علاقة الجالية العربية والإسلامية مع المؤسسة البريطانية الرسمية

إن العقود الأخيرة شهدت انفتاحاً في العلاقة ما بين الجالية العربية والإسلامية والمؤسسة البريطانية الرسمية بكافة فروعها، التربوية والسياسية والإقتصادية، وكذلك كان شأن العلاقة مع المجتمع المدني البريطاني، وسوف يقف الباحث عند هذه العلاقات بشئ من التفصيل في النقطة الآتية.

1.3.2 العلاقة مع المؤسسة التربوية والتعليمية

لقد مر نظام التربية والتعليم في بريطانيا بمراحل مختلفة خلال مسيرته التاريخية، تلك المراحل التي شملت الحاجات التكنولوجية، والقيم السياسية والاجتماعية والفكرية، وقد أدى التغيير في نظام التعليم إلى فصل الدين عن السياسة، وإبعاد التعليم عن الأمور الدينية. حيث تأتي بريطانيا في المرتبة الثانية بعد هولندا في التعليم غير الديني، في ظل مجتمع كهذا لا ينبغي أن نتوقع لأبناء المسلمين الاستفادة دينياً من نظام التعليم في هذا البلد[3].

مع ذلك، فقد أدخل المسلمون أبناءهم في ذلك النظام، واندمجوا فعلياً في صفوف الدراسة التي التحقوا بها، لكن هذا الواقع لم يبق على حاله بعد الانفجار الذي عرفته الهجرة في أوائل الستينيات. ففي منتصف هذا العقد، تضاعف عدد الأطفال الباكستانيين في المدارس، وفي أواخر

---

[1] المصدر السابق، 69/ وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث، مصدر سابق، ص 14. عاشور، مصطفى، مسلمو أوروبا وقضية الاندماج www.islamonline.net2007/1/26

[2] وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث، مصدر سابق، ص 23.

[3] رضا، محمد، مصدر سابق، (1999)، ص 57.

الثمانينيات ضمت مدارس عدة أكثرية الطلاب المسلمين وصلت نسبتهم أحياناً إلى 90%[1]، ما حدا بالمسلمين في بريطانيا على التفكير الجاد لإيجاد الوسائل المناسبة والكفيلة بتعليم أبناء المسلمين أمور دينهم، فقادهم ذلك إلى التفكير بإنشاء مدارس إسلامية؛ لأنه لم تعد المساجد قادرة على القيام بهذه المهمة كما كانت مع أبناء المهاجرين الأوائل، فأعداد الطلاب المسلمين في ازدياد، ومتطلبات الحياة تستدعي تغيير النمط التقليدي في التعليم.

1.1.3.2 تاريخ المدارس الإسلامية

لقد كانت البداية العملية للتعليم الإسلامي الممنهج في بريطانيا على يد رائدي التعليم الإسلامي في بريطانيا، "يوسف إسلام * – كات ستيفنز –، و"محمد عبد الكريم ثاقب"، فقد بدأ "يوسف إسلام" اهتمامه بالتعليم الإسلامي عام 1983 عندما أصبح رئيساً لوقف المدارس الإسلامية في بريطانيا، فأسس المدرسة الابتدائية الإسلامية ذات اليوم الكامل تحت اسم (إسلامية) في شمال لندن، وهي أول مدرسة إسلامية بريطانية، ثم تابع إنشاء مدرسة ثانوية للبنات تسمى أيضاً (إسلامية) عام 1989، وطالب "يوسف إسلام" الحكومة البريطانية بتخصيص ميزانية للمدارس الإسلامية أسوة بالطوائف الدينية المسيحية واليهودية، ولم ييأس رغم أن الحكومة لم تستجب لطلبه، بل استمر في الحملة إلى أن وافقت حكومة حزب العمال عام 1998 على تخصيص ميزانية لدعم المدرسة الإسلامية الابتدائية. وفي عام 1988 بدأ محمد عبد الكريم ثاقب" نواة مدرسة (الهجرة) بمدينة برمنجهام، ونجح في عام 2002 بعد جهد كبير أن يحول القسم الثانوي إلى أول مدرسة ثانوية إسلامية للبنين والبنات في بريطانيا تحصل على الدعم الحكومي [2]، فالحكومة تدفع رواتب المعلمين والمعلمات، وأدرجت المدرسة ضمن خطط التطوير الوظيفي ورفع كفاءة المدرسين من خلال امتحانات مختلفة، وإدراج من يحتاج منهم في دورات تأهيل على مستوى أرفع. وأصبحت المدرسة نموذجاً تحاول مدارس بريطانية وأوروبية الاقتداء به، وتعمل المدرسة الآن على استكمال مختبراتها لتحويلها إلى كلية علمية[3].

---

[1] نيلسون، يورغن، مصدر سابق، (2005)، ص 102.

* أنظر: بتوسع عن سيرته في الفصل الرابع (1.4) .

[2] المدارس الإسلامية في بريطانيا، الفكرة والرسالة، 12/ 1/ 2008 www.almojtamaa-mag.com.

[3] التميمي، إقبال، برمنجهام: مدرسة "الهجرة" تجمع تبرعات لمختبراتها 20 /2007/7 www.alriyadh.com.

وزاد الاهتمام بفكرة إنشاء المدارس الإسلامية بعد رؤية النتائج الدراسية المتردية لأبناء المسلمين في المدارس الحكومية، فإنه طبقا للإحصائيات الحكومية، فإن واحداً من كل ثلاثة مسلمين في سن العمل لا يحملون شهادات، مقارنة بحوالي 15% من المسيحيين والهندوس، و 7% من اليهود، كما أن واحداً من كل اثنين (45%) من المسلمين البنغال، وواحداً من كل ثلاثة (33%) من الباكستانيين (ذكوراً واناثا) لا يعمل بالمقارنة بواحد من كل عشرة من البيض.

وكذلك ظهر الاهتمام بالمدارس الاسلامية في بريطانيا بعد رؤيتهم الحرية التي تمنحها الدولة للمسيحيين واليهود في إدارة مدارس خاصة بهم، وليس هذا فحسب، بل إن الحكومة تقوم بدعمها مالياً، وآخر الإحصائيات تشير إلى أن 7000 مدرسة دينية في بريطانيا تنفق عليها الحكومة، كلها مسيحية ما عدا 36 منها يهودية (رغم أنه يوجد 33 ألف طفل يهودي فقط في سن المدارس) 7 مدارس إسلامية، 2 للسيخ، يشكل مجموع هذه المدارس 36% من جملة المدارس الابتدائية، و17% من جملة المدارس الثانوية[1].

2.1.3.2 القانون الإصلاحي في التربية والتعليم عام 1988

ومما دفع المسلمين وحفزهم على فتح مدارس إسلامية، القانون البريطاني في اصلاح التعليم الذي صدر عام 1988، حيث إنه طبقاً لمواد 6 و 7 من ذلك القانون ومنذ 1988/4/29 بدأ العمل به، وهو ينص على أن تعليم الدين المسيحي أصبح إجبارياً في كل الفصول الدراسية، كما نص القانون على إلزامية ممارسة الطقوس المسيحية في التجمع الصباحي للتلاميذ، وإزاء هذا الوضع، كان أمام الطلاب المسلمين أربعة خيارات:

1. الاشتراك في التعليم المسيحي.
2. الخروج من المدرسة.
3. المطالبة بالتعليم الديني الإسلامي مع تحمل النظام التعليمي للنفقات في حال كون أكثرية الطلاب من المسلمين.
4. المطالبة بالتعليم الديني الإسلامي مع تحمل المسلمين للنفقات في حال كون الطلاب المسلمين يشكلون الأقلية[2].

---

[1] المدارس الإسلامية في بريطانيا، الفكرة والرسالة، مصدر سابق.

[2] رضا، محمد، (1999)، مصدر سابق، ص 48/ ضناوي، محمد علي، (1992)، مصدر سابق، ص56.

ويوجد الآن (2007) في بريطانيا مئات المدارس الإسلامية – وهي لا تتلقى دعما حكوميا باستثناء 7 مدارس – ، وفي لندن وحدها يوجد 42 مدرسة إسلامية، منها ما يتبع الحكومة، ومنها مدارس خاصة يشرف عليها المسلمون. والمناهج التي يتم تدريسها في هذه المدارس هي المناهج البريطانية، إلى جانب بعض التعاليم الإسلامية وما يخص اللغة العربية[1].

3.1.3.2 تقارير تربوية

لقد تم نشر العديد من التقارير في بريطانيا حول التعليم الديني بشكل عام، والمدارس الإسلامية بشكل خاص، من هذه التقارير ما كان لصالح المدارس الإسلامية، ومنها ما كان يحمل مآخذ عديدة على أدائها، وسيقتصر الباحث على ثلاثة تقارير توضح وجهتي النظر السابقتين، وهذه التقارير هي: تقرير "سوان"، وتقرير "ديفيد بيل"، تقرير "سعيد وعزام".

1. تقرير "سوان": – قامت الحكومة البريطانية بتشكيل لجنة حكومية سنة 1985 برئاسة اللورد "سوان – Swann"، تحت عنوان: "التعليم للجميع"، وقد عكس التقرير المواقف العامة للمؤسسات التربوية، وتلك المعنية بالعلاقات بين الأعراق، وقد تعامل مع المسلمين من منطلق ثقافتهم ومجموعاتهم العرقية، وليس من منطلق قيمهم الدينية وأولياتهم؛ ولذا واجه هذا التقرير انتقادات كثيرة من المسلمين، وجاء رد فعل المؤسسات الإسلامية، وإن اتسم بالترحيب عموماً، حاداً في نقده للمنحى الذي اتخذه التقرير فيما يتعلق بديانة المسلمين وشؤونهم وقد قامت اللجنة التعليمية التابعة لمجلس المساجد في بريطانيا بإصدار كتاب باسم"المسلمون ولجنة سوان"، وقد ضمنوه وجهة نظرهم حول التقرير، وقاموا بإرساله إلى جمعية المعلمين في بريطانيا[2].

2. تقرير "ديفيد بيل" – رئيس لجنة مراقبة المدارس في بريطانيا، الذي جاء فيه أن المدارس الإسلامية لا تعلم الأطفال التسامح والتعايش مع الثقافات الأخرى، وقال "بيل" في محاضرة عن التعليم والمواطنة، إن المدارس الإسلامية فشلت في إعداد الأطفال وتعليمهم المواطنة لتأهيلهم

---

[1] سليمان، عبد الحميد حامد، انتشار الإسلام في أوروبا، السعودية: مكتبة المتنبي، ط 1، (2005)، ص179.
الفاروقي، سهى التاجي، المسلمون في بريطانيا، المستقبل العربي، العدد 286، (2002)، ص45.

[2] نيلسون، يورغن، مصدر سابق، ص 103.

للاندماج في المجتمع البريطاني، مضيفاً إن المدارس الدينية خارج نظام التعليم البريطاني تدرّس منهجية ضيقة، مما يجعلها تفشل في إعداد الأطفال للانصهار في المجتمع الديمقراطي، وقد رد عليه مسؤول المدارس الإسلامية في بريطانيا بوصفه أنه – أي بيل – مصاب بـ "إسلاموفوبيا" وتحداه أن يثبت فشل تلك المدارس[1].

3. تقرير "سعيد وعزام": حيث صدر تقرير عن "سعيد آملي" و"السيد عزام" في ماهية المدارس التي يطلبها المسلمون في بريطانيا عام 2005، والذي هدف إلى تشخيص واقع رغبة المسلمين في إيجاد المدارس، ومشكلة ضعف الإنجاز للطلبة المسلمين في بريطانيا، التي تعود للعزلة التي يشعر بها الطلبة المسلمون، وقد بينت نتائج التقرير أن المدارس الإسلامية تنمّي المواطنة، ونفى أنها تعزز التفرقة، ويُبين أيضاً أن ضعف المسلمين في المدارس الحكومية مرهون بثقافة العزلة التي يشعر بها التلاميذ، والأبعد من ذلك، بيّن التقرير أن هناك مشكلات كثيرة في المدارس الحكومية والمنهاج، والشعور بالعزلة والتفرقة لدى الطلبة المسلمين. ومن خلال عينة عددها 1125 بريطانياً مسلماً تبين أن ما نسبته 47% يفضلون إرسال أطفالهم إلى المدارس الإسلامية أكثر منها للحكومية، في حين أن الأغلبية الباقية فضلوا إرسال أبنائهم إلى أفضل المدارس بصرف النظر إسلامية كانت أم حكومية، في حين أكد ما نسبته 8.5% رغبتهم في إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية، من أجل زيادة تكيفهم مع المجتمع، كما بيّنت النتائج كذلك أن المسلمين الذين لا يهتمون بالدين يمتلكون كذلك حساً دينياً لرغبتهم في الاستفادة من هذه المدارس الإسلامية، ولا يرون تناقضاً بين المدارس العلمانية والدينية. أما بخصوص النظام التربوي والمنهاج، فقد أكد الآباء والطلبة وجود صعوبة ومشكلات في المدارس الحكومية العلمانية، كما أكدوا مخاوفهم فيما يخص عدم احترام القيم الدينية كما هي الحال بخصوص الاختلاط والحجاب، كما أبدوا تحفظاتهم على نظرية التطور والتربية الجنسية[2].

من خلال هذه التقارير، يتبين مدى الاهتمام في موضوع المدارس الإسلامية على المستويين الرسمي وغير الرسمي في بريطانيا، ولم يقف الأمر عند حد التقارير، فقد كان للإدارات المدرسية مواقف متباينة من بعض القضايا التي أثيرت في المدارس البريطانية، ومنها توفير أماكن لأداء الصلاة، ومسألة اللباس المدرسي وملابس الرياضة والسباحة، وكذلك قضية الطعام الحلال،

---

[1] حزين، عبد الحليم، الإسلاموفوبيا، سلاح المسلمين ضد الغرب أم العكس، 2008/2/29 arbic.cnn.com

[2] Secular or islamic Schools 2005/7/6 www.ihrc.org.uk

بالإضافة إلى إشكالية الدعم الحكومي للمدارس الدينية... وقد تطور الأمر في بعض المناطق إلى خروج تظاهرات منددة بالنظرة العنصرية للمدارس الإسلامية، كما حصل في "برادفورد": حيث حدثت مواجهة حادة بين مجلس المدينة وبين الجالية الإسلامية، وأخذ مجلس مساجد "برادفورد" يشن حملة على المسؤول التربوي المحلي "ري هوني فورد Rey Honey Ford" الذي كان قد كتب مقالاً في صحيفة يمينية معروفة هاجم فيه وجهات نظر تربوية رسمية حول التعددية الثقافية والتربية المناهضة للعنصرية. وفي هذه المشادة التي شكلت موضع اهتمام على المستوى الوطني طوال أشهر، تلقت القيادة الإسلامية دعماً وتعاوناً من مجموعات مناهضة للعنصرية في حزب العمال. وقام مسلمو "برادفورد" بتنظيم تظاهرات تطالب بإقصاء ذلك المسؤول التربوي، وقد نجحت الحملة أخيراً في قيام السلطات التعليمية بإقناع "ري هوفي فورد Rey Honey Ford" بإحالته إلى التقاعد المبكر[1].

4.1.3.2 التمييز العنصري في المدارس الحكومية

ومن بين الأمور والمهمة التي حدت مسلمي بريطانيا على التوجه نحو إنشاء مدارس إسلامية، أو إرسال أبنائهم إلى مدارس إسلامية قائمة، ما يتعرض له الطلبة المسلمون من تمييز عنصري ضدهم في المدارس الحكومية، وقد أظهر التقرير الذي وضعه "سعيد" و"عزام" – وقد سبق ذكره – أن التمييز العنصري ضد الطلبة المسلمين يسبب ثقة متدنية عند الطلبة، وكذلك إنجازاً تربوياً قليلاً، وبين أن 71.8% ممن مورس التمييز ضدهم، وبشكل يومي، يرغبون في المدارس الإسلامية، أما من مورس التمييز ضدهم على فترات متباعدة، فقد كان اختيارهم لأفضل المدارس ولو كانت غير إسلامية، وكانت أعلى نسبة في اختيار النظام التعليمي العام – الحكومي – قد بلغت 17.2% في الأشخاص الذين لم يتعرضوا للتمييز العنصري [2]، وبهذا يتبين من خلال هذا التقرير أن هناك معامل ارتباط واضحاً، ما بين التعرض للتمييز العنصري، ورغبة الأفراد في المدارس الإسلامية، وقد تبين أن اختيار المدارس الإسلامية ليس لأن هؤلاء ضد العلمانية أو ضد النظام التربوي المسيحي، بل لما رأوه من تمييز عنصري، وشعور أحياناً بالاغتراب والعزلة. ولهذا عمدت مؤسسة حكومية بريطانية إلى إصدار وثيقة أوصت فيها تلاميذ المدارس الحكومية وكذلك المعلمين بأن لا يجرحوا مشاعر الطلبة المسلمين، وطبقاً لصحيفة ال "صنداي تايمز" البريطانية

---

(1) Nonneman,G.,Ncblock, T., Szajkowski, B. (1996) Musbin Communities in the new Europe, U.K: Garnet Publihing Linited, P.171

(2) Secular or islamic Schools، مصدر سابق.

الصادرة في 2007/4/8 فإن المؤسسة كان هدفها من إصدار هذه الوثيقة، هو التصدي لكل أنواع التعصب الديني، ودعوة المعلمين إلى توعية تلاميذهم بشأن أنواع المعاداة للإسلام والمسلمين، بما فيها الحماقة والشتائم والاعتداء[1].

5.1.3.2 الحكومة البريطانية والمدارس الإسلامية

قام العديد من المهتمين بالتعليم، وقضايا الاندماج، بتوجيه انتقادات عديدة للحكومة البريطانية في تعاملها مع التعليم الديني، وقد سيطر موضوع المدارس الدينية – بتوجهاتها كافة – على أعمدة الجرائد، وعلى الرغم من أن هذه المدارس ليست بالشيء الجديد في بريطانيا، فالكنيسة مسؤولة عن تعليم ما يزيد على مليون طفل بريطاني في أكثر من 4700 مدرسة، فإنّ المسألة اكتسبت مع الوقت أهمية أخرى، حيث إن حكومة بلير – رئيس الوزراء البريطاني السابق – تريد تقديم الدعم للمدارس التابعة للديانات الأخرى، ومن ضمنهم المسلمون، فوجهت إليها الانتقادات، ومن ذلك: تأثير هذه المدارس على الاندماج، ومستوى التحصيل لدى طلاب المدارس الإسلامية، والدعوة إلى إجبار بعض المدارس الإسلامية بقبول طلاب من ديانات أخرى، إلى غير ذلك من انتقادات، وقد ردت الحكومة البريطانية وسلطاتها التعليمية على هذه الانتقادات، ورفض الوزراء المختصون بداية تهويل هذه القضايا، ورأوا أن أفضل الطرق لمراقبة المناهج في المدارس الدينية، هو إدماج تلك المدارس في النظام التعليمي الحكومي، وهذه هي الإمكانية الوحيدة لمراقبة تلك المدارس بطريقة جيدة. كما يؤكدون أن برامج التبادل بين المدارس سوف تساعد على دعم الحوار بين الثقافات. وبالنسبة للتحصيل الدراسي، فقد أثبتت عدة تقارير ودراسات أن طلاب كثير من المدارس الإسلامية في بريطانيا يحصلون على درجات أفضل من تلاميذ المدارس الحكومية. بعد أن كانت المدارس الإسلامية تعاني في غالبيتها من ضعف لقلة الإمكانات المتاحة لها[2].

وفي مواجهة أي تطرف محتمل من قبل طلبة المدارس الإسلامية – من وجهة نظر المعارضة للدعم الحكومي للمدارس الإسلامية أمثال: الجمعية الوطنية العلمانية – فقد وضعت المؤسسات التربوية في الحكومة البريطانية منهجاً موجهاً للطلبة المسلمين، وأطلقت عليه اسم "نصيحة" و خصصت له 100 ألف جنيه استرليني، وهو يهدف إلى إبعاد التلاميذ عما تسميه الفكر

---

[1] صنداي تايمز – توصية لتلاميذ المدارس والمعلمين 2007/4/8 Callafhope. blogapot.com.

[2] رينولدس، كرسي، شعيب، عبد اللطيف (مترجم)، المدارس الدينية ما بين بريطانيا وفرنسا 2006/12/20 www.qantra.de

المتطرف، وأعرب بعض القائمين على تدريس ذلك المنهج من المسلمين عن قلقهم بسبب مضمون بعض الدروس، وافتراضها مسبقاً أن هناك فكراً متطرفاً لدى النشء المسلم يجب إزالته.

ويقوم المنهج الجديد بتوصيل رسالة إلى التلاميذ من سن الثامنة وحتى الرابعة عشرة مفادها أن إرهاب المواطنين وتخويفهم في بريطانيا لا يمت للإسلام بشيء، كما يهدف المنهج إلى تمكين التلاميذ من تحديد الأشخاص والجماعات الذين يبثّونٍ الكراهية كي يتجنبوهم، بحسب تقرير لصحيفة "هيرالد تربيون" البريطانية الثلاثاء 2007/5/22. وتشير الصحيفة إلى أن هذا المنهج يتم تطبيقه بشكل تجريبي حاليا في بعض المدارس، وهناك خطط لتعميمه على جميع المدارس الإسلامية في بريطانيا فيما بعد.

ويقوم بتدريس هذا المنهج 10 من علماء الدين في 6 مدارس إسلامية وأخرى عامة في مدينة برادفورد شمال العاصمة البريطانية "لندن"، بينما أنهى نحو 500 طالب المنهج الدراسي بالفعل. ويستعين هذا المشروع التعليمي الذي يطلق عليه اسم "تصيحة" في منهجه بالقرآن الكريم، والأحكام الشرعية، والثقافة الإسلامية لخدمة أهدافه بإظهار القوانين البريطانية وكأنها متوافقة مع القيم الإسلامية. وسبب هذا المنهج شعوراً بالقلق بين المعلمين المسلمين؛ بسبب بعض الدروس "غير المألوفة" التي يحتويها المنهج؛ وهو ما دفعهم للتساؤل إن كان هذا المنهج ملائماً للتلاميذ الصغار أم لا، بحسب الصحيفة.

ويتضمن أحد دروس المنهج سؤالاً يقول: "ماذا لو أرادت مجموعة من المسلمين المتطرفين شراء مواد متفجرة لصنع قنبلة.. فهل من الصواب أن يبيعها لهم صاحب المتجر؟"، وسؤال آخر يقول: "إذا أراد زملاء أحمد الجهاديون أن يهاجموا محلا تجاريا محليا على خلفية حرب العراق.. فهل من الصواب لأحمد أن يؤذي البريطانيين الأبرياء، نظرا لأن حكومة بلادهم متورطة في بلد مسلم؟"

واعترفت الحكومة البريطانية بأن هذا المنهج زاد من حساسية بعض المسلمين تجاه قضايا مختلفة، إلا أنها شددت على أن هذا المنهج أمر ضروري لإكساب المسلمين المهارات العملية

اللازمة لنبذ العنف. ونقلت الصحيفة عن متحدثة باسم إدارة الأقليات والحكومة قولها: "هذا المشروع التعليمي يضمن أن يدرس التلاميذ المسلمون فيه التعاليم الإسلامية الصحيحة"[1].

ومن القضايا التي تم انتقاد المسؤولين البريطانيين فيها، أن بعض المدارس الإسلامية لا تقبل طلابا من ديانات أخرى، وكان رد بعض المسؤولين، أن غالبية المدارس الإسلامية لا تمنع دخول طلاب من ديانات أخرى، وأما تلك التي تمنع، فإن هذا من خصوصيتها، كما هي الحال مع العديد من المدارس التابعة للديانات الأخرى، يقول "دانيال كوزنسكي" – نائب في البرلمان البريطاني– : أنا لا أؤيد إجبار المدارس الإسلامية على قبول غير المسلمين، إذا لم تكن ترغب في ذلك، وأنا من ناحيتي أؤيد وجود مدارس خاصة بالكاثوليك، ولقد تلقيت تعليمي في مدارس كاثوليكية، وأعتقد أن من حق المسلمين أن تكون لهم مدارسهم الخاصة، والكاثوليك مدارسهم الخاصة، واليهود مدارسهم الخاصة، وأعتقد أن المجتمع البريطاني بدأ يتفهم ذلك، وهو الآن أكثر تسامحاً، خاصة الطبقات المتعلمة فيه[2].

ومما يزيد في قبول المجتمع البريطاني للمدارس الإسلامية – حكومية كانت أم خاصة – تلك النتائج الإيجابية التي بدأت تحققها على المستوى الإداري، ثم التحصيل الدراسي، بالإضافة إلى المناهج والبرامج التعليمية التي يسيرون عليها، بعد أن واكب العديد منها سلبيات أوصلتها أحيانا إلى الفشل، وكانت عدة تقارير قد قدمها خبراء للملكة "إليزابيث" تشير إلى عجز المدرسين عن إقامة علاقات مناسبة مع تلامذتهم بسبب ضعفهم في التحدث باللغة الإنجليزية، وممارستهم أساليب تدريس قديمة، وقد انتقد "زكي بدوي" – مدير الكلية الإسلامية في لندن – نمط التدريس في بعض المدارس الإسلامية، فقال: "لا تتناسب طرق التعليم في هذه المدارس مع متطلبات العصر، ولا تستطيع تربية الطلاب المسلمين وفقاً لظروفهم الموجودة"[3].

أما الآن، ومع بدايات القرن الحادي والعشرين، فإن المدارس الإسلامية أصبح لها احترامها في المجتمع البريطاني، وبعض هذه المدارس لا تستطيع استيعاب الأعداد الكبيرة التي

---

[1] عبد الجواد، أحمد، نصيحة... منهج موجه للتلاميذ المسلمين في بريطانيا 2007/5/30 www.imanway.com

[2] الحماد، أيمن، دور محوري للمملكة في حل قضية الشرق الأوسط، جريدة الرياض: العدد 14587 www.alriydh.com 2008/2/22،

[3] رضا، محمد، مصدر سابق، ص 59 –61.

تتقدم بطلبات التحاق للدخول فيها، مثل تلك المدارس التي يديرها "يوسف إسلام"، ومدرسة "الهجرة" بمدينة برمنجهام، وهي تتلقى دعماً حكومياً مع بعض المدارس الإسلامية الأخرى، وهذا الدعم يؤثر بالإيجاب على النتائج؛ ولذلك تسعى بقية المدارس الإسلامية للحصول على دعم الحكومة، وهناك نحو 1500 مدرسة إسلامية مستقلة لا تتلقى أي دعم حكومي [1]، وإنما يمولها أثرياء مسلمون في بريطانيا، أو مؤسسات خيرية إسلامية، مثل مؤسسة "الوقف التعليمي الإسلامي".

مما تقدم يرى الباحث أن المدارس الإسلامية لا تشكل هويتها عائقاً في علاقتها مع المؤسسة التربوية البريطانية، وكذلك، فإنها تلعب دوراً إيجابياً في المجتمع البريطاني، ولهذا يمكن وضع بعض التوصيات في هذا المجال، مثل: تطوير المفاهيم الإسلامية في النظام التربوي البريطاني، تعزيز الوعي الديني في المدارس البريطانية عن المسلمين، وتدريس المعلمين البريطانيين مفاهيم الإسلام، وكذلك تعزيز الدعم المالي للمدارس الإسلامية لتقديم خدمات أكثر للعملية التعليمية، وتعزيز سياسة الحوار من خلال البرنامج البريطاني العام.

2.3.2 العلاقة مع المؤسسة الاقتصادية

لقد كانت الهجرات المتتالية من العرب والمسلمين إلى بريطانيا في غالبيتها لأجل العمل، كما ذكر الباحث ذلك سابقاً*، فعمل المهاجرون اليمنيون – وهم من أوائل المهاجرين إلى بريطانيا – في صناعة السفن في القسم الأول من القرن العشرين، ثم في صناعة الفولاذ، وغيرهم من العرب والمسلمين عملوا في مثل هذه الصناعات، وكان هذا جزءاً من استراتيجية الهجرة البريطانية لدعوة العمال إلى تولي المهام الأقل أجراً في مجتمع صناعي متقدم. كانت الأعمال قذرة وصاخبة وخطرة وذات أجور منخفضة، وكان أفراد الطبقة العاملة الأصليون قد أصبحوا بصورة متزايدة يترددون في توليها[2]. لذا وجد المهاجرون أنفسهم في وضعية عمالة غير ماهرة وذات مستوى منخفض أي في مجالات الأنسجة والملبوسات، والمواصلات والخدمات، وأبعد من هذا، ولأن معظم هذه الوظائف في المناطق المحيطة بالمدن فقد سكن هؤلاء في الأحياء المدينية الرثة، ولا سيما أنه كان هناك نقص في المساكن في الخمسينيات، أي بعد الحرب، حتى أن الأمر وصل بالمهاجرين أن يعيش خمسة إلى عشرة منهم في غرفة واحدة في بيوت سيئة جداً. وعليه فقد أصبح المكان الذي يعيش

---

[1] المدارس الإسلامية في بريطانيا، الفكرة والرسالة، مصدر سابق.

* أنظر: أسباب الهجرة (2.2.1).

[2] غوبتا، انجان وآخرون، مصدر سابق، ص64.

فيه المهاجرون عبارة عن حيٍّ أسود بأسوأ الظروف، لأن هذه الأحياءً كانت أحياء مغمورة وغير صحية داخل المدن، والتي تركها العمال البيض منتقلين إلى منازل وأحياء جديدة[1].

ولم تكن كل أفواج الهجرة من العرب والمسلمين إلى بريطانيا بتخطيط، أو ضمن سياسة مدروسة، لذا أخذت البطالة تنتشر بين صفوف المهاجرين، حتى امتد نطاقها مع مرور الأعوام على نطاق واسع، وعانت عائلات كثيرة من الفقر، فعلى سبيل المثال نجد أنّ 68% من العائلات الباكستانية والبنغالية (والتي تشكل غالبية المسلمين في بريطانيا) تعيش تحت خط الفقر، مقابل 23% من السكان كافة ، والأخطر من ذلك أن 73% من الأولاد الباكستانيين والبنغاليين في بريطانيا يعيشون تحت خط الفقر، 31% من السكان كافة ، وبموجب بحث للغرفة التجارية البريطانية، يكسب البنغاليون والباكستانيون 182 جنيهاً استرلينياً أسبوعياً، فيما يكسب البيض 332 جنيهاً استرلينياً، والهنود رغم أنهم أقلية ذات مميزات عرقية، فإنهم يكسبون مثل البيض[2].

ويعتقد بعض الساسة البارزين، أن هذا الوضع يشجع على وجود الاضطرابات في مجتمع المهاجرين، بل يتعدى ذلك إلى أن يصبح المرء إرهابياً، كما يقول وزير خارجية ماليزيا – سيد حميد البار – ويضيف: من بين جميع المجموعات الدينية في بريطانيا، فإن المسلمين أقل الناس المرشحين لامتلاك بيوت خاصة، وليس أمامهم سوى الفرصة الأدنى لتسلم الأعمال المهنية، وأكثر الناس عرضة لأن يفقدوا عملهم. وليس هناك أكثر من 48% من المسلمين ممن كانوا يعملون عام 2001 مقارنة مع 65% من المسيحيين، و 67% من الهندوس، و 75% من الذين لا يعتنقون أي دين، إن نقص الوظائف في المناطق التي استقر فيها المسلمون هو جزء من المشكلة[3].

ورغم انتشار البطالة، فإنّ كثيراً من المهاجرين وأبنائهم سعوا نحو تحسين أوضاعهم المعيشية، واستفادوا من قوانين العمل، والحرية الممنوحة للمواطنين في الاستثمار، فأنشأوا شركات صغيرة ما فتئت أن غدت من أكبر الشركات، وجل الشركات العربية والإسلامية تنشط في حقول

---

[1] جلافانس، بندلي، صوت المسلمين في المجتمع الأوروبي، 1996، مجلة كنعان، العدد 80، ص 34 –35 .

[2] بن درور، عرب إسرائيل في مصيدة الخداع الذاتي 2007/4/18 www.altwasul.net

[3] حميد البار، سيد، سعد، فاروق (مترجم) ما الذي يجعل المرء إرهابياً؟ 2007/11/12
www.almadapaper.com

معينة، مثل تسويق العقارات، والمرافق السياحية، والتسويقية (مطاعم، مكاتب سفر، محال حلويات، بوتيكات مختلفة، ترجمة، الخ) [1].

ومع استمرار الطموح لدى أصحاب الأموال من المهاجرين، فقد استطاع كثير منهم السيطرة على بعض التجارات في بريطانيا، كما فعل المسلمون الهنود والباكستانيون، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد تمكن قسم من العرب والمسلمين من امتلاك الثروات الكثيرة، واعتبروا من أكبر أثرياء بريطانيا، وفي دراسة حديثة عن الوضع الاقتصادي البريطاني، أوضحت أن هناك 5000 آلاف (خمسة آلاف) مليونير مسلم في بريطانيا [2]. ومن هؤلاء، "طارق غفور" الذي يعتبر ثالث أغنياء بريطانيا، و "مهدي التاجر" رجل الأعمال الإماراتي الذي درس في مدرسة بريستون في المملكة المتحدة، وتبلغ ثروته 3.2 مليار دولار، و "نظمي أوجي" الذي بلغت ثروته 2.6 مليار دولار، واحتل المركز الثاني والعشرين في قائمة أغنى 50شخصية عربية، بينما احتل سابقه "مهدي التاجر" المركز الثالث عشر، أما تاجر العقارات السوري الأصل "سيمون حلبي" والذي يمتلك شركة "بكينغهام سيكيوريتيز" – العملاقة في بريطانيا، فتقدر ثروته به 1.4 مليار دولار، وكذلك يأتي "محمد الفايد" ضمن أشهر أغنياء بريطانيا، الذي يمتلك متجر "هارودز" الشهير، والذي كان ينقل كل صغيرة وكبيرة إلى قصر بيكنغهام، كما كان المتجر المفضل لأعضاء الأسرة الحاكمة في بريطانيا، وزادت شهرته بعد مقتل ابنه "عماد الدين" الملقب بـ "دودي" مع الأميرة "ديانا" مطلقة ولي العهد البريطاني الأمير "تشارلز" في حادث سير مثير للجدل وقع فجر 31/ 1997/8 بمدينة باريس[3].

وأما فيما يخص لوائح العمل، فقد أصبح المسلمون أكثر وعياً في معرفة حقوقهم التي منحهم إياها القانون البريطاني، وقد عملت المؤسسة البريطانية على منحهم هذه الحقوق أسوة ببقية الأديان، التي لكل منها خصوصياتها، ومن الحقوق التي حصلها المسلمون، تلك الحقوق التي وردت في قوانين تخص العمال والموظفين، وقد قامت لجنة المساواة العرقية بإصدار مدونة حول الإجراءات الخاصة بالتوظيف، وفيها إرشادات لأصحاب العمل حول احتياجات المستخدمين المسلمين الدينية والثقافية، وتوصيهم بالنظر في سبل تكييف الأنماط المتبعة في تسيير أعمالهم مع

---

[1] غوبتا، انجان وآخرون، مصدر سابق، ص131.

[2] الفاروقي، سهى التاجي، مصدر سابق، ص43.

[3] عواد، سمير، فرعون لندن! www.alarabontine.ory 2008/4/6

هذه الاحتياجات، وقد جرى تنفيذ المدونة في العام 1984 وهي اليوم قيد التنقيح، ويتخذ كثير من أصحاب العمل تدابير ترمي إلى تمكين المستخدمين المسلمين من تأدية الصلوات الخمس اليومية، وصلاة الجمعة، والصوم في شهر رمضان المبارك، ويوفر بعضهم تسهيلات خاصة للوضوء وللصلاة الجماعية، أو يمنح المستخدمين إجازات أثناء الدوام لارتياد المساجد، كما تمنح الشركات عطلاً سنوية وإجازات غير مدفوعة الأجر، لبعض العاملين بها، بمناسبة احتفالات عيدي الفطر والأضحى المباركين[1].

1.2.3.2 البنوك البريطانية والنظام المصرفي الإسلامي

بما أن كثيراً من المسلمين في بريطانيا يعيشون في وضع اقتصادي متوسط أو دون المتوسط، فإن عوائق كثيرة وقفت أمام استقرارهم، وحالت دون تمكنهم من إيجاد مساكن يتملكونها، أو أعمالٍ يكسبون منها رزقهم، لهذا مارس المسلمون في بريطانيا ضغوطا عديدة، وطالبوا البنوك البريطانية بإدراج النظام المصرفي الإسلامي ضمن خدماتها، وبعد سنوات، نجحت جهود المسلمين في دفع أكبر البنوك البريطانية على الموافقة، وسعى المسلمون لذلك؛ لأن الشريعة الإسلامية تحظر دفع أو تلقي الفائدة – الربا – مما يجعل الاستفادة من قروض الرهن العقاري التقليدية والحسابات المصرفية أمراً غير مقبول لدى سكان بريطانيا من المسلمين، والذين يزيد عددهم على المليونين.

ويعتبر بنك (HSBC) العملاق أول بنك في بريطانيا يعرض خططه لقروض الإسكان الإسلامية، ووضع برنامجاً تطبيقياً لتمويل ذلك، مع خطة وضعها للحسابات الجارية في بريطانيا. وبموجب الخطة الجديدة التي طورها قسم HSBC (أمانة فاينانس)، يقوم البنك بشراء العقارات نيابة عن العملاء، وتأجرها لمدة معينة عادة تكون 25 عاماً، وهي نفس مدة قروض الرهن التجاري. ويتوقع "نعمان حسن" – رئيس قسم HSBC (أمانة فاينانس)– أن تقوم البنوك البريطانية بتقديم خدمات مالية إسلامية في قطاعات التأمين والاستثمار والتمويل التجاري. وقالت "تريسي غوديير" المتحدثة باسم بنك "باركليز" العملاق إن البنك يفكر حالياً في احتمال إطلاق

---

[1] الشريف، الحبيب، المسلمون في بريطانيا التاريخ والواقع 2003/7/28 .league.org www.muslimworld

خدمات مصرفية إسلامية، وقال متحدث باسم وزارة الخزانة البريطانية، أعتقد أننا سنرى عدداً أكبر من الشركات تعرض مثل هذه الخدمات، ونحن نرحب بذلك بكل تأكيد[1].

ولا غرابة في حماس البنوك البريطانية لتقديم مثل تلك الخدمات، إذ أشار تقرير أصدرته مجموعة "داتامونتير" للأبحاث إلى أن قيمة سوق قروض الإسكان الإسلامية في بريطانيا قد تصل إلى 4.5 مليار جنيه استرليني (7.5 مليار دولار) بحول عام 2006[2].

ومع نجاح البنوك البريطانية التي تعاملت حسب النظام المصرفي الإسلامي، وارتياح مسلمي بريطانيا لذلك، فقد دفع ذلك بعض المستثمرين من العرب والمسلمين لإنشاء بنك إسلامي في بريطانيا، وتم لهم ذلك بعد أخذهم الموافقة من الأجهزة البريطانية للخدمات المالية يوم 8/ 8/ 2004. ويعتبر هذا أول بنك إسلامي بريطاني تحت اسم "البنك الإسلامي البريطاني Islamic Bank of Britian " وسيكون مركزه الرئيس في برمينغهام وسط إنجليزا، وقال "عبد الرحمن عبد الملك" – رئيس مجلس إدارة البنك الإسلامي البريطاني – إن البنك يعتزم طرح 160 مليون سهم للاكتتاب. وتوقع أن يفوق حجم المصرف أكبر البنوك الإسلامية العاملة في المنطقة من حيث عدد العملاء المتوقع أن يقدم إليهم خدماته[3].

ولأن التعامل المصرفي الإسلامي لا يحمل عبئاً على المساهمين، فقد زاد التوجه نحو إنشاء مصارف إسلامية جديدة تلبي زيادة المقبلين عليها، وهذا ما تم على أرض الواقع، فقد أُنشئت عدة مصارف، بلغ عددها مع نهاية عام 2007 ستة مصارف تعمل في بريطانيا حسب النظام المصرفي الإسلامي.

ورغم كل هذه الخدمات والتسهيلات، ومحاولات المسلمين للنهوض بوضعهم الاقتصادي، فإن المسلين لا يزالون قلقين على مستقبلهم الاقتصادي أكثر من قلقهم على مستقبلهم الديني والثقافي، ولا تزال البطالة تشكل العنصر الرئيس في مشكلات المسلمين في بريطانيا.

---

[1] رووك، دانيال، البنوك البريطانية تتجه لتقديم خدمات مصرفية إسلامية، 2003/7/7 www.alquds.co.uk

[2] المصدر السابق.

[3] أ. ف. ب، بريطانيا تعطي الضوء الأخضر لإنشاء أول بنك إسلامي 2004/8/9 www.azzaman.com

3.3.2 العلاقة مع المؤسسة السياسية

لقد منحت بريطانيا الأقليات العرقية المهاجرة إليها امتيازات أكبر وأكثر من أية دولة أوروبية أخرى، ومما امتازت به بريطانيا أنها تسمح للمهاجرين إليها بالمشاركة في العمل السياسي، فيحق للمقيمين في المملكة المتحدة من حاملي جنسية أي بلد من بلدان الكومنولث أن يشاركوا اقتراعاً وترشيحاً في الانتخابات المحلية والوطنية[1].

ورغم هذه المساحة المفتوحة أمام الراغبين في العمل السياسي من المهاجرين، فإن المشاركة السياسية للعرب والمسلمين كانت محدودة، ومقتصرة على الانتخابات المحلية والعامة التي تجري في بريطانيا، وحتى هذه المشاركة تعتبر عديمة الأثر تقريباً؛ بسبب تعدد القوميات والأعراق والمذاهب[2].

وتعتبر المشاركة السياسية ضرورة ملحة للعرب والمسلمين في بريطانيا؛ لأن الثمار التي يجنونها من وراء ذلك كثيرة، والمكاسب التي سيحققونها لحاضرهم ومستقبلهم كبيرة، فبمشاركتهم السياسية يحافظون على حقوقهم السياسية والمدنية، ويستطيعون الدفاع عنها من مركز القوة، وكذلك تؤخذ مطالبهم على محمل الجد، ومطالبهم كثيرة، خاصة بعد أن أصبح العرب والمسلمون منتشرين في أنحاء المملكة المتحدة كافة، ويشكلون ثاني أكبر ديانة فيها، وهم الآن يساهمون في نسيج ورفاهية المجتمع بطرق مختلفة، تتراوح ما بين المشاركة في الحياة الأكاديمية والمالية، وفي مجال الطب والقانون والتعليم والصحافة والفنون الإبداعية، فلا ينبغي أن يبقى العرب والمسلمون متفرجين على الساحة السياسية.

ودخول المسلمين للساحة السياسية مهم لأن مطالب العرب والمسلمين في بريطانيا ليست في جانب معين بل في جوانب متعددة، يقول في شأنها رئيس تحرير صحيفة "مسلم نيوز" البريطانية "أحمد فارسي": إن مطالب المسلمين في الماضي كانت محدودة وتقليدية للغاية، تتمركز حول قضايا خاصة بهويتهم، مثل: مشكلة "اللحم الحلال"، و"المدارس الإسلامية"، و"فرص العمل دون تفرقة دينية"، و"التمتع بالاجازات الإسلامية، مثل عطلة العيد". أما الآن فمطالبهم صارت أكثر

---

[1] نيلسون، يورغن، مصدر سابق، ص95.

[2] رضا، محمد، مصدر سابق، ص40.

تعقيداً، وذات طبيعة اجتماعية تهم شريحة واسعة من غير المسلمين أيضاً. ويضيف "فارسي": "لم يعد المسلمون يقصرون احتياجاتهم الطبية مثلاً على أن توفر المستشفيات اللحم الحلال، ومصلى، وإنما صاروا مهتمين بطرح ملف الرعاية الصحية بمجمله، بما في ذلك سوء الخدمة، وبطء مواعيد الكشف والعلاج، وقلة أعداد الأسرّة، وجميعها قضايا مطروحة في الإعلام، ويفهمها الجميع بصرف النظر عن معتقده. ولم يعد المسلمون يركزون على مجرد الضغط على الحكومة لمنحهم ترخيص فتح مدرسة إسلامية تحظى بالاعتراف والدعم المادي، كما الحال مع عديد من المدارس اليهودية، وإنما على مشكلات وعيوب التعليم مجملاً، من ازدحام الطلبة في الفصول، وإدخال أو زيادة الجرعات الجنسية في المناهج التعليمية منذ مرحلة عمرية مبكرة، وقال: إن المطالب الإسلامية، بهذه الشمولية والاتساع، صارت تجد صداها بين السود، والسيخ، والهندوس، والكاثوليك، والأقليات التي يشكل صوتها ثقلا انتخابياً يجبر نواب الأحزاب على الإصغاء إليهم"[1].

1.3.3.2 أشكال المشاركة السياسية

إن المشاركة في الحياة السياسية في بريطانيا، يمكن أن تتخذ أشكالاً متعددة، مثل الانضمام إلى الأحزاب السياسية، وأداء دور نشيط في تلك الأحزاب؛ لأن تولي منصب ضمن الحزب أو تمثيل الحزب على المستويات المحلية والإقليمية والوطنية وسيلتان يمكن أن يسمع من خلالهما الصوت العربي والإسلامي. وبالإمكان المشاركة أيضاً في الحياة السياسية من خلال المشاركة في مجموعات الضغط، والمجموعات المعنية بمسائل معينة – المشاركة في الحملات التي تتعلق بقضايا تتراوح بين البيئة وحقوق الإنسان والسكن والصحة – والانضمام والمساعدة في عمل المنظمات التطوعية، والعمل مع قوات الشرطة من خلال لجان المحال السكنية، هي كلها طرائق سليمة يمكن للعرب والمسلمين أن يندمجوا من خلالها في الحياة السياسية في بريطانيا [2]. ويمكن دخول معترك الحياة السياسية عن طريق المشاركة في الانتخابات البرلمانية والمحلية، وكذلك في انتخابات البرلمان الأوروبي، وأيضاً في المشاركة السياسية العامة كالتظاهرات والاعتصامات.

---

[1] ورقة قوية تتصارع عليها الأحزاب (2001)، www.almujtamaa-mag.com 2007/6/7

[2] غوبتا، انجان وآخرون، مصدر سابق، ص158.

وخلال القرن الماضي لم يكن لأصوات العرب والمسلمين ثقلها في العملية الانتخابية في بريطانيا، ومردّ ذلك لأسباب عديدة، منها: أن العرب والمسلمين لا تجمعهم مظلة واحدة، فاختلاف الأوطان والأعراق والمذاهب، جعل من الصعب توحدهم في كيان واحد. وسبب آخر يتمثل في تلك الدعوات التي كان لها أثرها في بلبلة موقف المسلمين من المشاركة في الانتخابات، من الناحية الشرعية، حيث طرحت بعض الاتجاهات في بريطانيا مثل: "حزب التحرير" و "المهاجرون" حرمة المشاركة فيها، مما دفع أعداداً من المسلمين للأحجام عن الإدلاء بأصواتهم، فضلاً عن الترشح، وبقي الأمر في ضبابيته، حتى صدرت الفتاوى بجواز المشاركة في الانتخابات التي تجري في دول غير إسلامية اقتراعاً وترشيحاً، وهذه الفتاوى لاقت قبولاً وارتياحاً لدى الجالية الإسلامية في بريطانيا؛ وذلك لأنها جاءت من كبار علماء المسلمين، أمثال "يوسف القرضاوي" – رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين –، وكذلك من مؤسسات فقهية معتبرة، مثل مجمع الفقه الإسلامي، والمجلس الأوروبي للإفتاء*. بعد هذه الفتاوى، شهدت الساحة الانتخابية في بريطانيا مشاركة واسعة من المسلمين، دفعت الأحزاب السياسية البريطانية للعمل على كسب أصواتهم، وكلما اقترب موعد إجراء الانتخابات العامة في بريطانيا يشتد التنافس بين الحزبين الرئيسين: "العمال" و"المحافظين"، لكسب أكبر عدد من الأصوات، ومن ضمنها أصوات المسلمين، وصارت "مغازلة" المسلمين في اعتقاداتهم وعاداتهم وتقاليدهم، عرباً وباكستانيين وأفارقة، خطاباً شائعاً في حملات الدعاية الانتخابية[1].

ومن الأمثلة على ذلك المسار الدعائي، ما قام به المرشح البرلماني عن حزب المحافظين في مقاطعة "هارو" شمال غربي لندن المكتظة بعشرات الآلاف من المسلمين، "مايك فرير"، حيث بعث بطاقة تهنئة بمناسبة عيد الأضحى، وفيها صورة جميلة للأزهر الشريف تحتها شعار الشعلة النارية رمز حزب المحافظين الانتخابي، مع رسالة خاصة قال فيها: "أود أن أبعث إليكم أحرّ الأمنيات بمناسبة عيد الأضحى. أعرف أن العيد هو فترة لتوثيق الروابط الاجتماعية والإرادات الطيبة، ووقت العفو وإصلاح ذات البين. هو زمن العطاء والمشاركة، ومناسبة طيبة تنعكس إيجابياً على تصرفاتنا لمساعدة الناس، الذين يملكون حظوظاً أقل منا. وهو أيضاً زمن البهجة الكبيرة

---

* للوقوف على الآراء الفقهية في هذا الشأن يمكن الرجوع إلى:
- كتاب: الأقليات الإسلامية والسياسية ليوسف القرضاوي.
- وكتاب: مسلمو أوروبا والمشاركة السياسية لحسام شاكر.
- وعلى الشبكة الإلكترونية www.alrabita.info / www.qardawi.net / www.mcb.org.uk

[1] ورقة قوية تتصارع عليها الأحزاب، مصدر سابق.

لأولادنا وجالياتنا وعوائلنا التي تجتمع للاحتفال". وأضاف النائب: "في هذا الوقت، لا بد من التذكير بأن ما يوحدنا هو أكثرمما يفرقنا. لقد ساهمت التجمعات المسلمة وبشكل كبير في دعم المجتمع البريطاني، وأعتقد أن مقاطعة "هارو" قوية بما فيه الكفاية بسبب غناها بالثقافات المتعددة. وتوجّه خطاب مرشح حزب المحافظين إلى القيادات المسلمة بقوله: "أنا أكبر فيكم رعايتكم لشؤون العائلة، وروحيتكم في إنجاز العمل الشاق، وإخلاصكم الشديد لجالياتكم، وكل هذا ذو قيمة، وهو محل غبطة واعتزاز حزب المحافظين"[1].

وأما "جاك سترو" – وزير الخارجية والكومنولث (سابقاً) – فيقول: "أفتخر بأني أُمثل في البرلمان 25 ألف مسلم يعيشون في دائرتي الانتخابية في مدينة "بلاكبيرن" إلى جانب 75 ألفاً من أتباع الديانات الأخرى، ومن خلفيات متنوعة"[2].

ولا يُستغرب أن يبدأ عمدة لندن "كين ليفنغستون" – المدعوم من الأقلية المسلمة – حملته الانتخابية من مسجد شرق لندن في عام 2006، ونجح في المحافظة على منصبه[3]. وكذلك دعت لجنة الشؤون الداخلية في البرلمان البريطاني إلى مشاركة أكبر للمسلمين في صنع السياسة[4].

وهناك مواقف على الساحة السياسية البريطانية، أظهرت أن للمسلمين كلمتهم المسموعة، ومواقفهم الجريئة، وآراءهم الصريحة، فعلى الآخرين احترامهم، وإعطاءهم وزنهم،على سبيل المثال ، طالب مسلمون بريطانيون باستقالة وزير بريطانيا للشؤون الأوروبية "رينسيس ماكشين" على خلفية تصريحاته التي تسببت في إثارتهم، حيث إنه دعا المسلمين البريطانيين إلى الاختيار ما بين (الأسلوب الديمقراطي البريطاني) أو (الأسلوب البريطاني الإرهابي)، فاضطر "ماكشين" إلى إدخال تعديلات جوهرية على كلمته، وإدخال فقرة تشيد بمواقف المسلمين البريطانيين في شجبهم للإرهاب. ودعا سكرتير لجنة المساجد في روترهام "محمد رشيد" – وهو أحد أعضاء حزب العمال البريطاني، ومن أكبر الداعين "لماكشين" في حملته الانتخابية – إلى استقالة الوزير، وقال: "أعتقد أن على "ماكشين" أن يسلك طريقاً واحداً وهو تقديم استقالته فوراً" وكان ""ماكشين" قد اعتذر للمسلمين قائلاً

---

(1) الخزرجي، نضير، أحزاب بريطانيا تخطب ودّ "الصوت" المسلم www.arraee.com 2005/2/9

(2) المسلمون في بريطانيا، www.fco.gou.uk 2007/8/9

(3) عيسى، أحمد، مسلمو بريطانيا قوة سياسية معطلة www.almujtamaa-mag.com 2006/4/29

(4) رويترز: لجنة بريطانية تدعو إلى إشراك المسلمين في صنع السياسات، www.azzaman.com 2005/4/6

"اعترف بأنه كان عليّ التدقيق في تصريحاتي واختيار كلماتي، وأعتذر لأي شخص شعر بأنني قصدت الإساءة إلى المسلمين، وأنهم يشجعون الأعمال الإرهابية، وهو ما لم أرم إليه"[1].

ويرى المراقبون أن مسلمي بريطانيا قد تمكنوا خلال عام 2004 من تجاوز مرحلة جواز التصويت من عدمه، وأن ما ينقصهم هو بعض التثقيف السياسي، والتخطيط بصورة أفضل لمشاركتهم السياسية، وفي عام 2005 زاد المشاركون على الساحة السياسية سواء بترشيح أنفسهم، أو بالإدلاء بأصواتهم لمرشحين مسلمين أو مرشحين أقل ضرراً من غيرهم، وقد رشح المسلمون لعضوية البرلمان 48 منهم، فنجح منهم أربعة، وهم "محمد سروار"، الذي أعيد انتخابه في جلاسكو، و"خالد محمود"، وقد أعيد انتخابه في إحدى دوائر برمنجهام، و"صديق خان" في دوسبري. و"شاهد مالك"، الذي هزم ممثل حزب الاحترام في إحدى دوائر لندن، ولم ينجح أحد من مرشحي حزب الاحترام سوى "جورج غالوي" في إحدى دوائر لندن، وساعده المسلمون ليهزم مرشحة يهودية، ويتمثل التأثير المتزايد للمسلمين وثقلهم السياسي في الحكومة البريطانية في وجود خمسة أعضاء بمجلس اللوردات (4 لوردات وبارونه – هي "بولا منزل الدين")، وأربعة أعضاء بمجلس العموم، وعضو مسلم واحد في البرلمان الأوروبي (هو سيد صالح كمال – دكتوراة في الاقتصاد)، وما يقرب من 220 عضواً في المجالس المحلية، و12 مسلماً في منصب عمدة المدينة. ورغم كل ذلك، فإن التمثيل ما زال باهتاً، ولا يعكس عدد المسلمين ودورهم في البلاد[2].

2.3.3.2 اهتمام المؤسسة البريطانية الرسمية والحزبية بمسلمي بريطانيا

لقد وجد الباحث أن الحراك السياسي لمسلمي بريطانيا، وعملهم المنظم على الساحة البريطانية قد رفع من نسبة احترام المؤسسة السياسية في بريطانيا لهم، ودفع رموزاً من ساسة بريطانيا لمشاركة المسلمين في أعيادهم واحتفالاتهم ومهرجاناتهم والمناسبات التي تخصهم، وانتهاز الفرص لكيل المديح لهم، فعلى المستوى الحزبي، فقد احتوت قوائم الترشيح لدى أكبر الأحزاب البريطانية في انتخابات 2005 مرشحين مسلمين، فحزب العمال – والذي يحصد أكبر عدد من

---

[1] مسلم نيوز: مطالبة باستقالة وزير بريطاني هاجم المسلمين 2008/2/18 www.muslimworld. league.org

[2] عيسى، أحمد، مصدر سابق.

أصوات المسلمين– رشح 8 من المسلمين، وكذلك صنع حزب المحافظين حيث رشح 8 من المسلمين، في حين رشح حزب الأحرار الديمقراطيين 9 مسلمين.

.

أما على مستوى الشخصيات السياسية، فالنماذج كثيرة، منها مواقف الأمير "تشارلز" – ولي العهد البريطاني – من المسلمين، ومشاركته لهم في كثير من المناسبات، وفي إحدى مشاركاته في احتفالات "الهيئة الإسلامية البريطانية" في كانون الثاني 2003 قال في كلمة ألقاها على الحاضرين: "عندما تم تعيين اللورد "أحمد أوف روثيرهام" (نذير أحمد) في مجلس اللوردات في التسعينيات، تم الترحيب بهذه الخطوة على أنها إنجاز للمسلمين البريطانيين، إلا أن اللورد "ستانلي أوف أدرلي" وهو بريطاني اعتنق الإسلام سبقه بأكثر من مائة عام بتعيينه في المجلس نفسه تماماً مثل اللورد "هيدلي" الذي أعلن اعتناقه للإسلام عام 1913، بالتالي، فإن وجود المسلمين في الحياة الأكاديمية والوظائف العامة وفي أعلى درجات مجتمعنا ليس بالأمر الجديد، لكنه أمر نشيد به"[1].

أما وزير الداخلية الأسبق وعضو البرلمان "ديفيد بلانكيت"، فقال في إحدى تصريحاته: يسعدني جداً أن يكون هناك ما يربطني بهذا القسم، وأهنئ المسلمين البريطانيين على كونهم يشكلون جزءاً لا يتجزأ من المملكة المتحدة. يساهم المسلمون البريطانيون بشكل كبير في نجاح هذا البلد وفي ازدهاره وثقافته، وهذا القسم يسلط الضوء على العديد من هذه الإنجازات ويشيد بها[2].

أما رئيس وزراء بريطانيا الحالي (2008) "غوردون براون"، فقد وجّه تهانيه الحارة إلى المسلمين في بريطانيا بمناسبة عيد الفطر السعيد، وذلك في كلمة قال فيها: "يسعدني أن أتوجه بأطيب الأمنيات لجالياتنا البريطانية المسلمة بمناسبة احتفالهم بعيد الفطر"، وجاء في سياق كلمته "لقد أثرت الفنون والعلوم والفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامي في حياتنا طوال قرون عديدة، ويقدم المسلمون في بريطانيا بالطبع مساهمة عظيمة في جميع المجالات في حياتنا على المستوى الوطني، وكذلك مساهمة في إزدهار المملكة المتحدة ورخائها. وهذا أمر نفتخر به جميعنا. لكم مني

---

[1] المصدر السابق.

[2] المسلمون في بريطانيا www.fco.gou.uk 2007/8/9

أطيب التمنيات في هذه المناسبة العزيزة. عيد مبارك" [1]. وعندما أطلقت الجمعية الإسلامية البريطانية يوم 2004/11/22 أسبوعاً للتوعية عن الإسلام في بريطانيا شاركهم كبار المسؤولين والشخصيات السياسية والدينية، ومنهم وزيرة التجارة والصناعة البريطانية "باتريشيا هيوبت"[2].

إن هذه المواقف، وتلك المشاركات من كبار الساسة في بريطانيا، لها دلائل إيجابية كثيرة ومثيرة، ينبغي استثمارها لصالح التعايش الإيجابي، ولبناء مجتمع آمن لا مكان فيه للعنف، أو العنصرية، وخاصة أنها مشاركات حقيقية وليست مجاملات آنية – كما يرى الباحث –، حيث أنها تكررت مرات عديدة من قبل كبار الساسة البريطانيين، وفي مناسبات متعددة .

4.3.2 عرب ومسلمو بريطانيا والحقوق المدنية

إن العرب والمسلمين في بريطانيا يتمتعون بالحقوق المدنية، مثلهم مثل أي مواطن بريطاني، ولا فرق أمام القانون البريطاني بين مسلم وغير مسلم، أو بين عربي وإنجليزي، فكل إنسان في بريطانيا خاضع للقانون، ولا يوجد تمييز من حيث الدين ولا الجنس، وتتكافأ الفرص للجميع في الوظائف الحكومية، ومجالات العمل، وغير ذلك من حقوق مدنية عامة أو خاصة، مثلاً العبادات ، فإنه بإمكان المسلم أن يصلي في أي مكان يصلح للصلاة، لا أحد يستطيع حجب هذا الحق عنه، وتجد الطلاب في الجامعات والكليات لهم جمعيات إسلامية، ولهم في أكثر الكليات أماكن خاصة للصلاة، وتقام صلاة الجمعة، والفتيات المحجبات لهن احترامهن، ولا يلزمن برفع الحجاب في جواز السفر كما هي الحال في فرنسا وغيرها من دول أوروبا، ثم أيضاً لا يستطيع أحد في الكلية مثلا أن يؤذيها لأنها محجبة، لكن رغم ذلك، فإن ثمة صعوبات واجهها بعض المسلمين، وخاصة الذين لم يحسنوا الاندماج في المجتمع البريطاني، أو أولئك الذين لم يتقنوا اللغة الإنجليزية، حيث إن غالبية الوظائف، ومجالات العمل، تتطلب لغة متقنة ليتوفر النجاح[3].

---

[1] رئيس الوزراء البريطاني يهنئ المسلمين بعيد الفطر، جريدة القدس(فلسطين)، 2007/10/18،العدد 13710، ص 2.

[2] UBA، دائرة الطباشير الأمريكية www.alquds.co.uk 2004/11/22

[3] عبد الحليم، محمد، المسلمون في بريطانيا، أوضاع المواطنين 13/ 5/ 2003 www.islamonline.net .

ولم تشهد الساحة البريطانية تراجعاً في مسار الحقوق المدنية، إلا بعد أحداث 9/11، وكذلك بعد تفجيرات لندن في تموز 2005، حيث برزت بعض المظاهر العنصرية، والمواقف السلبية ضد المسلمين، مما آثار مخاوف لدى أبناء الجالية الإسلامية من إمكانية اتساع الفجوة بينهم وبين المجتمع البريطاني، ومن الأمثلة على ما تعرض إليه المسلمون من مضايقات ومظاهر عنصرية ومواقف سلبية، قيام الشرطة البريطانية بطرد أحد رجال الشرطة المسلمين من وحدة حماية كبار الشخصيات، بحجة أنه يشكل تهديداً للأمن القومي البريطاني، والتهمة التي جعلت هذا الشرطي ليس أهلاً لهذه المهمة تكمن في كون أبنائه يصلون في مسجد تقول الشرطة إن أشخاصاً لهم علاقة بالإرهاب يصلون فيه. ووفق هذه المعايير يصبح كل مواطن بريطاني مسلم يذهب إلى مسجد زاره أو أمّ فيه أحد المتطرفين – ومن وجهة نظر الأجهزة الأمنية البريطانية – يُصبح مشكوكا في ولائه، وأنه خَطَرٌ على الأمن القومي البريطاني. وفي المقابل، فإن الإيرلنديين المتطرفين من أنصار الجيش الجمهوري الإيرلندي – من وجهة نظر الحكومة – نفذوا العديد من التفجيرات في لندن وإيرلندا الشمالية، بل قصفوا مقر رئيس مجلس الوزراء بالصواريخ، ولكن لم يُعلم أن المواطنين الإيرلنديين الكاثوليك وضعوا تحت المراقبة، أو جرى تصنيفهم كخطرين على الأمن القومي البريطاني، لأنهم أو أبناءهم ذهبوا إلى كنائس كاثوليكية فيها متطرفون إيرلنديون[1].

صورة أخرى، حدثت مع "شاهد مالك" – أول وزير مسلم في بريطانيا (2006) – وهو يحاول تهدئة الحشود من الشباب الغاضب في مدينة برلني شمال بريطانيا، فإذا بالشرطة تنهال عليه بالضرب ثم قاموا باعتقاله، وكل ذلك لأن ملامحه شرق أوسطية، وعندما عرفوا شخصيته أطلقوا سراحه[2].

وفي موقف آخر أقدمت المحكمة البريطانية على إدخال تعديلات على قوانين احتجاز المتهمين تعطي الشرطة صلاحيات أكبر في إطالة مدة احتجاز المتهمين المفترضين بالإرهاب دون أدلة واضحة، وتوقيف هؤلاء وتفتيشهم في أي وقت، والجالية الإسلامية في بريطانيا ستكون الأكثر تضرراً، إن لم تكن المتضرر الوحيد، من هذه التعديلات القانونية الجديدة، وفي يوم

---

[1] تصرف عنصري ضد شرطي مسلم 10/ 11/ 2006 www.alquds.co.uk.

[2] أول وزير مسلم بريطاني: قلوبنا تعتصر حزنا على ما وصلت إليه غزة 11/ 8/ 2007 www.alzawraa.net.

2007/11/10 قال "جوناثان إيفانز" – رئيس جهاز الأمن الداخلي البريطاني – إن هناك ثلاثة آلاف إرهابي مفترض في بريطانيا جميعهم من المسلمين المتطرفين[1].

وساهمت صحيفة التايمز اللندنية بإظهار جانب من السلبيات، التي قد تنشأ من جراء تطبيق قوانين مكافحة الإرهاب الجديدة، وذلك باستعراضها بعض ما جاء في تقرير صادر عن وزارة الداخلية البريطانية تضمّن تقييماً للآثار الجانبية لتطبيق مشروع قانون جديد لمكافحة الإرهاب، عرضته وزيرة الداخلية، "جاكي سميث"، على مجلس العموم البريطاني، ويدعو إلى الزيادة في مدة اعتقال المشتبه في انتمائهم إلى حركة إرهابية على ذمة التحقيق، إلى 42 يوماً. علماً بأن المدة الحالية، لا تتجاوز 28 يوماً. وينقل التقرير الرسمي، تخّوف الهيئات الممثلة للمسلمين في بريطانيا من عواقب تنفيذ هذا القانون، ومن إمكانية أن يحدّ من تعاون تلك الهيئات، مع السلطات البريطانية من أجل الحد من انتشار "التطرف". وأعربت الهيئات الممثلة للمسلمين في بريطانيا – حسب التقرير – عن اعتقادها بأن مشروع قانون مكافحة الإرهاب، الجديد، سيزيد شعور المسلمين بأنهم مضطهدون. وتعلق "التايمز" في افتتاحيتها الأولى على مشروع القانون هذا، فتقول إن خطر الإرهاب، ماثل وحقيقي، لكن مشروع القانون الجديد قد يصبّ الزيت على النار. وهو مشروع غامض العبارة، خطيرٌ أخلاقياً، ولا جدوى منه[2].

ولم تتوقف سياسة التمييز، والاعتداء على الحريات المدنية عند هذا الحد، بل إن قوات الأمن البريطانية شنت غارات مفاجئة على منازل يقيم فيها مسلمون، وتبين بعد ذلك أن هؤلاء أبرياء، كما حدث مع مجموعة من أبناء المغرب العربي في مانشستر وشمال لندن، ومع "محمد عبد القهار" وأخيه "عبد القدير"، ومع طيار جزائري اسمه "الرايسي"، حيث اتهمته الأجهزة الأمنية بتدريب أعضاء في خلية هاجمت مركز التجارة العالمي، وبعد ستة أشهر برّأته المحكمة من كل التهم الموجهة إليه. إن مثل هذه الاعتقالات، وما يرافقها من اهتمام إعلامي، تعمل على إثارة الرعب في صفوف البريطانيين، الأمر الذي يمكن أن يزيد في عزلها، وتهديد أرواح أبنائها، من حيث جعلهم هدفاً للجماعات العنصرية المتطرفة[3].

---

[1] عطوان، عبد الباري، محنة المسلمين في بريطانيا 17/ 11/ 2007 www.alquds.co.uk.

[2] آفاق: الصحف البريطانية الجمعة 25/ 1/ 2008 www.jeel-libya.com.

[3] استهداف المسلمين في بريطانيا 16/ 6/ 2006 www.alquds.co.uk.

والمخاوف التي حذر منها المسلمون في بريطانيا وقعت حقيقة، وهذا ما أكدته الشرطة البريطانية، حيث أعلنت أن ما أسمته جرائم الكراهية الدينية تضاعفت ست مرات في لندن. وقال متحدث باسم الشرطة إن معظم تلك الجرائم كانت ضد المسلمين، وتتمثل في الإهانات والإساءات الشفهية، بالإضافة إلى اعتداءات وهجمات على ممتلكات المسلمين. ووصل الأمر إلى هجوم عنصري على المصلين أثناء صلاة العشاء في مسجد دايدف بمقاطعة ويلز، مما أدى إلى مقتل حارس المسجد "محمد أشرف"[1].

ورغم كل هذه المظاهر، وما حدث من استهداف للعرب والمسلمين بعد أحداث 9/11، فإنّ الأوضاع – بشكل عام – تشير إلى ارتياح لدى أبناء الجاليتين العربية والإسلامية، ذلك أن بريطانيا كانت ولا تزال من أكثر الدول الأوروبية تسامحاً وترحيباً بالإسلام والمسلمين، وفكرة أن هناك عداء للإسلام في بريطانيا، فكرة خبيثة للغاية، هدفها ترويج الشقاق، وبريطانيا على الرغم من كل الملاحظات، ساعدت على الترحيب بالمسلمين وتشجيع بناء المساجد والسماح بانتشار المدارس الإسلامية، والترحيب بمظاهر انتشار العادات والتقاليد الإسلامية كافة . وأن وضع العرب والمسلمين في بريطانيا ومدى تمتعهم بالحقوق المدنية، يبقى أفضل بكثير من وضع الجاليات العربية والإسلامية في الدول الأوروبية الأخرى.

---

[1] قتل حارس مسجد ويلز مخاوف موجه هجمات عنصرية ضد مسلمي بريطانيا 7/ 6/ 2002 .www.alquds.co.uk

الفصل الثالث

المشكلات التي تواجه العرب والمسلمين في بريطانيا

ودور الجمعيات الإسلامية في حلها

1.3 المشكلات التي تواجه العرب والمسلمين في بريطانيا

1.1.3 التشتت وعدم وحدة الصف

2.1.3 التمييز العنصري والديني

3.1.3 الإعلام السلبي

4.1.3 الهاجس الأمني

5.1.3 الأفكار المتطرفة والاتجاهات الضالة

6.1.3 المشكلات الاجتماعية

الفصل الثالث

المشكلات التي تواجه العرب والمسلمين في بريطانيا ودور الجمعيات الإسلامية في حلها

1.3 المشكلات التي تواجه العرب والمسلمين في بريطانيا

بعد اتساع المساحة التي يسكنها المسلمون في بريطانيا، ومع تزايد أعدادهم، وكثرة احتياجاتهم، برزت أمامهم مشكلات كثيرة، انعكست آثارها على أوضاعهم الحيوية في المجتمع البريطاني، وسوف يقوم الباحث باستعراض هذه المشكلات؛ لأن هذا – باعتقاد الباحث – يساهم في حل تلك المشكلات، ويشكل جزءاً من العلاج، فمعرفة الداء نصف الدواء، وتشخيص المشكلة بداية الحل.

لقد قام الباحث بحصر المشكلات التي تواجه العرب والمسلمين في بريطانيا في ستة عناوين:

1. التشتت وعدم وحدة الصف
2. التمييز العنصري والديني.
3. الإعلام السلبي.
4. الهاجس الأمني.
5. مواجهة الأفكار المتطرفة والاتجاهات الضالة
6. المشكلات الاجتماعية.

وسوف يستعرض الباحث هذه المشكلات بشيء من التفصيل.

1.1.3 التشتت وعدم وحدة الصف:

إن الناظر إلى حال العرب والمسلمين على الساحة البريطانية يلاحظ مدى تشتتهم، والاختلاف الذي أضعف صوتهم، وأضاع قسماً من حقوقهم، اختلاف في كل شيء، حتى في المناسبات الدينية، مثل الاختلاف في صوم رمضان، وعيد الفطر وما شابه ذلك. ووجه آخر يتمثل في الفرقة بين الجمعيات والمؤسسات والمراكز الإسلامية المنتشرة بكثرة في بريطانيا، خاصة في الأمور السياسية، وفي رؤيتهم لطبيعة الاندماج مع المجتمع البريطاني، فوجد الباحث أن مجموعة

من تلك الجمعيات والمؤسسات تدعو إلى الاندماج في المجتمع البريطاني، وممارسة المواطنة بشكل كامل والمشاركة في الانتخابات، وتمثل هذا الاتجاه جمعيات ومؤسسات كثيرة، وعلى رأسها المجلس الإسلامي البريطاني (MCB)، وفي الجهة الأخرى، يوجد من يرفض الاندماج، ويحرم المشاركة في الانتخابات، ويمثل هذا التوجه فئة صغيرة أمثال "حزب التحرير" و "المهاجرين" و "مسجد فنسبيري بارك" قبل اعتقال إمامه "أبو حمزة المصري"[1].

وبالنسبة للمشاركة في الانتخابات؛ لم يكن الاختلاف في حلها أو حرمتها فحسب، بل إن الذين يشاركون في الانتخابات ليس لهم صوت واحد، فأصواتهم مشتته بين الأحزاب، فمنهم من أيد حزب العمال – وهم الغالبية –، وآخرون وقفوا مع حزب المحافظين، وقسم ثالث مع حزب الأحرار الديمقراطيين، وغير ذلك.

ولحل مشكلة، التشتت وفرقة الصف، تضافرت جهود شخصيات عربية وإسلامية على الساحة البريطانية لإيجاد كيان يوحدهم، وقبل سنوات تكللت جهودهم بالنجاح، فأنشأوا منظمة إسلامية كبيرة على مستوى البلاد، تجمع كل المنظمات العربية والإسلامية تحت مظلتها، وهي المجلس الإسلامي البريطاني (MCB)، والجهود لا تزال مستمرة في محاولة ضم جمعيات أخرى لهذا المجلس[2].

2.1.3 التمييز العنصري والديني:

وقد تحدث الباحث عن هذه القضية سابقاً*، ولكن لكونها تشكل عائقاً ومشكلة أمام العرب والمسلمين في بريطانيا، فلا بد من التطرق إليها في هذا المبحث؛ لأن التمييز العنصري والديني يتسببان في إيجاد مشكلات معقدة وخطيرة، أهمها قلة التعليم والفقر، ومما ساهم في إذكاء روح العنصرية في المجتمع البريطاني عوامل عدة، منها: أحداث 9/11 في الولايات المتحدة، وتفجيرات 7/ 7/ 2005 في لندن، والإعلام البريطاني، والقوانين الجديدة التي سنتها الحكومة البريطانية لمواجهة الإرهاب والتطرف.

---

[1] يحمد، هادي، مسجد أبو حمزة المصري بلندن في نسخته الجديدة 23/ 4/ 2008 www.islamonline.net.

[2] عز الدين، عبد الباسط، واقع الأقلية المسلمة في بريطانيا 21/ 3/ 2008 www.imanway.com.

* أنظر: عرب ومسلمو بريطانيا والحقوق المدنية(4.3.2).

إن مظهر العربي والمسلم أصبح مدعاة للتوقيف أو الاعتقال في أي مكان في بريطانيا، وهذا بحد ذاته إشكال كبير وخطير يواجهه العرب والمسلمون في بريطانيا، وفي هذا الشأن يقول "ساجد كريم" – الذي انتخب لعضوية البرلمان الأوروبي لعام 2004 بترشيح من الحزب الديمقراطي الحر، غرب إنجلترا – "نكافح حتى نكون مواطنين صالحين، غير أن حكومتنا تفرض بحقنا قوانين غير عادلة"، وحسب "كريم" فإن "أي شخص في المملكة المتحدة اليوم يمكن أن ينتزع من الشارع ويلقى به في مركز اعتقال دون تهمة محددة، ودون إخباره بأسباب الاعتقال؛ لأنه لا يتمتع بأية حقوق قانونية، كما أنه ليس من حق أي شخص معرفة أين يوجد الشخص المعتقل"[1].

وفي برنامج تلفزيوني لهيئة الإذاعة البريطانية" (BBC) كشف عن تصاعد العنصرية في المجتمع البريطاني، إذ اعترف أعضاء في الحزب القومي البريطاني اليميني بارتكاب اعتداءات عنصرية ضد مسلمين، ووصف أحدهم الإسلام بأنه دين كريه، حيث تضمن البرنامج لقطات صورت سراً في بلدة "كيلي" الشمالية، وظهر فيها زعيم الحزب "نيك جريفين" وهو يتحدث بشكل مسيء عن القرآن. وقال "جريفين" خلال البرنامج: "انتشر هذا الدين الكريه الخبيث على يد حفنة من المعتوهين قبل نحو 1300 عام حتى أصبح الآن يجتاح بلداً تلو الآخر"!! ويظهر في لقطات أخرى من البرنامج أحد أعضاء الحزب وهو يبدي رغبته في نسف المساجد باستخدام قاذفة صواريخ، وحصد المصلين بالرشاشات بحوالي مليون رصاصة، وتحدث عضو آخر في الحزب عن قيامه بوضع براز كلب في صندوق بريد متجر يملكه آسيوي، في حين تحدث آخر عن قيامه بضرب رجل مسلم ويقول: "وأنا أركله.. كان إحساساً رائعاً"!! [2]. وفي إحدى المرات أرسلت هيئة الإذاعة البريطانية (BBC) طلبات توظيف إلى 50 مؤسسة لستة مرشحين وهميين ألمحت إلى أصولهم، وجاء احتمال توجيه دعوة للمقابلة أكبر بالنسبة للمرشحين البيض 25% منه للمرشحين السود 13%، أما الذين يحملون اسماً مسلماً فـ 9%[3].

إن مظاهر التمييز العنصري والديني ساهمت في إيصال الأمور إلى ما يسمى

---

[1] المسلمون في العالم: قضايا وأحداث، نائب بريطاني: حياة المسلمين اليومية في أوروبا صعبة للغاية 2/ 1/ 2008 www.alghd.jo.

[2] فرغل، يحيى هاشم، (2005)، تهمة التطرف الإسلامي، 2008/4/22 www.alarbnews.com.

[3] زهرة، السيد، محنة المسلمين في أوروبا(1)، 25/ 2/ 2008 www.arabenewal.org.

"الإسلاموفوبيا"، حيث الشعارات المرفوعة ضد العرب والمسلمين والهجوم على المساجد، والاعتداءات على الأشخاص، اعتداءات لفظية وجسدية، وخلال أسبوع واحد تم رصد 50 اعتداءً على العرب والمسلمين، معظمها ضد محجبات، واعتداءات على سبعة مساجد، وذلك وفق بيانات اللجنة الإسلامية لحقوق الإنسان [1]. وأحد المظاهر التي تدلّل على العنصرية، إطلاق مشجعي فريق "نيوكاسل" الإنجليزي لكرة القدم شعارات مناهضة للإسلام والمسلمين بحق مهاجم فريق "ميدلزبوره" الإنجليزي "ميدو" في آب عام 2007، وتحرشات قام بها بعض البريطانيين العنصريين بمسيحيين، لأن مظهرهم عربي، وكذلك اعتداء على هنود من السيخ بمجرد أنهم يلبسون عمامات، ولهم لحى طليقة [2].

ولم يسلم أموات المسلمين من عنصرية هؤلاء، فقد أعلنت الشرطة البريطانية عن رصد مكافأة تصل إلى خمسة آلاف جنيه استرليني لمن يدلي بمعلومات تفيد في معرفة مرتكبي جريمة تدنيس جثة امرأة مسلمة في مشرحة أحد المستشفيات في غرب العاصمة لندن. كانت المواطنة البريطانية المسلمة "حبيبة محمد" البالغة من العمر 65 عاماً قد توفيت نتيجة لإصابتها منذ فترة طويلة بمرض السرطان، ولفظت أنفاسها الأخيرة في مستشفى "هيلنجتون" يوم 17/ 1/ 2002، وعندما جاءت أسرتها لاستسلام الجثة من المشرحة وجدوها مشوهة بأسلوب وصفته الشرطة بأنه بشع وغير مسبوق في بريطانيا. وقال متحدث باسم شرطة أسكوتلانديا واسكتلانديارد إن المحققين وجدوا الجثة قد تم تشويهها بصورة مرعبة، وقام الجناة بوضع شرائح من لحم الخنزير على وجه المرأة وأجزاء من جسدها[3].

ورغم كل هذه المظاهر، وتلك الاعتداءات، فإنّ غالبية الشعب البريطاني ترفضها، وتندد بمن يمارسها، وعلى العرب والمسلمين العمل مع هذه الأغلبية البريطانية، لتجاوز مشكلة التمييز العنصري والديني، والوصول بأمان إلى الصفة التي يتميز بها المجتمع البريطاني ويفتخر بها، ألا وهي الديمقراطية البريطانية متعددة الثقافات والأديان، وجاءت مواقف عدد من السياسيين والكتاب البريطانيين لتصب في هذا الاتجاه، وتنصف المسلمين، وتنتقد التمييز بأشكاله كافة.

---

[1] المجتمع، من المجرم الحقيقي وراء تفجيرات لندن، (2005)، 20/ 8/ 2007 -www.almojtamaa .mag.com

[2] حزين، عبد الحليم، مصدر سابق.

[3] تقي الدين، أحمد السيد، ذهب ولم يعد، مجلة الأزهر السنة 76، ج3، (2003)، ص490.

3.1.3 الإعلام السلبي:

لا يخفى على أحد دور الإعلام بأشكاله الثلاثة، المقروء والمرئي والمسموع، ولذا كان أمام العرب والمسلمين في بريطانيا مهمة كبيرة، وهي مواجهة وسائل الإعلام الكثيرة، والتي تستهدف العرب والمسلمين، وتقوم بدور خطير في رسم صورة سلبية مشوهة لهم، مما يؤثر في اندماجهم، عدا عن جسور الكراهية والتطرف التي تبنيها هذه الوسائل، بدل التعارن والتعاوف وقبول الآخر، فهي ما فتئت تشن حرباً ثقافية ضد العرب والمسلمين، ابتداء من الصحف والمجلات والسينما والمسرح، ومروراً بالرسوم الكاريكاتورية.

وقد ظهرت تقارير عديدة منذ سنة 1973 إلى سنة 2007 حول الإعلام البريطاني ودوره في رسم صورة العرب والمسلمين، ومنها تقرير أشرف على إصداره عمدة مدينة لندن "كين ليفنغستون" وعنوانه "المسلمون وغير المسلمين والإعلام البريطاني"، صدر في شهر 11/ 2007، وهو تقرير موسع يقع في 180 صفحة. وتوصل التقرير إلى عشر نتائج أساسية، منها:

1. أن المسلمين في بريطانيا يوصمون بأنهم يشكلون تهديداً للقيم والتقاليد وأساليب الحياة البريطانية.
2. أن الحقائق المتعلقة بالمسلمين يتم تشويهها بشكل دائم ومنتظم.
3. أن اللغة التي يتم استخدامها هي دوماً لغة غير معتدلة ومسيئة.
4. أن التغطية الإعلامية تفاقم الإحساس بعدم الأمان والشك والقلق من المسلمين.
5. أن التغطية الإعلامية لا تساعد على تقليل معدلات جرائم الكراهية وأعمال التمييز غير القانونية التي ترتكب ضد المسلمين.
6. أن التغطية الإعلامية هي حاجز أساسي يحول دون نجاح برامج وسياسات الحكومة لتحقيق الاندماج الاجتماعي.

إن القائمين على الدراسة أخذوا أسبوعاً واحداً بشكل عشوائي – من 8 إلى 14/ 5/ 2006 – ورصدوا فيه ما نشرته الصحف البريطانية من مقالات عن العرب والمسلمين وقاموا بتحليلها، فوجدوا 352 مقالة تشير إلى الإسلام والمسلمين، منها 91% تقدم صورة سلبية. فقط 4% منها تم اعتبارها إيجابية، و5% محايدة، 12 صحيفة من بين 19 صحيفة تمت دراسة ما نشرته، لم تقدم

أي جانب إيجابي على الإطلاق. وأضافوا، إن 96% من تغطية الصحف الشعبية كانت سلبية، بينما 89% من تغطية الصحف الرصينة كانت سلبية[1].

وقد قامت باحثة بريطانية وهي "اليزابيث بول" برصد صحيفتين بريطانيتين، وهما "الجارديان" اليسارية، و"التايمز" اليمينية، ما بين عامي 1993 –1997 فعثرت على 6 آلاف مقالة عن الإسلام والمسلمين، كان منها 800 مقالة تتعلق بالمسلمين في بريطانيا، وخلصت إلى نتيجة مفادها أن غالبية المواضيع التي تخص المسلمين، تعكس سلبية المجتمع الإسلامي داخل بريطانيا[2].

وضمن مشاركة الباحثة "اليزابث بول" نفسها في كتاب "موسوعة الدراسات العرقية والإثنية Encyclopedia of Race and Ethnic studies"، انتقدت وسائل الإعلام الغربية، محملة إياها مسؤولية العمل على نشر " الإسلاموفوبيا"، وخلصت من خلال متابعتها للصحف البريطانية بين عامي 1994 – 2004، إلى أن آراء المسلمين عادة ما تكون غير ممثلة، وأن وسائل الإعلام تصور المسلمين في قضايا تخصهم بصورة سلبية[3].

وفي دراسة استطلاعية أعدتها مؤسسة "رنيميد ترست The Runnymede trust" وتعد أول عمل استطلاعي ميداني تقوم به مؤسسة مستقلة تبحث أوضاع المسلمين في بريطانيا، حيث شكلت هذه المؤسسة طاقم تحقيق مكوناً من "جوردن كونويه" نائب رئيس جامعة ساسيكس – وهو رئيس الطاقم– ومطران لندن "ريتشارد تشارتز"، والحاخام "جوليا نويرغر، و"أكبر أحمد" أستاذ علم الإنسان في جامعة كامبريدج، و"زكي بدوي" عميد الجامعة الإسلامية بلندن، و"ريت ستون" رئيس المجلس اليهودي للمساواة العرقية، و"ايان هارغريفيس" رئيس تحرير صحيفة "نيوستيتمان"، وتشير الدراسة إلى أن العداء والتحيز ضد المسلمين في بريطانيا مشكلة جدية، وإن هناك مشاعر معادية للمسلمين بشكل ملحوظ في معظم ما ينشر ويذاع في وسائل الإعلام الإنجليزية، خاصة الصحف، بل إن تلك المشاعر عنيفة ووقحة في صحف الإثارة البريطانية اليومية. وإن كانت أقل عنفاً في

---

[1] أخبار المسلمين في العالم، مجلة الوعي، العدد 251(12/ 2007)، ص 24–25.

[2] بشاري، محمد، (2004)، مصدر سابق، ص 71 – 73.

[3] حزين، عبد الحليم، مصدر سابق.

الصحف الجادة، لكنها لا تخرج عن حيز الطرق الخبيثة التي يصوَّر بها المسلمون في وسائل الإعلام البريطانية[1].

ولم يسلم العرب والمسلمون من سهام الإعلام البريطاني المسموع، وهو لا يقل خطورة عن الإعلام المقروء، ففي دراسة علمية حول صورة العالم الإسلامي في الإذاعات الأجنبية، أوردها "محيي الدين عبد الحليم" تبين منها أن نسبة الأخبار السلبية في نشرات الأخبار التي تبثها هيئة الإذاعة البريطانية بلغ 43.09% من مجموع ما تبثه عن الدول الإسلامية، مقابل ما نسبته 21.13% من أخبار إيجابية، وتكاد تتخذ هيئة الإذاعة البريطانية من نشر هذا الجانب من الأخبار مادة دعائية لتشويه صورة العرب والمسلمين[2].

وأما الإعلام المرئي، فإنه لم يتوانَ كذلك عن تشويه صورة العرب والمسلمين، ففي الفيلم البريطاني "سيف الإسلام" الذي أذاعه التلفزيون الحكومي، ظهر المسلمون بشكل متخلف وغير حضاري، وفيلم "علاء الدين"، وهو فيلم رسوم متحركة للأطفال، يظهر المسلمين على أنهم يعيشون من أجل المتعة الجسدية فقط[3].

بعد كل هذا، فإن العرب والمسلمين في بريطانيا أمام مهمة كبيرة، إذ إن عليهم إعطاء صورة مشرقة عنهم عبر إعلام موجّه، ويرى الباحث أنهم قد قاموا بجهود جيدة في مجال الإعلام، أبرزوا من خلالها صوراً مشرقة عن العرب والمسلمين، وهم بذلك يصنعون جزءاً من الحل لمشكلة الإعلام السلبي، الذي رأينا ضخامة حجمه.

ومن الإعلام المقروء للعرب والمسلمين على الساحة البريطانية، ما يصدر من صحف ومجلات، منها: "الشرق الأوسط"، "المحايد"، "القدس العربي"، "الدبلوماسي"، "الزمان"، "العرب"، "الحياة"، "المشاهد السياسي"، ومن المجلات "الهلال"، "القلم"، "طريق الخير"، "المجتمع"، "مسلم نيوز"، "البيان"، "أخبار المسلمين" "فلسطين المسلمة". "الصحفي"، وهذه تصدر باللغة العربية، وهناك بعض الصحف تصدر والمجلات باللغة الإنجليزية، مثل:" أخبار المسلم muslim news"،

---

[1] بشاري، محمد، (2004)، مصدر سابق، ص 74-78.

[2] المصدر السابق، ص69.

[3] المصدر السابق، ص 129-130.

"البصيرة albasirah"، ومجلة "الصراط المستقيم"[1]، أما الإعلام المرئي، فمن أمثلته قناة "الحوار" وقناة "الإسلام".

ولا بد للعرب والمسلمين في بريطانيا من مضاعفة الجهود في المجال الإعلامي؛ لأنه من أخطر الوسائل في التأثير، ولأن الإعلام الموجّه ضدهم متنوع وكبير، ويمتلك إمكانيات ضخمة وكثيرة، ومن أهم ما ينبغي فعله، إيجاد إعلام موجه للمواطن البريطاني، بلغته وبما يناسب اهتماماته ويراعي ثقافته، حيث أن غالبية الإعلام العربي والإسلامي في بريطانيا موجه للعرب والمسلمين كما هو واضح من خلال الصحف والمجلات التي يصدرونها، والقنوات التي يديرونها.

4.1.3 الهاجس الأمني:

بعد التفجيرات الأربعة التي وقعت في لندن يوم 7/ 7/ 2005، وأسفرت عن مقتل 52 شخصاً وإصابة 700 آخرين بجروح، أخذت الحكومة البريطانية بوضع مقترحات لقوانين تساهم في مكافحة الإرهاب، ومن أكثر الأمور المقترحة إثارة للجدل، ما طلبته الشرطة من تمديد فترة الاحتجاز من غير محاكمة، وتجريم تمجيد الإرهاب أو تبريره، وانتقدت منظمات حقوق الإنسان، والمؤسسات الإسلامية، وهيئات إنسانية عديدة هذه القوانين، ووصفت منظمات الحريات المدنية تلك المقترحات بأنها قاسية بالمقارنة مع دول أخرى .

يقول "أنس التكريتي" – المتحدث باسم الرابطة الإسلامية في بريطانيا –: "إن المشكلة الرئيسة في صياغة هذه القوانين، الفضفاضية المتناهية والتي تسمح بأشكال للتأويلات والتفسيرات وكذلك المترتبات والإجراءات". لذلك يرى العديد من قادة العمل الإسلامي في بريطانيا أن هذه القوانين تستهدف المسلمين، وهذا ما حدا بعض الطلبة المسلمين والزائرين الطارئين إلى أن يغادروا بريطانيا[2].

وإن هذه القوانين تزرع في نفوس العرب والمسلمين هوساً أمنياً، وفي هذا الشأن يقول رئيس المجلس الإسلامي في بريطانيا "محمد عبد الباري": "إن أسلوب الحكومة البريطانية في

---

[1] رضا، محمد، (1999)، مصدر سابق، ص72.

[2] حوارات 21/ 12/ 2007 www.islamonline.net.

مكافحة الإرهاب يخلق مناخاً من الشك والقلق"، ويضيف: "الجو حولنا يمتلئ بالشك والريبة، إنه أمر سيّئ بالنسبة للطائفة الإسلامية، وسيّئ بالنسبة للمجتمع ككل"[1].

وتزداد المسألة تعقيداً، وتتفاقم المشكلة في نظر العرب والمسلمين في بريطانيا عندما وصل الهاجس الأمني إلى المساجد، حيث اقتحم حوالي 300 من قوات الأمن والشرطة البريطانية مسجد "فنسبيري بارك" من الأبواب والشبابيك بحجة البحث عن مادة الرايسين السامة، واعتقلوا ستة شباب عرب من الجزائر، وتعد هذه العملية الأولى من هذا النوع ضد مراكز عبادة المسلمين حسب قول نائب رئيس الرابطة الإسلامية في بريطانيا "محمد صوالحة"، والذي أضاف: إن الشرطة لم تعثر على أية مادة سامة داخل المسجد، وتعتبر هذه العملية نوعاً من التحريض على الجالية المسلمة في بريطانيا[2].

فإذا كانت المساجد غير آمنة، فإن هذه مشكلة كبيرة تواجه المسلمين في بريطانيا؛ لأن المسلم سيعيش في قلق دائم، فهو معرض في أية لحظة للاعتقال حتى لو كان في المسجد لأداء الشعائر التعبدية، ويرى المسلمون في بريطانيا أن الهاجس الأمني أصبح يلاحق المسلمين في أي مكان من بريطانيا، فالقضية ليست محصورة في المساجد وروادها، بل هي أعقد من ذلك، والدلائل كثيرة، فقد حدث توقيف في الشواع والمطارات، وتجسس على الطلاب في الجامعات، واقتحامات للمنازل والمؤسسات، ومن الشواهد على ذلك، ما جاء في الصحافة البريطانية حول قصة الطفل الباكستاني المسلم، "جافيد إقبال" والذي يحمل الجنسية البريطانية الذي لا يزيد عمره على سبعة أعوام ونصف، حيث أراد السفر مع والدته ناشابا نديم (35 سنة)–وهي طبيبة– وأختيه التوأمتين سناء وفريحة (9 سنوات) وشقيقته الصغرى افتكار (5 سنوات) لقضاء العطلة في أمريكا، وعندما وصلوا إلى مطار مانشستر فإذا برجال الأمن يستوقفونه 3 ساعات، فأصيب الطفل بالذعر والخوف، وأصبح يطالب والدته بعدم السفر ثانية، وقال والده "نديم إقبال" إنّ ابنه أصبح يعاني من صدمة نفسية، وأضاف: إنه يفكر جدياً في تغيير اسم ابنه حتى لا يتعرض للاستجواب مرة أخرى في مطار دولي، وربما للاعتقال عندما يصل إلى سن البلوغ[3].

---

[1] انتقادات إسلامية لإجراءات مكافحة الإرهاب في بريطانيا 10/ 11/ 2007 news.bbc.co.uk.

[2] لا فرق لدي بين السجن والمنزل (2003)، 20/ 5/ 2008 www.azzaman.com.

[3] طفل مسلم يستوقف في مطارات دولية بشبهة الإرهاب، جريدة القدس(فلسطين)، 2007/8/22، العدد 13654،ص21.

وموقف آخر تناقلته وكالات الأنباء، حيث ذكرت أن تقارير صحفية جاء فيها: إن وزارة التعليم العالي أعدت وثيقة تطالب هيئات التدريس في الجامعات البريطانية بالتجسس على الطلاب المسلمين بحجة أنهم قد ينظمون أنشطة وفعاليات ترسخ التشدد والتطرف في أذهان زملائهم، وجاء تعليق رئيس اتحاد الطلاب المسلمين على ذلك، أن هذه الوثيقة هي أسوأ انتهاك لحقوق الطلبة المسلمين، وهي تضع الطلاب المسلمين في دائرة الشك والتحقيق، كما لو كان هؤلاء الطلاب متهمين حتى تثبت براءتهم، وكذلك رفض اتحاد الطلاب والجامعات البريطانية خطة الحكومة لمراقبة ومتابعة سلوك الطلاب والأساتذة المسلمين، وطلب من أعضائه البالغ عددهم حوالي 120الفا رفض المشاركة في الخطة الحكومية[1].

وفي إطار التجسس كذلك، وضعت الحكومة البريطانية مشروعاً بتكلفة 6 ملايين جنيه استرليني في نيسان 2007 لتدريب أئمة المساجد في بريطانيا، ويتبين من خلالة – كما يقول الأمين العام لمجلس مسلمي بريطانيا "عنايات بنجلاولا" – إن الحكومة تريد من الأئمة أن يعملوا كجواسيس على الشباب المسلم البريطاني. ولم يقف الأمر عند هذا، بل تعداه إلى النساء المسلمات، حيث كشفت وزارة الجاليات والحكم المحلي البريطاني عن خطة تستهدف مواجهة الأفكار "المتطرفة" من خلال تدريب المرأة المسلمة على مهارات التصدي لتلك الأفكار. لكن مجلس مسلمي بريطانيا اتهم الحكومة بالسعي من خلال هذه الخطة إلى تجنيد المسلمات وتحويلهن إلى جاسوسات لصالحه، وذكرت صحيفة " صنداي تايمز" البريطانية (8/ 1/ 2008) أن جوهر الخطة التي أعلنتها وزيرة شؤون المجتمعات المحلية "هازل بليرز" يتمثل في تنظيم دورات تدريبية تخصص لنساء مسلمات لمساعدتهن على مكافحة "الأفكار المتطرفة والتصدي لخطاب المتشددين". وبعض هذه الدورات سيقدم للزوجات اللاتي يعتقد أن أزواجهن يميلون لأفكار "الجهاديين"؛ لكي تكون لديهن القدرة على مناقشة هذه الأفكار ومواجهتها، كما ستقدم للأمهات لمساعدتهن على مناقشة أبنائهن إذا كن يعلمن أنهم يميلون للاستماع إلى الأئمة المتشددين[2].

---

[1] عطا، أحمد، أساتذة بريطانيا يرفضون مراقبة الطلاب المسلمين، (2007)، 1/ 3 2008 www.islamonline.net.

[2] الوكيل،بسيوني، (2008)، لندن تدرب المسلمات على مواجهة فكر الجهاديين 14/ 4/ 2008 www.islamonline.net.

وقد ساور القلق المسلمين في بريطانيا، وأبدوا انزعاجهم من الخطة الحكومية للتجسس عليهم، عندما كشفت وزيرة الجاليات البريطانية "روث كيلي" عن تفاصيل الخطة المثيرة للجدل، التي تستعين فيها لندن، بالإدارات المحلية، للتغلب على ما تصفه "بالتطرف".

وبحسب شبكة "FINF" فإن الخطة الحكومية التي وضعتها "الوزيرة "كيلي"، تعتمد على دفع الآلاف من موظفي المجالس المحلية والبلديات، في عموم بريطانيا، لممارسة أنشطة تجسسية لمتابعة من تصفهم الحكومة البريطانية بـ "الراديكاليين الإسلاميين"، وكانت صحيفة "ديلي ميرور" المؤيدة لحزب العمال الحاكم، قد نقلت تأكيدات "روث كيلي" على أن المحكمة ستعطي 50 إدارة محلية، حوالي 5 ملايين جنيه إسترليني، من أجل تجنيد عيون وآذان للأجهزة الأمنية في أوساط الجالية المسلمة في مختلف أرجاء بريطانيا. وسارعت قيادات الجالية المسلمة في بريطانيا، إلى التنديد بهذه الخطة، ووصفتها بالتحركات العنصرية، وهذه التحركات سوف تنعكس بالسلب على فرص تكامل الجالية المسلمة، داخل المجتمع البريطاني، وتعيق كل محاولات التعايش. وحتى النقابات والاتحادات العمالية البريطانية حذرت من خطورة خطة "روث كيلي"[1].

إن الهواجس الأمنية أصبحت مشكلة لدى كثير من أبناء الجالية العربية والمسلمة في بريطانيا، فهي تلاحقهم في الشارع، والجامعة، والمسجد، والعمل، وحتى البيت – كما هو واضح من الخطة التي أعلنتها وزيرة شؤون المجتمعات المحلية "هازل بليرز" *– ، بل إن الأمر تعدى ذلك، إلى مراقبة وشكوك ومضايقات خارج حدود بريطانيا، فقد أصبح المسلم البريطاني ملاحقاً حتى وهو يؤدي شعائر الحج، فقد كشفت صحيفة "صنداي تايمز" (23/ 1/ 2007) عن أن الاستخبارات البريطانية تراقب كل مسلم يغادر المملكة المتحدة لأداء شعائر الحج في مكة المكرمة. وأضافت الصحيفة إن رئيس جهاز (أم أي 6) "جون سكارليت" والمديرة العامة لجهاز (أم أي 5) "أليزا مانينغهام بولار" أبلغا النائب العام البريطاني – اللورد " غولد سميث"– بأن جهازيهما ، يراقبان كل مسلم بريطاني يذهب إلى مكة لأداء شعائر الحج، وانتقد زعماء الجالية الإسلامية في بريطانيا هذه العملية الأمنية[2].

---

[1] دعوة مسلمي بريطانيا الى مكافحة التطرف(2006)، 20/ 2 /2008 news.bbc.co.uk

* أنظر: ص76.

[2] وكالات (2007) الاستخبارات البريطانية تراقب كل مسلم يغادر المملكة المتحدة لأداء شعائر الحج 12/ 10/ 2007 www.alquds.co.uk.

إن هذه الشواهد وغيرها دعت المؤسسات والهيئات الإسلامية وزعماء الجالية العربية والمسلمة في بريطانيا للاحتجاج عليها، وانتقادها، كونها – كما يرون – ليست الطريقة المثلى لمواجهة التطرف والإرهاب – كما قال "كمال الهلباوي" مدير مركز دراسة الإرهاب في بريطانيا –، وقال: إن الحل يحتاج إلى السير في خطوات صحيحة، منها: أن تسمح الحكومة بدخول العلماء المسلمين إلى بريطانيا، أمثال "يوسف القرضاوي" – رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين –، وإفساح المجال لهم للحديث مع شباب تعتقد الحكومة أنهم يحملون فكراً متطرفاً، وكما نجح العلماء في مصر في الحديث مع مجموعات تميل إلى التطرف وثنيهم عن المضي في طريق الإرهاب، فاحتمال نجاحهم مع شباب في بريطانيا كبير، ونقطة أخرى في العلاج، تتمثل في قيام تعاون إيجابي بين الجالية المسلمة والحكومة البريطانية في مكافحة الإرهاب على أسس واضحة تدفع الهاجس الأمني عن أبناء الجالية المسلمة[1].

5.1.3 الأفكار المتطرفة والاتجاهات الضالة:

لقد ظهر في صفوف العرب والمسلمين في بريطانيا من حملوا أفكاراً متطرفة، وآخرون اختاروا السير في اتجاهات منحرفة، ورغم قلة عددهم، وانحسار مدهم، فإنّهم يشكلون مشكلات تؤثر على التعايش الذي تسعى إليه الجالية العربية والمسلمة في بريطانيا، وسيتناول الباحث ذلك عبر نقطتين: الأفكار المتطرفة، والاتجاهات الضالة.

1.5.1.3 الأفكار المتطرفة:

إن الساحة البريطانية شهدت أحداثاً دامية مع بداية القرن الجديد، حيث كانت تفجيرات 7/ 7/ 2005، وما كان من سقوط ضحايا أبرياء، وما نتج عنها من تداعيات، خاصة فتح ملف التطرف والإرهاب، وانشغال الهيئات الرسمية وغير الرسمية فيه، وظهور التباين في المواقف، والاختلاف في الآراء حول الكيفية التي ينبغي فيها مواجهة ذلك الملف الخطير، فلجأت الحكومة

---

[1] الجزيرة، أكثر من رأي، (2008) بريطانيا بين قوانين الطوارئ وحماية الحريات العامة، 20/ 3/ 2008 .www.aljazeera.net

البريطانية إلى سن تشريعات تحت اسم مكافحة الإرهاب، وأعدت لذلك خططا أمنية عديدة، كان من أهم نتائجها – كما يرى أبناء الجالية العربية والمسلمة – حصول مظالم كثيرة للعرب والمسلمين، من توقيف واعتقال لأشخاص ثبتت براءتهم بعد أشهر، وكذلك مداهمات لمنازل برأت المحاكم البريطانية أصحابها، وتجسس ومراقبة للمسلمين طلاباً وعمالاً وموظفين، وحتى نوابا في البرلمان، فضلاً عن المساجد والمدارس الإسلامية، وقد ذكر الباحث شواهد على ذلك في النقطة السابقة – الهاجس الأمني –.

أما الجالية العربية والمسلمة، فقد انتقدت القوانين التي سنتها الحكومة، ونددت بالخطط الأمنية التي رسمتها أجهزة الأمن، ورأت أنها تستهدف المسلمين بشكل خاص، وهذا الاستهداف يمكن أن يؤدي إلى نتائج عكسية تماماً، أي يصب في خدمة العناصر المتطرفة، ويزيد من إحراج القيادات المعتدلة، وأما الاتهامات التي أطلقت على الجالية العربية والمسلمة فهي غير عادلة على الاطلاق؛ لأنها لم تكن مسؤولة عن أي فكر متطرف، وغالبية أعضائها الذين يزيد عددهم على المليونين، هم من المعتدلين المؤيدين للأمن والاستقرار والمعارضين لكل فكر متطرف[1].

ويرى زعماء الجالية العربية والمسلمة، أن الأفكار المتطرفة عند الشباب المسلم في بريطانيا وفي غيرها مشكلة تحتاج إلى حل، فالتطرف يشوّه صورة المسلمين، وينفّر الآخرين من الإسلام، ويؤدي إلى تأصيل روح البغضاء والتواصل السلبي مع محيط الأقلية، لذا، فهي ترفض التطرف وتعتبره مشكلة ينبغي وضع الحلول المناسبة لها، ولم يتوانَ قادة العمل الإسلامي في بريطانيا في إدانة الفكر المتطرف، والأعمال الإرهابية، فيقول رئيس المجلس الإسلامي – محمد عبد الباري –: "لا يوجد تبرير للعمليات الانتحارية، إلا أن الانتحاريين ضحايا أيضاً، كما أنهم مجرمون"[2].

أما نائب رئيس الرابطة الإسلامية – محمد صوالحة – فهو يرفض الخطب التحريضية، ويدين العمليات التي تستفز الآخرين، وفي تصريحات له لمجلة "الزمان" البريطانية بعد اقتحام مسجد "فنسبيري بارك" قال: "إن السبب يعود إلى الخطاب التحريضيّ الذي يلقى في داخل المسجد خلال خطب الصلاة" وأكد "أن هذه الخطب للأسف تحرض المصلين على القيام بأعمال إرهابية"

---

[1] الجالية الإسلامية واحتضان التطرف (2005) 2008/2/4 www.alquds.co.uk.

[2] انتقادات إسلامية لإجراءات مكافحة الإرهاب في بريطانيا، مصدر سابق.

وأضاف "يوجد خطاب مستفز"، وحول سبل قطع الطريق على التحريض على عمليات إرهابية قال "صوالحة": "لا يوجد غير طريق واحد، هو ترشيد الخطاب الإسلامي، وترشيد الدعاة"[1].

لذلك دعت الجالية العربية والمسلمة الحكومة البريطانية إلى تغيير سياستها في مكافحة الإرهاب؛ لأنها – في رأيهم – لم تثبت نجاعتها، بل زرعت القلق بين أبناء الجالية، رغم أن غالبيتهم ترفض الفكر المتطرف، وتنبذ المتشددين، ففي استطلاع أجرى مؤخراً أظهر أن 98% من مسلمي بريطانيا سيشعرون بالعار إذا قرر أحد أفراد عائلاتهم الانضمام للقاعدة[2].

ويرى قادة الجالية العربية والمسلمة أن من ضمن الحلول لهذه المشكلة، أن يساهم كل طرف في تقليل حدة التوتر، فعلى بريطانيا أن تشعر المسلمين بالاعتراف بهم، وتخلق لهم آفاقاً جديدة، وعلى العرب والمسلمين أن يثقوا في أنفسهم، وأن يأخذوا أماكنهم بسرعة وإيجابية في المجتمع البريطاني، وقد مر معنا في النقطة السابقة رأي "كمال الهلباوي" – رئيس مركز مكافحة الإرهاب وأحد قادة العمل الإسلامي في بريطانيا – في رؤيته للحل، وهو باختصار، استضافة علماء مسلمين في بريطانيا، وتفعيل دورهم مع أصحاب الأفكار المتطرفة، والتعاون الإيجابي ما بين الجالية العربية والمسلمة والحكومة البريطانية في وضع التصور السليم لحل هذه المشكلة.

2.5.1.3 الاتجاهات الضالة:

من المعوقات التي تواجه المسلمين في بريطانيا، انتشار فرقة "الأحمدية القاديانية" * وهي – من وجهة نظر قادة الهيئات الإسلامية – فرقة ضالة، وتعتبر إحدى المشكلات التي تواجه الجالية المسلمة في بريطانيا؛ لأنها تشوه صورة الإسلام، ويظنها كثير من المسلمين وغير المسلمين أنها تمثل الإسلام الصحيح، وهي عكس ذلك. وتتمثل قوة هذه الفرقة في بريطانيا من خلال مساجدهم الكبيرة ذات الإمكانات الهائلة التي تجذب إليها الناس، ومن خلال قناتهم الفضائية التي يبثون من خلالها برامجهم على الهواء بعدة لغات عالمية من محطة إرسال تسمى "التلفزيون المسلم

---

[1] لا فرق لدي بين السجن والمنزل، مصدر سابق.

[2] الجزائري: خطة حكومية بريطانية لتحويل المسلمات إلى جاسوسات، مصدر سابق.

* للمزيد عن هذه الفرقة: كتاب "القاديانية" لإحسان إلهي ظهير/ "القادياني والقاديانية" "لأبي أعلى المودودي".

المحمدي (MTA) Muslim Televiaion Ahmadiyya على مدى ثلاث ساعات يومياً عبر أربعة أقمار صناعية، وهذه البرامج – كما يرى قادة العمل الإسلامي – تسبب أضراراً بالغة لتعاليم الإسلام الحقيقية[1].

وفرقة أخرى في بريطانيا، تسمى "البرواعضيين"، يرى المسلمون في بريطانيا أنها تتبنى منهجاً منحرفاً وفيه ضلال، ذلك أنها تأخذ بالقرآن فقط، فهو في نظرهم كافٍ وحده لبقاء الدين، وليس ثمة حاجة لأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، وقد أسسها شخص يدعى "عبد الله الجكرالوي" تحت عنوان "نهضة القرآن". وهي تعتقد بكفاية القرآن مصدراً للتشريع في المجتمع الإسلامي. ومن أشهر تلامذة "الجكرالوي" اثنان هما "عبد الله عنايت الله المشرقي" (1888 – 1960) و"غلام أحمد برواعض" (1903 – 1985)[2]، والذي تسمى الفرقة باسمه، وهذه الفرقة لا تشكل عائقاً كبيراً أمام الجالية العربية والمسلمة مثل "الأحمدية القاديانية"، فإمكانياتها محدودة، وأتباعها قلة معدودة، ولا تلقى قبولا لدى أبناء الجالية العربية والمسلمة في بريطانيا.

6.1.3 المشكلات الاجتماعية:

يواجه العرب والمسلمون في بريطانيا مشكلات اجتماعية عديدة، وتحتاج لجهود كبيرة لحلها، ومن أهم تلك المشكلات، تدني المستوى الاقتصادي لدى غالبية العرب والمسلمين، وانتشار البطالة بينهم، وعدم وجود مؤسسات اقتصادية واستثمارية كافية تخدم مصالحهم، وتساعد في جسر الهوة المادية بينهم وبين المجتمع الذي يعيشون فيه، وتدني المستوى الاقتصادي لهم يضعف من مواجهتهم للمجتمع، سواء أكان ذلك على المستوى السياسي أم الأمني أم السلوكي، وهذا الوضع جعلهم يعيشون في المناطق الأكثر فقراً في بريطانيا، وأدى ذلك إلى ظروف معاناة بالغة التعقيد ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً. وتسبب هذه الظروف والمشكلات في ارتفاع مستوى الجريمة، حيث بلغ عدد السجناء المسلمين في السجون البريطانية أكثر من ستة آلاف شخص [3]، قسم منهم لأسباب سياسية، وقسم منهم لأسباب جنائية اعتيادية.

---

[1] عز الدين، عبد الباسط، مصدر سابق.

[2] رضا، محمد، (1999)، مصدر سابق، ص22.

[3] عز الدين، عبد الباسط، مصدر سابق.

ومن المشكلات الاجتماعية الأخرى خاصة للعرب في بريطانيا ما يسمى " children in care " الأطفال الذين وضعوا في قيد الرعاية الإدارية، لأسباب عديدة، مثل: الخلافات بسبب العمر، مشكلات زوجية، واختلاف الآباء مع الأبناء، وغير ذلك، فيذهب الأطفال إلى عائلات بريطانية لرعايتهم، ولا يستطيع الآباء بعدها التدخل في شؤونهم، وتنشأ عن ذلك مشاكلات جديدة...[1].

كما يواجه المسلمون مشكلات في مجالات الأسرة والزواج والطلاق والميراث، نظراً لعدم وجود قانون للأحوال الشخصية، ومشكلة أخرى تخص موتى المسلمين، حيث تواجه الجالية المسلمة عدم وجود مقابر خاصة بها في بعض المناطق من بريطانيا، ومن ضمن الأسباب معارضة بعض السكان البريطانيين لوجود مقابر للمسلمين عندهم، ومن الأمثلة على ذلك، ما قام به سكان إحدى القرى البريطانية من شن حملة شرسة ضد محاولة المسلمين في مدينة "جلاسكو" بناء مقابر لدفن موتاهم. وبحسب صحيفة "ذي هيرالد" البريطانية فقد عقد سكان قرية "كارمونوك"، الواقعة على بعد، أميال جنوب مدينة "جلاسكو"، اجتماعاً علنياً صرّحوا فيه عن معارضتهم الشديدة لبناء المسلمين مقابر لهم في القرية، بدلاً من المقابر التي لم تعد تكفي لسد حاجة المسلمين في هذا الشأن. وأعرب علماء المسلمين في القرية عن استغرابهم ودهشتهم من اعتراض السكان، وقال أحدهم: "كلما حاول المسلمون بناء أماكن لعبادتهم، أو مقابر لدفن موتاهم قوبلوا بمحاربة قوية من السكان المحليين هنا". وبعد أشهر وافق مجلس مدينة "جلاسكو" على تخصيص أرض لبناء مقبرة للمسلمين، فقام المعارضون لذلك بتقديم عريضة احتجاجية ممهورة بتوقيع 3 آلاف شخص[2].

ومن المشكلات الاجتماعية الأخرى مسألة الطعام والشراب والذبح الحلال، رغم أن المسلمين في بريطانيا قطعوا شوطاً كبيراً في حل هذه المسألة، بعد معاناة دامت سنين، ففي عقد الثمانينيات قامت جمعية الرفق بالحيوان في بريطانيا بشن حملة ضد طريقة المسلمين في الذبح الحلال، مما دفع وزارة الزراعة البريطانية إلى تشكيل لجنة لدراسة طرق الصعق الكهربائي قبل ذبح الحيوانات، مقارنة بطريقة المسلمين في الذبح، وأصدرت اللجنة تقريراً اتخذ موقفاً سلبياً تجاه طريقه المسلمين، فقامت الجمعية الطبية الإسلامية في بريطانيا بإرسال تقرير علمي ينقد ما جاء في تقرير وزارة الزراعة، وقال "عبد المجيد قطمة" – رئيس الجمعية الطبية –: "إن طريقتنا في الذبح هي أكثر

---

[1] ضيف وقضية (2005)، مشكلات الجالية العربية في بريطانيا 2007/12/7 www.aljazeera.net.

[2] الدريدي، منى، مسلمو أسكتلندا يحتفون بالمقبرة 23/ 8/ 2007 www. islamonline.net.

صحية وإنسانية، كما أنها أرحم للحيوان". وقد أثبت أحد الأطباء البريطانيين–بيلي– في رسالة دكتوراه في جامعة ليدز شمال بريطانيا عام 1982 أن تكون الدم كيماوياً يتغير بالصعق مما يعطي إمكانية أكثر للتسمم والتفسخ[1].

وبعد أن عانى المسلمون في بريطانيا كثيراً من قضية الأكل الحلال والذبح على الطريقة الإسلامية، فهم الآن تجاوزوا ذلك، وبدأوا يواجهون أي حدث يخص هذه القضية بجرأة كبيرة، وثقة بالنفس عالية، ومن المشاهد الجديدة التي تدلل على ذلك، قضية شرائح بطاطس شركة "ووكرز walkrs" البريطانية، فقد قام المسلمون في بريطانيا بانتقاد هذه الشركة بشدة، بعد الكشف عن احتواء وجباتها الخفيفة المكونة من رقائق البطاطس على آثار للكحول، ما يعني أن تناولها محرم دينياً، واستنكر ذلك "شوجا شافي" الذي يترأس لجنة معايير الأغذية في المجلس الإسلامي في بريطانيا، أما "مسعود خوجه" المسؤول عن أسواق حلال للأغذية فيقول ليس الأمر في النسبة التي يحتويها الغذاء من الكحول، فإلى جانب المسلمين، هناك العديد من الناس الذين يمتنعون عن تناول المسكرات ولا يريدون تناول الكحول بأي شكل من الأشكال، وقد ذكر إثر ذلك المتحدث الرسمي لشركة "ووكرز" بأنهم كانوا يعتقدون بأن الكميات الضئيلة من الكحول في شرائح البطاطس أو الخبز مسموح بها لدى المسلمين[2].

أمام هذه المشكلات الست التي تم الحديث عنها وغيرها من مشكلات، تأتي مسؤولية العرب والمسلمين في بريطانيا للبحث عن حلول لها، وعلى أقل تقدير، التخفيف من تداعياتها، ثم التدرج في رسم الخطط المناسبة لحلها، بالتعاون مع أهل الاختصاص في كل مجال، فالسياسة لها أعيانها، ووسائل الإعلام لها أهلها، والمشكلات الاجتماعية لها خبراؤها، والأفكار المتطرفة والمنحرفة لها علماء ومفكرون يفندونها، إلى غير ذلك، فإذا عمل المختصون من العرب والمسلمين كل في مجاله، ثم تضافرت الجهود، وكان التعاون المشترك بين الجميع، فإن مواجهة هذه المشكلات ستكون أسهل وحلها أنجع وأسرع، وإن المعادلة ستكون في صالحهم، وصالح المجتمع البريطاني الذي يعيشون فيه، وهذا ما تحاول القيام به الهيئات والمؤسسات العربية والإسلامية في بريطانيا ، وهو الموضوع الذي سيتناوله الباحث في النقطة الآتية .

---

[1] ضناوي، محمد علي، (1992)، مصدر سابق، ص 89 – 97.

[2] وكالات: مقرمشات كحولية تثير غضب مسلمين ببريطانيا 24/ 2/ 2008 www. islamonline.net.

2.3 الهيئات العربية والإسلامية في بريطانيا

تتمثل الهيئات العربية والإسلامية في بريطانيا في الجمعيات والمؤسسات والنوادي والمساجد والمراكز الثقافية، وقد انتشرت في أنحاء البلاد كافة ، وتتعدد موضوعاتها على مختلف صعد الحياة، كما تنوعت أهدافها، ونشاطاتها، وتقسيماتها، فهناك هيئات أهلية وأخرى رسمية، ومنها ذات بعد أوروبي، وأخرى ذات بعد وطني أو قطري، وهناك أيضاً الهيئات التخصصية.

لقد كانت الغالبية من العرب والمسلمين في بريطانيا، تعتمد في إقامة نشاطاتها على المساجد، لكن مع زيادة أعدادهم، وانتشارهم في أنحاء بريطانيا كافة ، مع زيادة التحديات وكثرة المشكلات التي تواجههم، ومع ارتفاع نسبة المثقفين والمتعلمين، فقد بات من الضروري، وجود عمل منظم يناسب كل هذه المتغيرات.

من هذا المنطلق، وجدت مئات الجمعيات والمؤسسات العربية والإسلامية على الساحة البريطانية، قدرتها الباحثة في جامعة درهام في بريطانيا – سهى التاجي الفاروقي – بأكثر من 1400 جمعية عاملة، وسوف يستعرض الباحث مجموعة من هذه الجمعيات بكلام مختصر، كنماذج موجودة على الساحة البريطانية.

1.2.3 البعثة الإسلامية في بريطانيا:

تأسست هذه الجمعية سنة 1962، ولها سبعون عضواً عاملاً، وخمسة مراكز إسلامية، ويوجد في كل مركز إمام ومعلمون للأطفال وللكبار. وهدف هذه البعثة هو نشر التعليم الإسلامي، وتوزيع الكتب الإسلامية، ومعظم أفرادها من أصل باكستاني، وقد عقدت مؤتمراً سنة 1973 في لايستر، وانتخبت "حبيب الرحمن" رئيساً لها[1].

يحتوي المقر الرئيس في لايستر على عدة أقسام، قسم توجيه الدعوة، قسم التربية، قسم النشر والتوزيع، قسم الخدمات الاجتماعية، قسم الطلبة والشباب، قسم الإعلام والعلاقات العامة، قسم المكتبة. ومن الفروع المهمة للبعثة، فرع برمنجهام، وهو من أقدم الفروع ويضم مبنى كبيرا يسمى "مركز اسبارك بروك الإسلامي"، ويشمل المركز على مدرسة للناشئة تضم 400 طفل

---

[1] الكتاني، علي بن المنتصر، (2005)، مصدر سابق، ج1، ص316.

يشرف عليهم 8 مدرسين متفرغين، و8 مدرسين غير متفرغين، وهناك جناح خاص بالبنات، وأخر للكبار لمحو الأمية. ومن أهم مشاريع البعثة الإسلامية: توفير الخدمات الوظيفية للمسلمين، وإقامة جمعية السكن التعاوني، بالإضافة إلى هيئة الخدمة الإسلامية[1].

2.2.3 الإتحاد الإسلامي النسوي:

تأسس الإتحاد الإسلامي النسوي سنة 1962، وكان يضم 55 سيدة مسلمة، وتترأسه "ليلى الدروبي"، وهدفه نشر الثقافة والأخلاق الحميدة بين المسلمات، والعمل على الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية، كذلك الاعتناء بأطفال المسلمين، خاصة اليتامى منهم، ويُصدر الاتحاد نشرة شهرية. ومن أهم مشاريعه إنشاء "بيت اليتامى" في لندن[2].

3.2.3 اتحاد جمعية الطلبة المسلمين:

تأسس هذا الإتحاد سنة 1964، وهو يضم معظم الجمعيات الطلابية في بريطانيا وإيرلندا، ويمثل حوالي 90000 طالب مسلم في الجامعات البريطانية. ويتكون الاتحاد من 27 جمعية طلابية، ورئيس الاتحاد الحالي "فيصل هانجرا"[3].

وقد نجح الاتحاد في أن يكون فوق مستوى القوميات والفروق اللغوية، وأعضاؤه من أصول مختلفة، وهدف الاتحاد هو تجميع المسلمين وصهرهم في محيط إسلامي، وخدمة الطلبة المسلمين، ويصدر الاتحاد كل شهرين مجلة باللغة الإنجليزية اسمها "المسلم". ومن أهم منجزات الاتحاد إنشاء مركز للطلبة المسلمين في لندن سنة 1972[4].

---

[1] الإهدل، عبدالله قادري، (1987)، في المشرق والمغارب، جدة: مكتبة دار الأندلس الخضراء، ط1، ج7، ص17.

[2] المصدر السابق، ص317.

[3] يحمد، هادي (2008)، صيف لندن، 2008/4/12 www.islamonline.net.

[4] الكتاني، علي بن المنتصر، (2005)، مصدر سابق، ص317.

ويتعاون الإتحاد مع الحكومة البريطانية في نشاطات جامعية ومجتمعية لتعزيز مناخ الاندماج والتسامح والاحترام في رحاب الجامعات[1].

4.2.3 الوقف التعليمي الإسلامي:

تأسست جمعية الوقف التعليمي الإسلامي عام 1966، ولها أهداف عديدة كما جاء في أدبياتها منها:

1. المساهمة في التكوين الديني والأخلاقي والثقافي للمسلمين في بريطانيا.
2. توفير تعليم الدين الإسلامي لأبناء المسلمين في المدارس الحكومية.
3. إعداد الكتب الإسلامية وطبعها باللغة الإنجليزية، بالإضافة إلى الوسائل التعليمية، والمجلات وغيرها.
4. تنظيم دورس تعليم الدين الإسلامي واللغة العربية في عطلة نهاية الأسبوع والفترة المسائية.
5. التعاون مع المنظمات الإسلامية الأخرى داخل بريطانيا، وخارجها.

ومن نشاطاته الميدانية، قيامه بإرسال 32 مدرساً مسلماً إلى 69 مدرسة حكومية بريطانية، لتدريس الدين الإسلامي لأبناء المسلمين، بالإضافة إلى 12 مركزاً إسلامياً، حيث يتعلم الأطفال الدروس الدينية في عطلة نهاية الأسبوع والفترة المسائية، ويبلغ عدد الأطفال المستفيدين من هذا النظام حوالي 4000 تلميذ وتلميذة، تتراوح أعمارهم بين 5 – 16 سنة، ويقوم الوقف أيضاً بتنظيم مسابقات سنوية، وكذلك عقد دورات تدريبية للمسلمين[2].

5.2.3 اتحاد الجمعيات الإسلامية في بريطانيا وإيرلندا:

تأسس هذا الاتحاد سنة 1970، واتخذ المركز الإسلامي الثقافي مقراً له، وينضم إليه أكثر من 66 جمعية إسلامية في بريطانيا، وله نشرة شهرية، وأمينه العام هو "سيد عزيز باشا"، وهو بريطاني من أصل هندي[3].

---

[1] يحمد، هادي (2008)، مصدر سابق .

[2] معلومات عن الوقف 12/ 4/ 2008 www.al-rawdah.net.

[3] الكتاني، علي بن المنتصر، (2005)، مصدر سابق، 315.

6.2.3 المؤسسة الإسلامية:

تعدّ المؤسسة الإسلامية من أبرز وأكبر المؤسسات الإسلامية العاملة في بريطانيا، وتقع بمركز ماركفيلد للمؤتمرات، ماركفيلد، لستر، شمال لندن، وقد أنشئت عام 1973، وتعمل على توفير برامج أكاديمية مختلفة لإظهار المعنى الحقيقي للإسلام، ودحض الشبهات التي تثار حوله وحول المسلمين في الغرب، كما تساهم في تلبية الحاجات التعليمية والدينية للمسلمين في الغرب، وتقوم بتدريب الشباب وتوجيهم للاندماج الإيجابي مع المجتمعات التي يعيشون فيها، مع الحفاظ على شخصيتهم، والقيام بتعليم المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً وتزويدهم بالفهم الصحيح للإسلام.

ومن النشاطات البارزة للمؤسسة الإسلامية تنظيم وإقامة المؤتمرات والندوات والدورات التعليمية والتدريبية، التي تساعد على بناء الجسور بين الإسلام وأتباع الديانات الأخرى، وتعمل على توفير التسهيلات اللازمة في مجال الدراسة والبحث للطلبة والباحثين والمختصين.

وقد حققت المؤسسة الإسلامية إنجازات كبيرة، حيث استطاعت في فترة وجيزة أن تنشر ما يزيد على 300 كتاب في علوم القرآن الكريم والسنة النبوية، وعن الاقتصاد الإسلامي، وقصص الأطفال، ومواد سمعية وبصرية، ومجلات دورية، وغير ذلك. كما نجحت في تطوير نشاطاتها من خلال أقسامها المتخصصة مثل: معهد ماركفيلد للدراسات العليا، ومركز ماركفيلد للمؤتمرات، وقسم البحث والنشر، وقسم الاقتصاد الإسلامي، وقسم المسلمين الجدد، وقسم الإسلام في أوروبا، وقسم المسلمين في بريطانيا، وقسم العلاقات بين الأديان، وقسم التعليم والتدريب التربوي، وقسم المكتبة.

وابتداءً من أيلول 2000 أقامت المؤسسة الإسلامية معهد "ماركفيلد للدراسات العليا"، وهو كلية للدراسات الإسلامية العليا بالتعاون مع جامعة "بورتسموث" لتدريس الإسلام للمسلمين وغير المسلمين، الذين يودون الحصول على شهادة الماجستير أو الدكتوراه من جامعات بريطانيا تحت إشراف أساتذة مسلمين. وهذا المشروع فريد من نوعه، حيث إنه ولأول مرة في تاريخ التعليم الجامعي البريطاني يسمح فيه لمؤسسة إسلامية بفتح كلية إسلامية معترف بها، إذْ تقوم المؤسسة

باختيار الأساتذة المدرسين والمشرفين، واختيار المناهج وتقوم الجامعة بمنح شهادات، والمدير الحالي للمعهد د.عطاالله صديقي، بالإضافة إلى منصب كبير باحثي المؤسسة الإسلامية[1].

وأخيراً، فإن المؤسسة الإسلامية مؤسسة تعليمية مستقلة. يتكون مجلس أمنائها من 16 عضواً من أوروبا والشرق الأوسط وباكستان وماليزيا وأفريقيا، ويترأسه "خورشيد أحمد" العالم الاقتصادي المعروف، الذي نال أول جائزة للبنك الإسلامي للتنمية سنة 1987 في خدمة الاقتصاد الإسلامي، وجائزة الملك فيصل الدولية لخدمة الإسلام سنة 1989، ويديرها "محمد مناظر أحسن"، ورغم أنها مؤسسة تعليمية، إلا أنها لم تتوانَ في إغاثة المنكوبين، فساهمت بشكل فعّال في التخفيف من معاناتهم، ولعل من الشواهد على ذلك، اهتمامها باللاجئين البوسنيين وغيرهم ممن استقروا في بريطانيا [2].

7.2.3 جمعية دعوة الإسلام:

أنشئت سنة 1978 في لندن، وهي جمعية دعوية، ولها عدة فروع في أنحاء بريطانيا، يتركز نشاطها في إعطاء دروس ومحاضرات دورية للمسلمين وغير المسلمين، وكذلك في دحض الافتراءات الموجهة ضد الإسلام، وأسلمت أعداد كبيرة من البريطانيين على يد هذه الجمعية[3].

8.2.3 النادي العربي في بريطانيا:

تأسس سنة 1980 كمنظمة ثقافية اجتماعية خيرية، وواصل عمله منذ ذلك الحين بأسلوب ديمقراطي وبأداء متميز، جعله موضع احترام وتقدير الغالبية من الأفراد والمنظمات، وأهّله للعب دور قيادي للعمل العربي في بريطانيا، وأصبح مرجعية الجالية العربية في علاقاتها مع المؤسسات البريطانية الرسمية ومنظمات المجتمع المدني.

---

[1] المؤسسة الإسلامية، بريطانيا2007/8/7 www.islamoline.net.

[2] المؤسسة الإسلامية، بريطانيا 25/ 4/ 2008 www.islamic-foundation.org.uk.

[3] جمعية دعوة الإسلام 15/ 2/ 2008 www.al-rawdah.net.

نجح "النادي العربي" في عقد عدة مؤتمرات للجالية العربية في بريطانيا، كان أولها في مباني كلية الدراسات الشرقية والأفريقية في تشرين الأول 1990 تحت شعار "الجالية العربية في بريطانيا: همومها واهتماماتها"، وبعد مرور ثلاث سنوات عقد المؤتمر الثاني في قاعات الإمبريال كولدج في تشرين الثاني 1993 تحت عنوان "من أجل بلورة أطر الجالية العربية ورسم برنامج عملها المشترك"، وأما المؤتمر الثالث، فقد عقد في تشرين الثاني 1999 تحت شعار "من أجل تعزيز دور الجالية العربية ثقافياً واقتصادياً وسياسياً"، لذلك فهو ينظر في وسائل حفز الجالية على زيادة مشاركتها في النشاطات التي يمكن أن تؤدي فيها أدواراً أنشط في الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية لبريطانيا.

ومن الذين شغلوا منصب رئيس النادي العربي، "صفاء الصاوي"، و"ضياء الفلكي"، و"صفوان قدسي"، و"نبيل المقيه" – وهو رئيس الجالية السورية أيضاً – و"ابتسام أوجي"[1].

9.2.3 منظمة الإغاثة الإسلامية:

كانت البداية لهذه المنظمة، جمع تبرعات من أمام أحد المساجد في بريطانيا للمحتاجين والفقراء سنة 1984، قام بها طبيب اسمه "هاني البنا" مع مجموعة من أصدقائه، وسموا أنفسهم "لجنة مساعدة اللاجئين في أفريقيا"، وبعد سنتين أي في 1986 تحول الاسم إلى "الإغاثة الإسلامية"، ويترأسها "هاني البنا" منذ تأسيسها إلى اليوم(2).

بدأ عمل المنظمة في بريطانيا بإمكانيات قليلة، وجهود متواضعة، والآن تصنف من أفضل وأنجح وأقوى منظمات الإغاثة في العالم، ولها مكاتب في أكثر من ثلاثين دولة، وتتميز بتنظيمها الدقيق، وقدرتها على التحرك في أية دولة في العالم، حيث تقدم المساعدات للمسلمين وغير المسلمين، ومكاتبها تضم موظفين غير مسلمين، وموظفات غير مسلمات وغير محجبات، وفي هذا الشأن يقول "هاني البنا": أهم شيء عندنا هو الأداء النوعي المتميز بصرف النظر عن الانتماء العرقي أو الديني، مقرها الرئيس في لندن، ولها عدة مكاتب في العالم(3).

---

[1] أنجان، غوبتا، وآخرون، (2002)، مصدر سابق، ص 8 – 9.

تحتل "منظمة الإغاثة الإسلامية" سمعة طيبة في بريطانيا، وفي خارجها، ما دفع ملكة بريطانيا إلى تكريمها وتكريم رئيسها، ويتردد على زيارتها الأمير "تشارلز"، وكذلك تشاركها في أعمال الإغاثة منظمات خيرية عالمية كثيرة، مثل: العون الكاثوليكي، وبرنامج الغذاء العالمي، والمفوضية العليا لشؤون اللاجئين، ومنظمة الصحة العالمية، وهي عضو ناشط في المجلس الاجتماعي والاقتصادي التابع للأمم المتحدة، وضمن الموقعين على ميثاق سلوك المهنة لمنظمة الصليب الأحمر الدولية، والهلال الأحمر، وإغاثة الكوارث التابعة للمنظمات غير الحكومية، كما أنها عضو معترف به في المنظمات التنموية البريطانية غير الحكومية العاملة في الخارج(4).

10.2.3 مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية:

وهي مؤسسة ثقافية خيرية، تغطي أكبر مساحة ممكنة لتقديم الخدمات الاجتماعية والدينية للمسلمين عموماً، ولا سيما أبناء الطائفة الشيعية، أسسها "محمد تقي الدين الخوئي" سنة 1989، وتنشط في تقديم الخدمات الدينية والاجتماعية، وتتبع لها مدرستان هما: مدرسة "الإمام الصادق"، ومدرسة "الزهراء"[1].

11.2.3 مؤسسة دار الإسلام:

هي إحدى المؤسسات الخيرية التابعة للطائفة الشيعية في بريطانيا، افتتحت عام 1993 في ذكرى المولد النبوي الشريف، وهي مؤسسة إسلامية تفتح أبوابها لجميع المسلمين، وتمارس أنشطة ثقافية واجتماعية متعددة وتتصدى لحل مشكلات الجالية الأسبوعية في جوانبها الاجتماعية والتربوية والعائلية وغيرها.

ولهذه المؤسسة أهداف عديدة ومتنوعة، من أهمها:

1. الدعوة والتبليغ إلى الإسلام.
2. إنشاء مراكز للبحوث تهتم بنشر فكر مدرسة أهل البيت[2].

---

[1] مؤسسة الإمام الخوئي 10/ 4/ 2008 www.al-khoei.us.

[2] مؤسسة دار الإسلام. 25/ 11/ 2007 www.al-shia.com.

12.2.3 المجلس الإسلامي البريطاني MCB

تأسس المجلس الإسلامي البريطاني (MCB) عام 1997م ويعد أهم الهيئات الإسلامية وأشهرها على الإطلاق، وهو عبارة عن هيئة مستقلة ديمقراطية، يمثل 500 هيئة محلية ووطنية، تعكس التنوع في الخلفيات الاجتماعية والثقافية التي تشكل مجتمع المسلمين في بريطانيا. ومن أبرز المنظمات التابعة للمجلس الإسلامي البريطاني: الجمعية الإسلامية في بريطانيا (ISB)، والرابطة الإسلامية في بريطانيا (MAB)، والمنبر الإسلامي الأوروبي (IFE)، والبعثة الإسلامية البريطانية (K I M U)، وغيرها، ومن بين الهيئات الأخرى منبر مكافحة بغض الإسلام والعنصرية (F A L R)، والكلية الإسلامية، والبرلمان الإسلامي، والمركز البريطاني للبحوث الإسلامية (B M R C) وغيرها من الهيئات الإسلامية.

ومن أبرز أهداف المجلس الإسلامي البريطاني (MCB)، التشجيع على التعاون والإجماع والوحدة فيها يتعلق بالشؤون الإسلامية في المملكة المتحدة من أجل صالح المسلمين، والسعي نحو تحقيق انفتاح أكثر للإسلام والمسلمين في المجتمع البريطاني، والعمل على بناء مكانة للمسلمين ضمن المجتمع البريطاني تتسم بالعدل والإنصاف ضمن الحقوق الواجبة لهم، والعمل من أجل منع الأذى، وجميع أشكال التمييز التي يواجهها المسلمون هناك.

وقد أصبح للمجلس الإسلامي البريطاني موقعٌ على شبكة الإنترنت (إم. سي. بي. داير كت) يقدم من خلاله المسلمون معلومات موثقة حول الإسلام والثقافة الإسلامية لإخوانهم البريطانيين. ويقوم على هذه الخدمة الإلكترونية باحثون وكتاب محترفون، حيث يتم تحديث هذا الموقع يومياً لتقديم الأخبار والتحليلات والتعليقات، وقد صدرت منه أول إدانة لأحداث لندن المأساوية الأخيرة، كما يقوم هذا الموقع بإصدار دوريات متخصصة تقدم لوسائل الإعلام، وصانعي السياسات، والمعاهد والجامعات بيانات ومعلومات موثقة حول المسلمين في بريطانيا وأوروبا، كما يضم الموقع مكتبة تحتوي على أهم الأوراق والدراسات التي تتعلق بالسياسات والبحوث، هذا إلى جانب احتوائه على قاعدة بيانات الاختصاصيين المسلمين الذين يستطيعون تمثيل اهتمامات المجتمع المسلم، والترويج لها على الصعيدين المحلي والعالمي[1].

---

[1] المسلمون في بريطانيا المخاطر والآمال (2006) مجلة الوعي الإسلامي/ الكويت 2/ 4/ 2008 http://alwaei.com.

ومن بين الإنجازات التي حققها المجلس الإسلامي في بريطانيا، نجاحه في ضمان وجود سؤال حول التوجّه الديني في الإحصاء السكاني الذي أجري عام 2001، حيث ستساعد هذه المعلومات في المطالبة بضمان الحقوق الواجبة لمختلف الفئات الدينية، والأهم من هذا كله، إعطاء المسلمين السلطات والصلاحيات للإيعاز بمسؤولياتهم المدنية والاجتماعية.

وأول أمين عام للمجلس الإسلامي (MCB) هو "إقبال سكراني"، وخلفه "محمد عبد الباري" سنة 2006، الذي يعدّ من الشخصيات البارزة في بريطانيا، ورأي المجلس له اعتبار على الساحة البريطانية؛ لذلك يحرص الإعلام البريطاني بمختلف أشكاله على الحصول على وجهة نظره في أهم القضايا على الساحة البريطانية. وقد سجل المجلس حضوراً بارزاً، لا سيما خلال الحرب على العراق وبعدها، فيما يقدمه من استشارات وتوصيات للحكومة البريطانية في العديد من المجالات، كالتعليم وشؤون الأقليات، وقضايا الإرهاب.

ورغم مواقفه المتوازنة والبعيدة عن الجدل، فإنه تعرض أكثر من مرة إلى حملات من مجموعات في بريطانيا مؤيدة لدولة اسرائيل العبرية، حاولت أكثر من مرة تحريك حملات إعلامية ضد أمينه العام السابق "إقبال سكراني" دون جدوى. وكان من أهم القضايا التي أثارت جدلاً حول المجلس رفض أمينه العام حضور حفل رسمي إحياءً لذكرى الهولوكوست، معتبراً أن ذلك ليس هو الحدث الوحيد في العالم الذي يحتاج إلى تذكر.

ويضطلع المجلس الإسلامي البريطاني بدور حيوي في توجيه الحضور الإسلامي في بريطانيا وترشيده، وله دور في توجيه خطاب الأئمة في المساجد، وحثهم على تناول القضايا القريبة من هموم الجالية المسلمة في البلاد[1].

13.2.3 الرابطة الإسلامية أو رابطة مسلمي بريطانيا (ماب MAB):

نشأت رابطة (ماب mab) سنة 1999، وتعتبر الإطار الرسمي للعمل السياسي لمسلمي بريطانيا، وهي تنتمي إلى تيار "الإخوان المسلمين"، ورئيسها المؤسس كمال الهلباوي،وتعتبر الرابطة

---

[1] المجلس الإسلامي البريطاني يعقد مؤتمره وينتخب أمنياً عاماً جديداً (12/ 2/ 2008 2006) .www.alquds.co.uk

عضو مؤسس في المجلس الإسلامي البريطاني mcb، واتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا fioe، وكذلك الهيئة الإستشارية الوطنية للئمة والمساجد minab(1)، ودورها على الساحة البريطانية بدأ يظهر بشكل واضح ومؤثر بعد أحداث 11/أيلول، ويقول "عزام التميمي" الناطق الرسمي باسم الرابطة في شأنها: بدأت بعض الأصوات العنصرية في أوروبا، وخاصة في بريطانيا تدندن حول الخطر الإسلامي، هنا شعرنا بأنّ مجموعة من التحديات بدأت تواجهنا، ويمكن إجمالها في قضيتين: الأولى: حقوق المسلمين في بريطانيا، فنحن نريد حماية هذه الحقوق، وأن نضمنها بالقانون، وأن نفرض على صناع القرار احترام هذه الجالية التي يقدر عددها بثلاثة ملايين مسلم. والقضية الثانية: هي كيف ننصر المسلمين خارج بريطانيا؟ حيث إن من سياسة الرابطة تبني قضايا المسلمين الكبرى، مثل قضيتيّ فلسطين والعراق.

تنشط الرابطة في تنظيم التظاهرات، واستطاعت أن تنظم مسيرات مليونية من المسلمين وغير المسلمين، تضامناً مع القضية الفلسطينية والقضية العراقية، كما أن حضورها الإعلامي، فيما يخص الأمور السياسية، أكبر من غيرها من المؤسسات الإسلامية العاملة في بريطانيا[1].

14.2.3 جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين في بريطانيا:

تأسست هذه الجمعية سنة 1999، ويترأسها حالياً "أنس الشيخ علي"، الذي قال: إن جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين تعمل دائماً على التقارب مع الجمعيات والمنظمات الإسلامية العاملة في بريطانيا، وخاصة مع هيئة مناهضة الإسلاموفوبيا والعنصرية في بريطانيا (FAIR)، التي تعكس حيوية العقول الإسلامية، والدور الذي يمكن أن تضطلع به في التصدي لمحاولات تشويه صورة الإسلام في الإعلام. ومن أهم إنجازات الجمعية تأسيس "مجموعة التعليم الإسلامي"، بالتعاون مع مؤسسات أخرى، وتضم المجموعة أبرز خبراء التعليم المسلمين في بريطانيا، وقد انتهت المجموعة عن إعداد ورقة استشارية، تتضمن القضايا التي تخص التعليم الإسلامي كافة ،

---

[1] الباسل، رجب، (2004) د. التميمي: رابطتنا فرضتها الأحداث 2008/4/22 www.islamtoday.net.
الكرمي، حافظ، (2002) محمد صوالحة وحوار حول مسيرة المليون ببريطانيا 17/ 3/ 2008 www.islamtoday.net.(1) رابطة مسلمي بريطانيا 2007/6/5 ar.wikipedia.org

والمدارس الإسلامية، والمناهج، ووضع الطلبة المسلمين في المدارس غير الإسلامية، وقدمتها إلى وزارة التعليم البريطانية[1].

ومن بين النشاطات التي تقوم بها هذه الجمعية، منح جائزتين سنويتين، هما جائزة "إنجاز الحياة"، وجائزة "بناء الجسور"، للشخصيات التي يكون لها إنجازات واسعة في مجالات البحوث والفكر والسلام والتقريب بين وجهات النظرلإتباع الديانات والحضارات المختلفة.

استحدثت جائزة "إنجاز الحياة" سنة 2000، وقد منحت الجائزة حتى الآن لكل من: البروفسور علي مزروعي سنة 2000، الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش سنة 2001، البروفسور زكي بدوي سنة 2002، البروفسور ادوارد سعيد سنة 2003، د. مارتن لينكس 2004، البروفسور فؤاد سيزكين سنة 2005، البروفسور محمد عبد الحليم سنة 2006، د. مصطفى سيريتش سنة 2007،البروفسور سيد حسين نصر 2008. أما جائزة "بناء الجسور" فقد استحدثت سنة 2003، ومنحت لكل من كاي ايتن سنة 2003، كارين ارمسترونغ سنة 2004، د. راوان وليامز – رئيس أساقفة الكنيسة الأنجليكانية – سنة 2005، خوسيه لويس ثاباتيرو – رئيس وزراء إسبانيا – سنة 2005، طيب رجب أوردغان – رئيس وزراء تركيا – سنة 2006، البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي سنة 2007، وفي السنة الحالية(2008) أعطيت لمؤتمر "كلمة سواء ومستقبل التواصل الإسلامي – المسيحي"(1).

15.2.3 جمعية المرأة المسلمة ببريطانيا:

جمعية نسائية تأسست سنة 1993، وهي مسجلة رسمياً بالدولة، ولها خمسة فروع في مدن بريطانية مختلفة. وعدد اللاتي يقمن على الأنشطة من 10– 20 سيدة في كل فرع، وتترأسها "عبير فرعون". وقد اعتمدت الجمعية التربية المجتمعية أسلوباً لها، استطاعت من خلاله أن تحقق نجاحات وإنجازات ملموسة على الصعيد الاجتماعي، وذلك من خلال الأنشطة التي تقوم بها، ومن هذه الأنشطة قيامها بعقد لقاءات شهرية للنساء، تحت عناوين تهمهن، مثل: العلاقات الزوجية،

---

[1] المستيري، محمد، (2002)، المؤتمر التأسيسي لجمعية علماء الاجتماعيات المسلمين بفرنسا، إسلامية المعرفة، العدد 28، ص 209.

وتربية الأبناء في الغرب، وغيرها من الموضوعات الاجتماعية، التي تعالج مشكلات العلاقات الاجتماعية التي يواجهها المسلمون في الغرب.

تقوم جمعية المرأة المسلمة بإصدار نشرات دورية، من أهمها دورية تسمى "الريحانة"، ونشرة شهرية للفتيات باللغة الإنجليزية اسمها " Youth Point"، تناقش فيها القضايا الساخنة في الساحة العالمية، بالإضافة إلى مشكلات الفتيات، وتنظم بين الحين والآخر تظاهرات ومسيرات واعتصامات لمناصرة الشعبين الفلسطيني والعراقي، ويحتل الطفل حيزا واسعاً من اهتمام الجمعية، فتنظم الجمعية للأطفال حلقات أسبوعية تعلمهم من خلالها اللغة والآداب وغير ذلك، كما أنها تقيم سنوياً نادي أحباب الله للأطفال منذ عام 1996 في عدة مدن بريطانية[1].

16.2.3 جمعيات قومية ومحلية:

يوجد في بريطانيا جمعيات أخذت أسماءً قومية، وهي بالعشرات، وجمعيات محلية وهي بالمئات، ومن الأمثلة على الجمعيات القومية في بريطانيا:

جمعية مسلمي الهند الغربية، وجمعية مسلمي قبرص الأتراك، وجمعية المسلمين الإندونيسيين، وجمعية مسلمي نيجيريا، ورابطة الجالية الفلسطينية، واتحاد طلبة البحرين.

17.2.3 جمعيات تخصصية:

ومن الجمعيات العربية والإسلامية العاملة في بريطانيا، جمعيات ذات بعد تخصصي، ومن أمثلتها: الجمعية الطبية الإسلامية البريطانية، واتحاد المحامين المسلمين، ومؤسسة العون الإسلامي.

3.4 إنجازات الجمعيات والمؤسسات العربية والإسلامية في بريطانيا:

---

[1] السمان، سهى، (2004) مسلمات بريطانيات، الدعوة بالتربية 15/ 1/ 2008 www.islamonline.net.

بعد هذا الاستعراض لمجموعة من الجمعيات والمؤسسات العربية والإسلامية في بريطانيا، يرى الباحث أن الدور المنوط بها وبمثيلاتها كبير، والآمال المعقودة عليها كثيرة، رغم الإنجازات العديدة والمهمة التي حققتها خلال العقود الماضية، والتي من أهمها أنها أحدثت نقلة نوعية للوجود العربي والإسلامي في بريطانيا، بعد أن كان التهميش والاستخفاف من الخارج، والانعزال والانغلاق من الداخل، كما أن هذه الهيئات عملت بأطيافها كافة على الحفاظ على الهوية، وقطعت شوطاً كبيراً في الاندماج الإيجابي في المجتمع البريطاني، ورفعت نسبة الاحترام للعرب والمسلمين في ذلك المجتمع، وأحدثت وعياً في قضايا العرب والمسلمين لدى أبناء الجالية، ما أحدث عندهم تضامناً ومناصرة لها، كما كان لهذه الجمعيات والمؤسسات مساهمة في المجالات الإعلامية، وفي تحصيل الحقوق للجالية العربية والإسلامية، وكما مر في الصفحات السابقة، فإن لكل مؤسسة أو جمعية عربية أو إسلامية إنجازاتها العديدة على الساحة البريطانية حسب أهدافها وبرامجها المرسومة.

ورغم كثرة الإنجازات، وتواصل جهود الجمعيات والمؤسسات العربية والإسلامية في بريطانيا على الصعد كافة ، إلا أنّ مجموعة من العوائق لا تزال ماثلة أمامها، وتحديات ومشكلات تحتاج إلى مزيد من البذل والعطاء، فالفرقة ما زالت قائمة بين بعض الفئات العربية والإسلامية، مما ينعكس سلبا على وحدة الموقف أمام المجتمع البريطاني، وكذلك بعض المشكلات الاجتماعية خاصة فيما له علاقة مع أبناء الجيلين الثاني والثالث من المهاجرين من العرب والمسلمين، ذلك أنهم نشأوا في المجتمع البريطاني الذي يختلف عن مجتمع الآباء في وطنهم الأم، هذا عدا عن العوائق الأخرى كالإعلام السلبي الذي ما زال يعمل ضد قضايا العرب والمسلمين، ومحاولة البعض من مسلمي بريطانيا الوقوف في وجه الاندماج الإيجابي مع أبناء المجتمع البريطاني.

ولم تكن هذه الجمعيات والمؤسسات منوط بها وحدها تحقيق الإنجازات، والمحافظة على المكتسبات، وتذليل كل العقبات، لأن ذلك يعتبر مسؤولية كل عربي ومسلم في بريطانيا، ولذلك وجدت شخصيات من أبناء الجالية العربية والمسلمة، كان لها أثرها في إعطاء صورة مشرقة وإيجابية على الساحة البريطانية في مجالات متعددة، وساهمت في رفع منسوب الاحترام للعرب والمسلمين، وسوف يقوم الباحث باختيار مجموعة من هذه الشخصيات، كنماذج تعكس الصورة الإيجابية والمشرقة للعرب والمسلمين في بريطانيا، وهذا ما سيتناوله الباحث في الفصل الآتي.

الفصل الرابع

شخصيات عربية وإسلامية في بريطانيا

4.1 يوسف إسلام

4.2 ندي حكيم

4.3 اللورد هيدلي

4.4 حياة سندي

4.5 محمد كاظم صوالحة

4.6 مجدي يعقوب

4.7 حسن الكرمي

4.8 سلمى الخضراء الجيوسي

الفصل الرابع

شخصيات عربية وإسلامية في بريطانيا

إن الأفكار، أياً كانت، لا تعيش ولا تزدهر، ولا يكون لها حياة، إلا إذ حملتها نفوس طموحة، تتمثلها، وتسير بها بإرادة قوية، لا تعرف الكلل ولا الملل، ولا تعبأ بكثرة الكسالى، ولا تكاد أمة من الأمم، في القديم أو الحديث، تخلو من هذه النماذج، وفي المجتمع البريطاني، ظهرت شخصيات عربية ومسلمة كانت نماذج مبدعة في نشاطها، متميزة في عطائها، وأعدادها كثيرة جدًا، وبعد اتصالات بين الباحث وبعض القيادات العربية والإسلامية في بريطانيا، قام الباحث باختيار خمسة منها، بحيث تكون شخصيات من الماضي وأخرى ما زالت على قيد الحياة، وكذلك حرص الباحث أن تكون هذه الشخصيات من الرجال والنساء.

1.4 يوسف إسلام

أول شخصية بريطانية مسلمة أخذ الباحث بالكتابة عنها، وقد أحب استهلال هذا المبحث بها؛ لأنه سمع منه شفاهاً جزءاً من قصة حياته، حيث التقاه في بلده فلسطين، وكان ذلك في سنة 1989، فقد جاء "يوسف إسلام" من بريطانيا ليشارك في مهرجان الفن الإسلامي الخامس في "كفر كنا" في فلسطين المحتلة 1948، فألقى كلمة في المهرجان، ذكر فيها طرفاً من سيرة حياته، وأشار إلى قصة إسلامه من خلالها، كما ضمنها حبه لفلسطين، وقبل أن يختم كلمته بأغنية دينية بصوته الرخيم ، وجّه نصيحة للفصائل الفلسطينية بأطيافها كافة لتوحيد صفوفها، وتوجيه قوتها نحو الاحتلال الصهيوني.

1.1.4 سيرة حياته:

اسمه الأصلي "ستيفنز جورجيو"، ولد في 1947/7/21 بلندن لعائلة مسيحية، والده قبرصي، وأمه سورية، اتجه إلى الموسيقى والغناء، وعمره لم يتجاوز التاسعة عشرة، حيث سجل 8

شرائط قبل أن يبلغ العشرين من عمره، وصنّفت إحدى أغنياته ضمن أفضل 10 أغنيات في بريطانيا آنذاك، فغير اسمه إلى "كات ستيفنز"، وهو الاسم الذي اشتهر به.

عندما أتم عامه الثاني والعشرين أصيب بمرض السل، الذي أقعده الفراش معزولاً عن الناس في أحد المستشفيات لمدة عام تقريباً، عكف فيه على القراءة في كتب الفلسفة والتصوف الشرقي، وتمنى لو أنه يعرف الطريق إلى اليقين الروحي، إذ كان يشعر بأن حياته بها شيء غير مكتمل رغم النجاح الذي حققه، وبعد شفائه، عاد إلى الغناء، ولكن بمفاهيم جديدة تتسق مع ما قرأه أثناء مرضه، وبالفعل، حققت أغنيتاه "الطريق لمعرفة الله"، "وربما أموت الليلة" نجاحاً كبيراً زاده حيرة، فأخذ يقرأ عن البوذية ظناً منه – كما يقول – أن السعادة هي أن تتنبأ بالغد لتتجنب شروره، فصار قدرياً وآمن بالنجوم وقراءة الطالع، ثم انتقل إلى الشيوعية، ولكنه شعر بأنها لا تتفق مع الفطرة – كما قال –، فاتجة إلى تعاطي الخمور والمخدرات، وعاد إلى تعاليم الكنيسة التي أخبرته أن الله موجود، ولكن يجب أن تصل إليه عبر وسيط، فأدى هذا به إلى أن يختار الموسيقى دنيا له يفرغ فيها أفكاره ومعتقداته[1].

2.1.4 قصة إسلامه:

يقول "يوسف إسلام": تعرفت على الدين الإسلامي أولاً عن طريق أخي الكبير "داود" فمنذ سنوات [1975] سافر أخي إلى القدس، ومن ضمن الأماكن المقدسة التي زارها "المسجد الأقصى"، ولم يكن قد زار أي مسجد من قبل، وقد وجد في هذا المسجد جواً مخالفا تماماً لجو الكنائس المسيحية والمعابد اليهودية. وبمجرد رجوعه إلى لندن جاء بنسخة من القرآن الكريم، وأهداها إلي، فشعرت اتجاهه باهتمام بالغ، رغم أني لا أعرف ما بداخله، فأخذت أبحث عن ترجمة للقرآن الكريم، وكانت هذه أول مرة أفكر فيها في الإسلام، وبقيت أقرأ القرآن لمدة تزيد على السنة ونصف السنة، ولم ألتق أثناء تلك الفترة بأي مسلم، وحاولت أن أبحث عن أخطاء في القرآن الكريم، ولكني لم أجد!! بل كان كله منسجماً مع فكرة الوحدانية الخالصة. ولقد أجاب القرآن عن

---

[1] عبد المنعم، علي،(2003)، يوسف إسلام "الدعوة بالموسيقى الهادئة" 3/ 4/ 2007 www. Islamonline.net

كل تساؤلاتي، وبذلك شعرت بالسعادة، سعادة العثور على الحقيقة. وفي أحد أيام الجمعة من شتاء 1977م قصدت مسجداً في لندن، وأشهرت إسلامي بعد الصلاة[1].

3.1.4 نشاطات "يوسف إسلام":

بعد دخوله في الإسلام اعتزل "يوسف إسلام" الموسيقى الصاخبة، ورأى أن يستغل موهبته الفنية فيما يخدم الإسلام، وما يصب في مصلحة الإنسانية، فقام بتسجيل عدد كبير من الأناشيد الدينية التي ألفها بالإنجليزية مع بعض الكلمات العربية، وأصدر حتى الآن 10 ألبومات، وقال في ذلك: إن الإنشاد الديني وسيلة صالحة لمحاربة الموسيقى الفاسدة، وقد ركز "يوسف إسلام" على إيصال صوته للأطفال، انطلاقاً من أن المجتمع الغربي مبتلى بحوادث عنف وقتل يقوم بها الأطفال؛ بسبب عدم ترسيخ روح الإيمان بالله في نفوسهم منذ الصغر، وهذا الأمر جعله يخصّص شريطاً للأطفال يعرفهم فيه بالله وسماه (A is for ALLAH) وأرفق مع الشريط كتيباً كتب فيه: "إن الطفل الغربي يتعلم منذ اليوم الأول: (A is for Apple)، ولكنني أريده أن يتعلم منذ الحرف الأول: (A is for ALLAH) الأمر الذي سينعكس عليه مستقبلاً[2].

ويترأس اليوم جمعية الدائرة الإسلامية التي تعنى بتعليم الإسلام، كذلك هو رئيس فخري وعضو في عشرين جمعية مماثلة. وألف مجموعة من الكتب العربية المصورة لتسهيل تعليم مبادئ اللغة العربية، ووزعها على جوامع بريطانيا، وقام بافتتاح "مدرسة قرآنية"، وهي الأولى من نوعها في بريطانيا[3]، ومن المؤسسات التي يديرها، مؤسسة "العطف الصغير"، التي تقدم خدماتها في مجال رعاية الأطفال وضحايا الحرب في منطقة البلقان، وهي مؤسسة معتمدة لدى الأمم المتحدة، كما يشرف على جمعية "عمار المساجد".

---

[1] عبد الصمد، محمد كامل، (1995)، الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، ج2، ص 107 – 112.

[2] عبد المنعم، علي، مصدر سابق.

[3] طماشي، محمد، (1991) عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام، دمشق: دار المحبة، ط1، ص170.

1.3.1.4 نشاطه السياسي:

ولبغضه للحروب والدمار والقتل دخل يوسف إسلام معترك السياسة، وأصبح داعية سلام عالمياً؛ فنتيجة لنشاطه وثقل مركزه العالمي قبلت الحكومة العراقية وساطته أثناء اندلاع حرب الخليج الثانية 1991، وأفرجت عن 4 أسرى إنجليز، كما وافقت الحكومتان السعودية والكويتية على إقامة مخيمات سلام على حدودهما لفريق من دعاة السلام على رأسهم "يوسف إسلام"، وقام بالعديد من الزيارات إلى البوسنة، وعقد العديد من الحفلات الدينية في سراييفو، وألف ألبوماً سياسياً عن مأساة البوسنة سمّاه بـ "ليس لديّ مدافع هادرة" في 1997.

ونال "يوسف إسلام" نصيبه من العنجهية الإسرائيلية عندما كان يزور القدس في عام 2000 لتصوير فيلم تليفزيوني عن الأماكن التي زارها في مقتبل حياته الإسلامية، حيث رفضت السلطات الصهيونية دخوله إلى القدس، بل احتجزته في زنزانة صغيرة بلا ماء أو خدمات قبل أن يتم ترحيله إلى ألمانيا، وكانت حجة الإسرائيليين أن "يوسف اسلام" يخصص جزءاً من عمله الخيري لصالح حركة حماس، الأمر الذي أنكره "يوسف اسلام" متسائلاً: "هل تقديم الأموال ليتامى الفلسطينيين دعم لحماس؟!".

وفي 6/ 3/ 2003 وقبيل الحرب الأمريكية على العراق أصدر يوسف إسلام توزيعاً جديداً لأغنيته "قطار السلام" (Train Peace) وجاءت لتعلن موقفه الرافض للحرب على العراق، ويعلق عليها يوسف بقوله: كتبت "قطار السلام" ضد الحرب لتصل رسالتها لقلوب الملايين، وتلبي حاجة كبرى للناس؛ لكي يشعروا بأن ثمة أملاً يتزايد؛ فأنا كإنسان وكمسلم أشعر بأن هذا هو إسهامي في الدعوة للحل السلمي".

وأخيراً، "يوسف إسلام" متزوج، ولديه 5 أبناء، وأتم حفظ القرآن الكريم، وقد دخل أخوه الإسلام مبكراً، أما أبوه فقد أسلم قبل وفاته بيومين![1].

---

[1] قصة إسلام كات ستيفنز (2007)، 15/ 1/ 2008 forum. amrkhaled.net.

2.4 ندي حكيم

طبيب جراح، ولد في لبنان ودرس فيها، ثم أكمل دراسته في أمريكا، حيث تخصص بزراعة الأعضاء، في جامعة مينيسوتا (univeraity minisota)، والتي تمّت فيها زراعة البنكرياس لأول مرة سنة 1960، ويقول "ندي حكيم": إن أكثر العمليات كانت على البنكرياس أثناء دراسته، لذلك عندما استقر في بريطانيا وعمل في مستشفياتها، أقنع القائمين على المستشفى البريطاني الذي اشتغل فيه أن يبدأوا بزراعة البنكرياس، وكانت أول زراعة بنكرياس لامرأة ونجحت، وبعد ذلك أجريت كثيرة عمليات لزراعة البنكرياس كثيرة، ويقدر "ندي حكيم" عدد العمليات التي أجراها لزراعة البنكرياس بـ 180 عملية. ولقد قام "ندي حكيم" بإجراء أكثر من 500 عملية زراعة أعضاء، وكان من أشهرها زراعة يد، حيث أجرى ثمانية من الجراحين سنة 1998م أول عملية لزراعة يد كان "نديّ حكيم" أحدهم.

1.2.4 إنسانية ندي حكيم:

يقول "حكيم": إنه يضطر للسفر أحياناً إلى بلد بعيد لإحضار أعضاء يتبرع بها أشخاص، ثم يعود إلى المستشفى الذي يرقد فيه المريض، ويبقى الساعات الطويلة مع مريضه حتى ينهي العملية، ثم يتوجه إلى أسرة المريض، ليطمئنهم، ويعطي رقم هاتفه إلى كل المرضى الذين يعالجهم؛ ولذلك يحبه المرضى وعائلاتهم، وأصبح يشار إليه بالبنان في المجتمع البريطاني.

2.2.4 هواياته:

منذ صغره وهو يحب العزف على آلة الكلارينت، مع أنه ليس بموسيقيّ، وشارك في تسجيل ثالث ألبوم له مع فرقة (اوركسترا كنيدي) إحدى أشهر فرق الموسيقى العالمية، ويمارس هواية النحت، ويقول بشأنها: إن النحت والجراحة فيهما أشياء كثيرة متشابهة.

3.2.4 محطات في حياته:

"ندي حكيم" طبيب عربي مختصّ بالجراحة، وهو من الجراحين المتخصصي ن بزراعة الأعضاء على مستوى العالم، وقد ألف العديد من الكتب التي تتحدث عن طب الجراحة، ويعتبر رائد عملية زراعة البنكرياس في بريطانيا، وأحد الأطباء الثمانية الذين قاموا بأول عملية زراعة يد في العالم، وأصغر جراح يتولى منصب نائب الرئيس في المعهد العالمي للجراحة، يعمل الآن رئيساً لقسم الجراحة في مستشفى "سانت ميري" في لندن، وهو فخور بأن مختبر الأبحاث الذي يشرف عليه لا يبعد سوى خطوات عن مختبر "فليمينج"، ذلك الرجل الذي أحدث ثورة في عالم الطب عندما اكتشف البنسلين في بداية القرن الماضي. وبالإضافة إلى مهارته الطبية وهواياته في الموسيقى والنحت، فإنه يتقن ثماني لغات، له احترام، ليس في بريطانيا فقط، بل في العالم، ولذلك ليس بمستغرب أن يختاره المعهد الأمريكي المختص بسيرة مشاهير الرجال أن يكون رجل السنة للعام 1990.

وله فلسفة في الحياة، فهو يعتبر أن الحياة قصيرة جداً، رغم ما فيها من أعمال وأحداث وجمال وغير ذلك، فيقول في ذلك: لأنني أرى مرضى كثيرين، كل يوم أرى المرضى، وكل واحد منهم عنده مشكلته، وفي أي وقت يمكن أن يموتوا، وهذا شكل شيئاً مهماً جداً بالنسبة لي، حيث علمني أن الحياة قصيرة، قصيرة بالفعل، يقول الناس الحياة قصيرة، لكني أعرفها بالفعل أنها قصيرة. وكل نهار يطلع عليّ أعتبره نعمة من الله، وكنت أتصور دائماً أن هذا النهار هو آخر نهار أعيشه، ولذلك أحب أن أعمل كل شيء أستطيعه في يومي ولا أؤجله إلى الغد[1].

3.4 اللورد هيدلي

هو "رونلاد جورج ألانسون"، ولد في 1855/1/19، وكان أميراً بريطانياً بارزاً وسياسياً ومؤلفاً. درس في جامعة كامبردج، ثم أصبح أميراً في عام 1877. وخدم في الجيش فشغل رتبة كابتن، ثم حاز على رتبة مقدم في الفيلق البريطاني الرابع. وعمل مهندساً مدنياً. واشتغل رئيساً لتحرير جريدة "سولزبوري"، ألف عدة كتب، أشهرها "رجل غربي يصحو فيعتنق الإسلام". وقد

---

[1] الجزيرة: موعد في المهجر (2005) الطبيب والفنان ندي الحكيم 2008/4/6 www.aljazeera.net

اعتنق "هيدلي" الإسلام في 1913/11/16، واتخذ لنفسه اسماً مسلماً هو الشيخ "رحمه الله الفاروق"[1].

ويقول في معرض سرده لقصة إسلامه: في عام 1883 سافرت إلى الهند إلى (مقاطعة كشمير) بهدف إقامة مشاريع هندسية وإنشاء طرق، وتعمير تلك الولايات على الطرق الحديثة الفنية، وهناك أهداني صديقي نسخة من القرآن الكريم، وفي هذا الكتاب الشريف وجدت بساطة الدين الإسلامي المبني على الفطرة الطبيعية الصادقة التي تتفق مع العقل، وقد خطر لي أن أعلن إسلامي منذ صغري، ولكني كنت مضطراً إلى مراعاة عواطف أقربائي المتقدمين في السن، الذين كنت من غير شك سأجرح عواطفهم، ولكن بعد وفاتهم، رأيت أنه قد حان الوقت لإعلان إسلامي، الذي كان موجوداً حقيقة منذ خمسين سنة. ويضيف: "إنني بإعلاني إسلامي الآن لم أَحِدْ مطلقا عما أعتقدته منذ عشرين سنة، ولما دعتني الجمعية الإسلامية لوليمتها سررت جداً، لأتمكن من الذهاب إليهم وإخبارهم بالتصاقي الشديد بدينهم"، ويضيف قائلا: "إن طهارة الإسلام وسهولته وبُعده عن الأهواء والمذاهب الكهنوتية ووضوع حجته، كانت كل هذه الأمور أكبر ما أثّر في نفسي"[2].

كان لإسلام "اللورد هيدلي" أثر كبير في تقوية الإسلام في بريطانيا، وكان إسلامه فتحاً على العرب والمسلمين، إذ لم تكد تمر أشهر قليلة على إعلانه إسلامه، حتى اقتفى أثره أكثر من أربعمائة بريطاني، كما تشكلت "الجمعية الإسلامية البريطانية" برئاسته لتعريف البريطانيين بالإسلام، والرد على الشبهات. وقد عُرِضَ على "اللورد هيدلي" عرش ألبانيا عام 1925، بالإضافة إلى مبلغ 500000 دولار بالإضافة إلى 50000 في السنة، وساوموه على دينه، لكنه رفض ذلك العرض، وظلّ المجتمع البريطاني يكنُّ له الاحترام والتقدير حتى توفي في 1935/6/22 في لندن[3].

4.4 حياة سندي

---

[1] عبد الصمد، محمد كامل، (1995)، الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط 1، ج1، ص 30 – 34.

[2] طماشي، محمد، (1991) مصدر سابق، ص 141 – 148.

[3] رولاند allasnson، 7/5 /2007ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

ولدت العالمة والباحثة العربية "حياة سليمان سندي"، في مكة في السعودية، وكانت شغوفة بحب العلم من صغرها، تقول عن نفسها: "وأنا في الصف الأول الابتدائي كنت أتسلل إلى كتب شقيقتي في الصف السادس لأحاول فهم مسائلها وحفظ مقرراتها، فأتلقى العقاب على ذلك العبث بصدر رحب؛ لأن شغفي بمسابقة الزمن كان يهزم خوفي من العقاب".

أكملت "حياة" دراستها الثانوية في الرياض، وحصلت على معدل 98% في القسم العلمي، وتوجهت لدراسة الطب في جامعة الملك عبد العزيز، وتقول عن دراستها في أول سنة في كلية الطب، "عندما كنت في سنة أول طب حصلت على كتب قريباتي في السنة الثالث والرابعة لأجد هناك ضالتي، فقد عشقت من كتبهم "علم الأدوية"، الذي شعرت بأنه يقف وراء الاكتشافات التي تخدم الإنسانية"، لم تجد "حياة" في الجامعات السعودية هذا التخصص بشكل موسع، فهو يدرّس ضمن التخصصات الطبية؛ ولذلك أخذت تقنع أهلها بالسفر لدراسة هذا العلم في الخارج، ونجحت في ذلك وسافرت إلى بريطانيا[1].

1.4.4 "حياة سندي" في لندن:

كانت أول عقبة تواجه "حياة" اللغة، فلغتها الإنجليزية ضعيفة، فتقدمت للثانوية البريطانية وأتمتها بنجاح، والتحقت بكلية "كينجز"، وواجهت "حياة" في تلك الفترة تحديات عديدة على الصعيدين الشخصي والعلمي، وتقول في ذلك: "فأما الشخصي، فقد بدأت بمواجهة الغربة التي تغلبت عليها بالاستئناس بكتاب الله وحفظت القرآن كاملاً خلال العام الأول من دراستي الجامعية لأجعله ربيع قلبي، ولأثبت أيضاً لمن يتهم الفتاة المغتربة من أجل العلم بأنها ستقع فريسة للمغريات أنه مخطئ، فما يحول بيننا وبين ارتكاب الخطايا هو الخوف من الله، وأنا أؤمن بأن الله موجود في كل مكان، وأن شخصيتنا هي التي تتحكم بالظروف التي تحيط بنا، وليس العكس، وعلى الصعيد العلمي أتيحت لي في العام الثاني فرصة فريدة لتأسيس مختبر للأمراض الصدرية بتوجيه من الأميرة البريطانية "آن"، حيث وصلنا عقار جديد من ألمانيا وأجرينا عليه أبحاثاً وتجارب لفهم تركيبته وعمله في جسم الإنسان، وحققنا إنجازاً علمياً بتقليص جرعته، لا أعتبر ذلك أول إنجازاتي

---

[1] سلامة، رانية سليمان، (2005) رموز عربية: العالمة الشابة حياة سندي 5/ 11/ 2007 .www.arabiyat.com.com

في حقل العلوم فحسب، بل كانت تلك التجربة وراء نقلة جديدة في حياتي"، تلك النقلة كانت وراء دراستها علم التقنية الحيوية (البيوتكنولوجي Biotechnology) في جامعة كامبردج وقدمت فيها رسالة الدكتوراه التي كانت بعنوان: "دراسات في المجسّات الحديثة للكهرومغناطيس الصوتي"، وهي أول امرأة في العالم العربي تحصل على شهادة الدكتوراه في التقنية الحيوية[1].

2.4.4 الحفاظ على الهوية:

عندما دخلت "حياة" جامعة كامبردج، بدأت تواجه تحديات جديدة كامرأة عربية مسلمة في جامعة بريطانية، تقول "حياة"؛ بعد انتسابي لجامعة كامبردج كأول سعودية تحصل على منحة دراسية من هذه الجامعة لتحضير أطروحة الدكتوراه في مجال التقنية الحيوية، استقبلني أحد العلماء بصرخة مفزعة قائلاً (فاشلة، فاشلة، فاشلة... ما لم تتخلي عن حجابك ومظهرك، وأؤكد لك بأنه خلال ثلاثة أشهر فقط ستذوب شخصيتك في مجتمعنا وتصبحين مثلنا، فلا بد من الفصل بين العلم والدين، ولنا تجارب سابقة مع إحدى المسلمات من شرق آسيا، فقد تخلت عن الحجاب بعد فترة قصيرة)... عبارته أصابتني بالصدمة، لكن لا أنكر أنه يجب علي شكره، فالتحدي الذي خلقه بداخلي دفعني للإصرار على الالتزام بشكلي ومظهري وهويتي؛ لأثبت له أن العلم لا يتعارض مطلقاً مع الدين الإسلامي، وخلال الثلاثة الأشهر الأولى تبدلت تلك العبارات الهجومية إلى احترام كبير من منتسبي الجامعة كافة ، حتى إنهم فيما بعد، وخلال شهر رمضان، كانوا يمتنعون عن تناول الطعام أمامي، ويؤجل بعضهم وجبة الغذاء إلى موعد إفطاري"... وتكمل بابتسامة الانتصار: "لقد ربحت الرهان مع ذلك العالم بفضل الله".

ومنذ دخولها جامعة كامبردج و "حياة" تبتكر وتنتج، رغم صغر سنها بالنسبة للباحثين الآخرين، وفي سنة 1996 أرسلتها الجامعة لحضور مؤتمر علمي – مؤتمر جوردن للبحوث – في بوستن، فكانت أصغر طالبة ترسلها الجامعة بعد أربعة أشهر فقط من بدء الدراسة، وأصغر مشاركة في المؤتمر، وقدمت للمؤتمر جهازاً ابتكرته، وهو جهاز لقياس أثر نوع من أنواع المبيدات الحشرية على الدماغ، وحققت نتائج مبهرة نالت إعجاب العلماء في المؤتمر[2].

---

[1] الدكتورة حياة سندي تثبت تفوق المسلمين من جديد (2006) 7/ 1/ 2008 www.thakafa.net.

[2] سلامة، رانية سليمان، (2005)، مصدر سابق.

3.4.4 إنجازات علمية:

من الأجهزة التي اخترعتها "حياة سندي" جهاز اسمه MARS، وهو اختصار لِ "Magnetic Acoustic Resonator Sensor" وتقول حياة عن هذا الجهاز : إن (مارس) باستخداماته المتعددة هو خلاصة أبحاثي وتجاربي، وقد سبق لي العمل على أبحاث متعلقة بالتفاعلات الدوائية بداخل جسم الإنسان، كما عملت على مشاريع بحثية لحماية البيئة وقياس الغازات السامة، وعكفت طويلاً على دراسة شريحة الجينات والحمض النووي DNA والأمراض الوراثية... ووجدت من كل ذلك أن المجسات المتوفرة إما أنها معقدة للغاية وضخمة، وإمّا أنها تفتقر للدقة... فمثلاً المجسات الخاصة بالحمض النووي عند استخدامها لمعرفة ما إذا كانت الحالة تؤهلها جيناتها للإصابة بمرض السكري لا تتجاوز نسبة دقتها 25%، فعملت أيضاً على اختراع مجس آخر لرفع هذه النسبة إلى 99.10%... وهذا مجرد مثال ينطبق بشكل أو بآخر على قياس الغازات وغير ذلك من الجزيئات الدقيقة التي يستعصي أو يصعب قياسها بدقة.

ومن خلال المؤتمرات العلمية، تعرفت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) على "حياة"، واستضافتها أسبوعين، ثم عرضت عليها عروضاً مغرية للعمل معهم لكنها رفضت ذلك، كما رفضت العمل في معامل (ساندیا لاب) في تكساس، وهي من أشهر المعامل في العالم، وكانت ترفض تلك العروض، رغم أنها مغرية جداً لخشيتها من استغلال أبحاثها أو عملها في أغراض حربية[1]

4.4.4 "حياة" في روسيا:

إن "حياة سندي" فرضت احترامها ليس في بريطانيا فقط، فقد كان لها حضور، كما مرّ معنا، في الولايات المتحدة، وها هي تدعى إلى زيارة روسيا، وعن تلك الزيارة تقول: "زيارتي لروسيا جاءت على ضوء حصول جامعة موسكو على منحة من كامبردج لإنجاز أبحاث في التقنية

---

[1] المصدر السابق.

الحيوية، وتم تكليفي آنذاك بالمتابعة معهم لمساعدتهم، وبالفعل بدأت بالتواصل معهم عبر البريد الإلكتروني لفترة طويلة، قبل أن ألبي دعوتهم، فكان اللقاء المفاجأة لي ولهم. فعندما وصلت إلى الجامعة لم يكن لدى العلماء هناك خلفية شخصية عني، فهم يعرفون أنهم بصدد مقابلة شخص يدعى "حياة سندي" وما أن خرج عدد منهم من قاعة الاجتماع لمقابلتي حتى شاهدت علامات الاستغراب على وجوههم، وأشار إلي أحدهم بازدراء قائلاً: هل أنتِ حياة سندي؟... أجبت بنعم... فتبادلوا النظرات وعادوا إلى القاعة وتركوني أراقب خطواتهم!!... قد يكون ذلك بسبب صغر سني أو حجابي، لكني على كل حال لم أكن مستعدة للعودة من حيث أتيت قبل أن أنجز مهمتي، فسرت خلفهم ودخلت معهم إلى قاعة الاجتماعات، وخاطبتهم قائلة: لقد قطعت هذه المسافة بناءً على طلبكم، ولدي مهمة سأنجزها، فهل نبدأ؟... استجابوا لي تحت وقع المفاجأة من إصراري، ومع الوقت تبدل الإعراض عني بمشاعر الاحترام والتقدير التي وجدتها منهم، وأنجزت العمل معهم وعدت إلى كامبردج [1].

5.4.4 القصور العربي تجاه العلماء:

لقد كانت "حياة" حاصلة على منحة من جامعة كامبردج لمدة ثلاث سنوات لتفوقها أثناء دراستها، وبعد انتهاء المنحة واجهت صعوبات في كيفية إتمام دراستها، وبعد جهود من زميلة لها في السعودية – نورة خالد السعد – حصلت على تغطية مالية حتى أتمت دراستها، ولكن العائق المالي لدعم مشروعها البحثي (الحلم) لم يتم القضاء عليه؛ لأنه يتطلب تمويلاً يقدر بمئة مليون ريال – كما تقول – ، ولم تجد من العرب أي تشجيع لذلك المشروع، ووجدت ذلك عند ثلاث شخصيات أجنبية ياباني وأمريكي وبريطاني، كانوا من ضمن الحضور في منتدى جدة الاقتصادي [2]، هذا الاهتمام من الغربيين بالعلماء، يقابله قصور كبير عند العرب والمسلمين، ومما يؤسف عليه، أن تدعى مثل هذه العالمة العربية للعمل في عدة دول غربية، ولا تستغل طاقتها، وغيرها من العلماء، في وطنهم، ولم يقف الأمر عند "حياة" على الدول الغربية، بل وجهت لها دعوات متتالية من السلطات الإسرائيلية وبإغراءات كثيرة، وقالت "حياة" تعليقاً على ذلك إن إسرائيل دعتها أربع مرات

---

[1] المصدر السابق.

[2] السعد، نورة خالد، (2005) ربيع الحرف، د. حياة سليمان سندي 2/ 1/ 2008 www.alriyadh.com.

للمشاركة في مركز – وايزمن انستتيوت – في تل أبيب، غير أنها رفضت ذلك لإدراكها – كما تقول – خطورة تطبيع البحث العلمي[1].

ولأن القصور العربي مع هذه العالمة، ومع غيرها، كان قائماً، فقد اضطرت "حياة" للعمل أثناء دراستها في بريطانيا، وتقول عن تجربتها في العمل: بدأت بالعمل منذ المرحلة الجامعية في (كينجز كوليدج)؛ لأتمكن من تغطية تكاليف دراستي، فقدمت دورة في اللغة العربية لموظفي البنوك بهدف تمكينهم من القراءة والكتابة بالعربية، ومساعدتهم على التواصل مع عملائهم العرب... كما كانت لي تجربة فريدة جداً عام 97 – 98 في كامبردج حيث تلقيت اتصالاً من عميد كلية طبية جديدة ينوي طلابها التخصص بالطب، دون أن تكون لديهم خلفية علمية سابقة، فبعضهم يحمل درجات علمية في التاريخ أو علم الاجتماع أو غير ذلك إلا أنهم قرروا أن يتحولوا لدراسة الطب ولن تقبلهم أية جامعة قبل أن تصبح لديهم خلفية علمية تؤهلهم لذلك، علماً بأن أمامهم وأمامي شهراً واحداً فقط قبل أن يتقدموا لاختبار البورد الأمريكي، وإذا فشلوا فستفشل تجربة الكلية ويتم إغلاقها... استفزتني التجربة والمغامرة، واشترطت لكي أقبل بهذه المهمة التي تتضمن منصب نائب عميد الكلية، بالإضافة للتدريس ألاّ أتقاضى مقابلاً إلا إذا نجح الطلاب بالفعل... وكانت أول دفعة عبارة عن طالبين بدأت معهما حصصاً مكثفة مرتين يومياً، ووجدت منهما تجاوباً وجدية كبيرين فقدمت كل ما عندي، وبذلا قصارى جهدهما وغادرا لتقديم الاختبار ... وبعد ثلاثة أشهر تقريباً وصلتني نتيجة نجاحهما عبر البريد الإلكتروني... فنجحت التجربة، واستمر عمل الكلية، وازداد عدد الطلاب في الدورة الثانية إلى 70 طالباً، خضت معهم التحدي نفسه؛ وتخرجوا اليوم جميعاً كأطباء[2].

6.4.4 استقرارها في بريطانيا:

---

[1] حياة سندي: عالمة عربية تعرفها إسرائيل أكثر من العرب، (2008)، 24/ 4/ 2008 www.islamonline.net.

[2] سلامة، رانية سليمان، (2005)، مصدر سابق.

لقد لقيت "حياة" من المجتمع البريطاني كل احترام، وساهمت الصروح العلمية البريطانية في نجاحها، ودعم مشاريعها، حتى مجلس العموم البريطاني ضمها سنة 1999 مع مجموعة العلماء الشباب الأكثر تفوقاً في بريطانيا؛ ولذلك قررت البقاء في بريطانيا والعمل فيها، خاصة أن مجال عملها غير موجود في الدول العربية أو الإسلامية بالشكل المطلوب، حيث إن هذه الدول لا ترصد ميزانية كافية للأبحاث والتطوير، وتعمل "حياة" الآن في شركة بريطانية تسمى "شلمبيرجير"[1].

5.4 "محمد كاظم" صوالحة[2]

1.5.4 مولده ونشأته:

"محمد كاظم" رشيد صوالحة من بلدة عصيرة الشمالية شمال فلسطين، ولد في طوباس عام 1961، وفيها أكمل دراسته الابتدائية والاعدادية، ثم انتقل الى مدينة نابلس حيث التحق بالمدرسة الاسلامية الثانوية، وفيها أكمل دراسته الثانوية، وقد حصل على بعثة دراسية الى الجامعة الأردنية، حيث حصل على البكالوريوس في الشريعة الإسلامية عام 1984، والماجستير عام 1987، ثم عاد إلى فلسطين المحتلة أيام الانتفاضة الأولى التي بدأت عام 1987، وكان من قادة العمل الإسلامي، وقد طاردته قوات الاحتلال، فتمكن من الخروج الى بريطانيا والإقامة فيها منذ عام 1992 م . وهو متزوج وله من الأبناء خمسة .

2.5.4 نشاطه في بريطانيا:

استمر في بريطانيا في العمل من أجل دينه و بلده الأم، وانخرط منذ البداية في العمل الدعوي والسياسي، حتى أصبح من أبرز العاملين في الساحة البريطانية للقضية الفلسطينيةة بشكل خاص، وللإسلام والجالية العربية والمسلمة بشكل عام، حيث برز كناشط في عدة مؤسسات

---

[1] المصدر السابق.

[2] خالد صوالحة– شقيقه–، مقابله شفوية، رام الله، فلسطين، 2008/2/3، الساعة 3.30 عصراً. / اتصال تلفوني مع حافظ الكرمي– لندن.

وجمعيات إسلامية وفلسطينية، فعمل رئيسا للرابطة الإسلامية في بريطانيا، إذ قادها لدورتين منذ عام 1999 وحتى عام 2003، ثم نائبا لرئيسها منذ عام 2003 وحتى عام 2005 .

وأثناء عمله في الرابطة الإسلامية، قامت الرابطة بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني البريطاني بعدد كبير من الفعاليات الجماهيرية والسياسية والإعلامية الخاصة بقضيتي فلسطين والعراق ، كانت هناك المسيرات الضخمة التي جرت في لندن، وكان من أشهرها مسيرة جنين، والتي شارك فيها حوالي 200 ألف متظاهر ضد مجزرة مخيم جنين، والتي ارتكبها الاحتلال الصهيوني عام 2002، وكذلك التظاهرة الضخمة والتي قادتها الرابطة الإسلامية ضد حرب العراق عام 2003 وحضرها حوالي مليونين من البريطانيين، وهي من أكبر التظاهرات الجماهيرية في تاريخ بريطانيا، وكان لها الأثر الكبير في التأثير على مكانة رئيس الوزراء البريطاني "طوني بلير". كما قامت الرابطة بتنظيم تحالف مع مؤسسات المجتمع المدني البريطانية سُمي (تحالف ضد الحرب) قام بعدد كبير من المسيرات والاعتصامات والتحركات وإصدار البيانات ضد السياسة البريطانية الرسمية في العالم العربي والإسلامي .

ثم عمل رئيسا للمنتدى الفلسطيني في بريطانيا ، حتى عام 2004، حيث شكل المنتدى لافتة فلسطينية للعمل مع الجالية الفلسطينية وتأطيرها للعمل للقضية الفلسطينية في المجالات كافة. وكذلك شغل منصب الرئيس في مؤسسة "إسلام إكبو" (المعرض الإسلامي)، وهي مؤسسة ثقافية تعنى بإقامة المعارض عن الإسلام، وقد أقامت هذه المؤسسة حتى الآن معرضين ضخمين حضر الأول عام 2006 ما يقرب من ثلاثين ألفا، وحضر المعرض الثاني عام 2008 ما يقرب من خمسين ألفا، وهو من أكبر واضخم المعارض التي تُعرِّف بالإسلام في أوروبا.

وفي عام 2006 أنشأت مجموعة من أبناء الجالية العربية والمسلمة في بريطانيا مؤسسة "المبادرة الإسلامية البريطانية"، وانتخب "صوالحة" رئيسا لها، وهي مؤسسة سياسية تعمل في السياسة والعمل النقابي، وقد تشكلت كلوبي ضغط لتغيير السياسات، وانضم إليها عدد من الناشطين السياسيين، وتقوم بالتركيز على العمل السياسي الإسلامي وعقد المؤتمرات ومحاولة توعية الجالية للتأثير عليها في الانتخابات العامة، حيث عملت بشكل مكثف مع عمدة لندن "كن لفنجستون"، الذي كان مؤيدا لحقوق الشعب الفلسطيني، ليبذل ما يستطيع من جهد لنصرة القضية الفلسطينية.

3.5.4 شخصيته المعتدلة:

يمتاز "صوالحة" بدماثة الخلق، وعلاقاته الايجابية مع الجميع، وهو . كما يصفه أخوه الأكبر "خالد" . : "صديق لكل من يلقاه"، لذلك؛ يعد من الشخصيات الإسلامية المعتدلة على الساحة البريطانية، وقد حاز على احترام كثير من أبناء الجالية العربية والمسلمة في بريطانيا وأوروبا، ونتيجة لذلك، تم اختياره كعضو في عدد كبير من المؤسسات الفاعلة على الساحة البريطانية، سواء منها السياسية أو الدعوية أو الثقافية، واستطاع بوسطيته وآرائه المعتدلة أن ينال احترام المجتمع البريطاني، أصبح له حضور في وسائل الإعلام المختلفة، ويعتبر من المؤسسين لقناة الحوار التي تبث من بريطانيا.

6.4 مجدي يعقوب

طبيب جراح، من أشهر ستة جراحين للقلب في العالم، ويعتبر ثاني طبيب يقوم بزراعة قلب بعد "كريستيان برنارد" (1967)، أجرى أكثر من ألفي عملية زرع قلب خلال 25 سنة، يحبه الشعب البريطاني، ويحترمه كبار رجالات الدولة، وتاريخه حافل بالعطاء.

ولد الدكتور "مجدي حبيب يعقوب" في 16/ 2/ 1935 في مدينة بلبيس في محافظة الشرقية في مصر من عائلة قبطية. حصل على بكالوريوس الطب من جامعة القاهرة – مستشفى القصر العيني – ثم عمل جراحاً نائباً في قسم عمليات الصدر في المستشفى. ثم سافر إلى المملكة المتحدة (إنجلترا) عام 1962م لاستكمال دراساته وحصل على درجة الزمالة الملكية في الجراحة من ثلاث جامعات بريطانية هي "لندن" و"أدنبرة" و"غلاسكو". وعمل باحثاً في جامعة شيكاغو الأمريكية عام 1969م. ولمهارته ترأس قسم جراحة القلب عام 1972م ثم عمل أستاذاً لجراحة القلب في مستشفى برومتون في لندن عام 1986، ثم رئيساً لمؤسسة زراعة القلب في بريطانيا عام 1987. وأخيراً استقرّ في عمله كأستاذ لجراحة القلب والصدر في جامعة لندن[1].

1.6.4 عطاء متميز:

[1] دكتور القلب القبطي مجدي يعقوب جمع بين العلم والإبداع والإيمان 8/ 5/ 2007 www.kenshrin.com

كان عطاء "د. مجدي" في نواحٍ متعددة، في الأبحاث، وفي العمليات الجراحية، وفي إنسانيته، فقد بلغت أبحاثه أكثر من 400 بحث متخصص في جراحة القلب والصدر، وقام بما يقرب من 25 ألف عملية أجراها خلال مشواره الطبي الطويل، منها 2500 عملية زراعة قلب، وقد اهتم خلال هذا المشوار بتدريب الأطباء على مستوى العالم كله، مؤكداً أنه بهذا ينقذ مريضاً قد لا يتحمل الانتظار حتى يأتي بنفسه لإجراء العملية، وهو يفخر في كل مكان بالأطباء المصريين الذين تتلمذوا على يديه، وأصبحوا قادرين على إجراء عمليات زراعة القلب بنجاح كبير، وأسس يعقوب عام 1995 مؤسسة خيرية تدعى "جين أوف هوب"، "جمعية سلاسل الأمل الخيرية"، التي تتولى إجراء عمليات جراحية لإنقاذ حياة مرضى القلب من الأطفال في البلدان النامية. ويسجّل له أنه أول من ابتكر جراحة "الدومينو"، التي تتضمن زراعة قلب ورئتين في جسد مريض يعاني من فشل الرئة، وفي الوقت نفسه ، يؤخذ القلب السليم من المريض عينه ليزرع في مريض ثانٍ.

ويضم سجل "يعقوب" إنجازات عدة في المجالات الطبية، من أبرزها إنشاء مركز هارفيلد لأبحاث أمراض القلب في بريطانيا، واستحداث أسلوب مبتكر لعلاج الجرحى لحالات هبوط القلب الحاد، وتأسيس البرنامج العالمي الرائد لزراعة القلب والرئة.ومن أحدث إبداعاته في العطاء الطبي، أنه قاد فريقاً طبياً، واستطاع لأول مرة في عالم الطب زراعة جزء من قلب إنسان من خلايا جذعية[1].

ولأجل عطائه المتواصل، فقد منحته الملكة إليزابيث ملكة بريطانيا لقب سير عام 1991، ووسام فارس 1999، ولقب "سير الجراحة" الذي منحته إياه الملكة إليزابيث ظل شاغراً لنحو 15 عاماً إلى أن تقرر منحه إياه، كما حصل على جائزة الشعب لعام 2000، التي نظمتها هيئة الإذاعة البريطانية BBC، حيث انتخبه الشعب البريطاني للجائزة عن عموم إسهاماته العلمية وإجرائه أكبر عدد من عمليات زرع القلب في العالم[2].

2.6.4 متقاعد لا يتقاعد:

---

[1] دكتور القلب القبطي مجدي يعقوب، مصدر سابق.

[2] مجدي يعقوب يفوز بجائزة الشعب في بريطانيا 19/ 4/ 2008 news.bbc.co.uk.

في عام 2006، قطع "د. يعقوب" تقاعده وأشرف على عملية جراحية دقيقة تطلبت نزع قلب اصطناعي مزروع من مريض تعافى قلبه الطبيعي، وقبل تلك العملية لم يتم نزع قلب المريض على أمل شفائه يوماً ما، وهو ما تم فعلاً[1].

احتفل "د. مجدي" في 16/ 2/ 2005 بعيد ميلاده السبعين، وسط مجموعة كبيرة من المرضى في مصر والذين عالجهم مجاناً.

رغم كل هذا العطاء، والتضحية، فإن "د. يعقوب" لم يسلم من العوائق والتحديات، فقد تعرض لدعاوى قضائية تتهمه بالإهمال أو بالمسؤولية عن عدم تخدير المرضى بالمضاعفات، وواجه أزمة إغلاق المستشفى التعليمي بلندن، الذي كان يقود فريقه الطبي على مدى أكثر من ثلاثين عاماً، وعند بلوغه سن الخامسة والستين أبلغته مجموعة رويال برمبتون وهارفيلد بمنعه من ممارسة الجراحة نظراً لتعديه سن الخامسة والستين وفقاً لقوانينها، ما أثار جدلاً واسعاً بين الأوساط الطبية البريطانية.

طبعاً شعر بالاستياء من قرار وقفه عن ممارسة الجراحة لعامل السن فقط. لكن ذلك لم يمنعه من مواصلة نشاطه الخيري، الذي كان قد بدأه وأسسه عام 1995 في إنجلترا تحت اسم "سلاسل الأمل" وهي مجموعة من الجمعيات مهمتها زرع الأمل في قلوب الفقراء وإجراء جراحات القلب لهم مجاناً في لندن أو في أي مركز طبي مجهز.. وتركز تلك الجراحات على الأمراض التي يرجع سببها للعيوب الخلقية والصمامات، "السلاسل" لها فروع في أماكن كثيرة في العالم ومنها مصر وفلسطين[2].

7.4 حسن الكرمي

---

[1] دكتور القلب القبطي مجدي يعقوب، مصدر سابق.

[2] مجدي يعقوب، ساحر القلوب 20/ 4/ 2008 www.elakhbar.org.eg.

ولد "حسن الكرمي" في مدينة طولكرم بفلسطين عام 1905، وتلقى تعليمه الابتدائي فيها، ثم انتقل إلى دمشق مع أسرته وذلك بسبب تعيين والده الشيخ سعيد الكرمي (1852–1935) في المجمع العلمي العربي، ثم رجع إلى فلسطين سنة 1924 ودخل الكلية الإنجليزية، وأتم تعليمه الجامعي فيها، وحصل على شهادة البكالوريو س الفلسطينية سنة 1930، وعيّن معلماً في مدرسة الرملة ثم في المدرسة الرشيدية، وفي عام 1934 بدأ يدرس في الكلية العربية في القدس ، وانتدب للتخصص في التربية وعلم الإحصاء التربوي في جامعة لندن خلال العامين 1937 و 1938، ثم رجع إلى فلسطين وعمل في إدارة المعارف العامة بالقدس. بعد حرب 1948 هاجر إلى بريطانيا، والتحق بالقسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية (BBC) كمراقب لغوي، وهذا العمل أفاده كثيراً في عملية التعليم والترجمة[1].

1.7.4 بيئة الأدب والعلم

ولد "الكرمي" في أسرة محبة للعلم والأدب، فوالده كان تلميذاً لكل من "جمال الدين الأفغاني" و "محمد عبده"، وكان فقيهاً وشاعراً وأديباً وقاضياً، وأما أشقاؤه، فإن شغفهم بالأدب كبير، فأخوه "أحمد"، كان أديباً وكاتباً، وأخوه الآخر "عبد الكريم" فهو الشاعر المشهور بكنيته "أبو سلمى"، وأخواه الآخران "محمود" و "عبد الغني" كانا صحافيين، وكان لهذه البيئة أثر في حياة "حسن" العلمية، والأدبية، وحتى الأسرية، فإحدى بناته "غادة الكرمي" طبيبة وأدبية، وحفيدته كذلك أديبة وتحب كتابة المسرحيات[2].

2.7.4 العمل المعجمي

لقد شغف "الكرمي" بالعمل المعجمي، وله في ذلك معاجم عديدة، منها: معجم "المنار" الذي طبع سنة 1970 وهو معجم إنجليزي – عربي، ثم معجم "الهادي إلى لغة العرب" (عربي – عربي)، ثم ألف سلسلة معاجم المغني – المغني، المغني الكبير، المغني الأكبر، المغني زائد، والوسيط والوجيز – وهي معاجم ثنائية اللغة (إنجليزي – عربي) (عربي – إنجليزي)، ويرى

---

[1] العودات، يعقوب، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، القدس: دار الإسراء، ط3، 1992، ص535.

[2] طيب، سامي، برنامج زيارة خاصة 2006/12/16 حسن الكرمي سيرة ذاتية www.aljazeera.net.

"الكرمي" أنّ "صناعة المعجم" هي أكثر صعوبة ودقة من علم الرياضيات، ويشرح "الكرمي" طريقته في العمل المعجمي قائلاً: إنّ "أول شيء يقوم في ذهن واضع المعجم هو قصده من وضع معجمه، وهل هو معجم ابتدائي أو متوسط أو جامعي، وهل هو لعلم من العلوم كالطب أو الكيمياء، أو هل هو جامع يشتمل على عدد أكبر من الكلمات، وهل هو لتفسير معاني الكلمات بالأمثلة والشواهد أم لتعلم لغة أجنبية عن طريق الاستعمال"[1].

3.7.4 مشاعر العرب والمسلمين في بريطانيا اتجاهه

لقد عرف العرب والمسلمون "حسن الكرمي" من خلال برنامجه "قول على قول" في هيئة الإذاعة البريطانية (BBC)، هذا البرنامج الذي كان عيناً على التراث العربي والإسلامي، وفي الوقت نفسه متصل بما كان يشاهده في الحياة الغربية الحديثة، فكان أداة وصل بين حضارتين وثقافتين وعالمين آمن بإمكان لقائهما، مخالفاً بذلك الشاعر الإنجليزي "روديارد كليبلنغ" الذي قال: إن "الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا"، فرؤيته للعلاقة بين الحضارات تمحورت حول إمكان الحوار والتفاعل المتبادل.

لقد ظل "الكرمي" يبث برنامج "قول على قول" على مدار ثلاثين عاماً من نهاية الخمسينيات حتى سنة 1989، وقد حاز على اهتمام العرب والمسلمين في بريطانيا خاصة, وفي أوروبا بشكل عام، وقد شكل عندهم احتراماً "للكرمي"ومشاعر تقدير له، ذلك أنهم رأوا في برنامجه نوعاً من المحافظة على اللغة العربية في عقولهم وهم في بلاد الغربة، ويعيد للغة الحياة على ألسنتهم[2].

4.7.4 حنينه لوطنه

---

[1] صالح، فخري، العلامة حسن الكرمي، مجلة العربي، العدد 587، (تشرين أول / 2007)، ص 114.

[2] طيب، سامي، حسن الكرمي سيرة ذاتية، مصدر سابق.

إن هجرة "الكرمي" إلى بريطانيا، وطول الفترة التي مكثها هناك، لم يكن ليبعده عن بلده فلسطين، فما نسيها في كتاباته ولا في ذكرياته ولا في أشعاره وأحاديثه، فكتب عنها المقالات [1]، وترجم لأجلها الكتب، فعندما ترجم كتاب "هنري تشارلز" وهو "محاكم التفتيش في إسبانيا" وأطلق عليه اسم "العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة"، كشف في مقدمة الكتاب الغاية الفعلية من وراء الترجمة فقال: "ما جرى للعرب والمسلمين في إسبانيا من اضطهاد وقهر وانتزاع أملاك وأموال وطرد وتشريد وغير ذلك، يشبه ما جرى ويجري لعرب فلسطين بالاحتلال الإسرائيلي لبلدهم وإنشاء دولة إسرائيل فيه"[2].

وسطر حنينه لوطنه فلسطين في قصائد عديدة، ومن تلك القصائد هذه الأشعار:

أنا على العهد مهما شت نائينا ... وأوسع الدهر حبل الوصل توهينا
وأمعنت صور الأحداث ضاربة ... أطنابها لتزيد الخطب توهينا
فلا البعاد مزيل ما بأنفسنا ... ولا التداني بماح بعض ما فينا
أرض أنيطت بها يوما تمائمنا ... وفي الصبا قد أميطت عن تراقينا
نحن شوقاً إلى تلك الربوع كما ... يحن إلف لإلف فاته حينا
ونبعث الرسم تخييلا عسى أثر ... في الذهن عن رؤية الأعيان يكفينا
حتى الحقيقة ما أشفت لنا غللا ... فكيف أخيلة تروي وتشفينا
فلا الجبال جبال النار نعهدها ... ولا الأراضي بها شبه لوادينا
ولا الملامح في الأشخاص نعرفها ... كأنما الناس ليسوا من أناسينا [3].

5.7.4 آثاره ووفاته

كتب الكرمي المقالات العديدة في مجلات عربية وإنجليزية مختلفة، وفي بعض الموسوعات البريطانية من اللغة العربية والأدب العربي والإسلام، منها موسوعة (تشمبرز) وموسوعة (دورله بوك)، وله مقالات بلغت أربعين مقالة في الفلسفة بعنوان (طبقة الفهماء) نشر

---

[1] الكرمي، حسن، قدسية فلسطين عند المسلمين، شؤون فلسطينية، العدد 11 (تموز/ 1972)، ص 144.

[2] صالح، فخري، مصدر سابق، ص 117.

[3] العودات، يعقوب، مصدر سابق، ص 536.

أغلبها في مجلة "الأديب"، ومن آثاره العلمية، "قول على قول"، في أربعة عشر مجلداً" المنار، وحياة قط والمغني... وغيرها[1].

توفي "الكرمي" في عام 2007 في الأردن ودفن فيها، بعد أن أعطى – من خلال سيرته وكتاباته – النموذج الإيجابي للاندماج واحترام الآخر.

8.4 سلمى الخضراء الجيوسي

ولدت "سلمى صبحي الخضراء الجيوسي" في مدينة السلط شرقي الأردن سنة 1926 من أب فلسطيني وأم لبنانية، نشأت في فلسطين، ودرست الأدبين العربي والإنجليزي في الجامعة الأميركية في لبنان، وأما شهادة الدكتوراه في الأدب العربي فقد حصلت عليها من جامعة لندن.

ودرّست في جامعات عربية من 1970–1975، حيث عملت أستاذة في جامعة الخرطوم، وجامعة الجزائر، وجامعة قسنطينة، ثم عملت في الولايات المتحدة بجامعة يوتا ثم واشنطن، ثم تكساس من سنة 1976 إلى سنة 1988[2].

1.8.4 ثقافتها الأدبية

لقد نشأت "سلمى" في أسرة متعلمة ومثقفة، فوالدها كان رجلاً مثقفاً يشتغل محامياً في سلك القضاء، وأمها كانت مولعة بالجمال والأدب والشعر. وفي هذا المجال تقول: "لقد ورثت عن والديّ كثيراً من الصفات الخلقية الرائعة، وكثيراً من الخصال العلمية المتميزة، ورثت عنهما حب الدقة والموضوعية في التحصيل والبحث، وورثت عنهما الصبر والتحمل والاعتماد على النفس في المطالعة والدرس"، وتضيف: "أخذت من أمي شاعريتها وحبها للجمال وعدم تقديسها للمؤسسات والتقاليد التي خلت من المعنى في عصرنا. وعندما وجدت فيما بعد في مواقف اضطرّتني إلى

---

[1] العودات، يعقوب، المصدر السابق، ص535.

[2] اليسوعي، روبرت ب. كامبل، إعلام الأدب العربي المعاصر، بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع، ط 1، 1996، ج1، ص440.

مواجهة الأعراف العقيمة أو العقليات المختلفة لم أجد قط أيّة صعوبة في اتخاذ خياري ضدها، وفي هذا أنا مدينة لأمي"[1].

2.8.4 "سلمى" .. الشاعرة والناقدة

عرفت الدكتورة "سلمى" شاعرة بعد عام 1948، وقد واكبت أحداث النكبة، وكان شعرها سلاحاً في يدها لمقاومة الاحتلال، ونشرت شعرها في العديد من المجلات العربية، وصدر لها ديوان شعري بعنوان: "العودة من النبع الحالم"، سنة 1960، ومن شعرها: قصيدة بعنوان "فداء" تقول فيها:

تباركت الأرض، أرض الجدود وأرض السنابل والأقحوان
وأرض الأغاني وأرض الرزايا وأرض البسالة والعنفوان
من الأرض هذا الأديم الموشى بعطر الكفاح الأبيّ
من الأحمر الخصب روى ثراه عطاء الدم العربيّ
بنيت لنفسي طموحاً، وضعت لقلبي عرشا
ولونته من شعاع الأصيل تجود به الشمس قبل الرحيل وحين يجن الغروب[2].

وأما القصيدة التي تحب أن ترددها، فهي "مرثية الشهداء"، وتقول فيها:
أنا أدري أنهم ماتوا ليحيا الوطنُ
وطن القتلى وحقل الدم هذا الوطنُ
أنا أدري أنها "الحرية الحمراء" هذا الثمن
الرائع المغموس بالآهات هذا الثمن
أنا أدري إنما الحزن بأعماق فؤادي ليس يدري[3].

---

[1] النوري، محمد جواد، من أعلام الفكر والأدب في التراث العربي، حيفا: مجلة الحياة، ط1، ص449.

[2] الروضان، عبد عون، الشعراء العرب في القرن العشرين، عمان، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ط 1، 2005، ص253.

[3] القاسم، سميح، مطالع من أنطولوجيا الشعر الفلسطيني، حيفا: دار عربسك، ط1، 1990، ص188.

وتعدّ "سلمى" ناقدة أدبية قديرة، لكن عنايتها بالنقد التطبيقي توارت كثيراً خلف مشروعاتها الموسوعية، وهذا لا يعني أنها لم تتصدّ لقضايا الأدب الحديث شعره ونثره، بل كانت لها دراسات في ذلك، منها عدد من المقدمات التي صدّرت بها الكتب، ومنها موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر, التي صدرت بالعربية (1996)، وكذلك دراستها لدور "بدر شاكر السياب" في تجديد الشعر، وقال في حقها بعض الأدباء: والحق أن القليل من النقد الذي كتبته "سلمى" يوحي بأنها ناقدة دلفت إلى النقد من دائرة الإبداع. فإحساسها بجماليات الشعر إحساس قوّي غير أن انصرافها إلى أعمال أخرى، وانهماكها في الترجمة والتصنيف الثقافي أفقدانا الكثير مما كان سيكسبه النقد لو أنها انصرفت إليه, عوضاً عن الانصراف إلى غيره[1].

3.8.4 مشاريع "سلمى" وأوسمتها

نجحت د. "سلمى" في إقامة عدة مشاريع أدبية، واستطاعت من خلالها إقامة جسر بين التراث العربي والإسلامي وبين الثقافة الغربية، مما ساهم في التقريب بين الثقافتين، وإيجاد جسر إيجابي بين الحضارتين، وفي هذا المقام تقول د. "سلمى": "لقد عشت بين حضارتين عظيمتين، هما الحضارة العربية الأصيلة، والحضارة الغربية الجديدة، ولكنني لم أفرط بإحداهما، ولم أفرط مع واحدة منها، وإنما استطعت أن أجد نقطة الارتكاز والتوازن والانسجام والألفة بينهما, وقد انعكس ذلك كله على فكري وأدائي الذي جاء متسماً بالصبغة الإنسانية والعالمية" [2]. نتيجة لذلك؛ حازت على احترام وتقدير كل من قرأ لها من العرب والمسلمين أو من الغربيين.

من أهم مشاريع د. "سلمى"، مشروع "بروتا" لترجمة الأدب العربية إلى اللغات الحية، وخاصة الإنجليزية، وذلك سنة 1980، ولهذا المشروع فضل كبير في تعريف الغرب قارئ الإنجليزية بالإبداع العربي بعامة والفلسطيني بخاصة. وقد انتجت "بروتا" الموسوعات وكتباً في الحضارة العربية الإسلامية، وروايات ومسرحيات وسيراً شعبية وغيرها، ونتيجة لجهودها، وإبداعها، حازت على تكريم عديد من المؤسسات العربية والأجنبية لها، ففي عام 1990 حصلت على وسام القدس للثقافة والفنون، وعلى وسام اتحاد المرأة الفلسطينية الأمريكية للخدمة الوطنية المتفوقة عام

---

[1] خليل، إبراهيم، نقاد الأدب في الأردن وفلسطين، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 2003، ص70-71.

[2] النوري، محمد جواد، مصدر سابق، ص 450.

1991، وفي عام 1998 نالت جائزة فلسطين للعلوم الإنسانية, كما حصلت على عدد من الزمالات من الجامعات الأمريكية[1].

4.8.4 مؤلفاتها

لقد أغنت د. "سلمى" المكتبة الأدبية بالعديد من المؤلفات، ومنها: ديوان "العودة من النبع الحالم" (1960)، "إنسانية الإنسان" لرالف بارتون باري (ترجمة 1961)، "الشعر الأمريكي الحديث" للويز بركان (ترجمة 1961)، "جوستين وبالثازار – جزآن من رباعية الإسكندرية للورانس دريل" (ترجمة 1961–1962)، "الشعر والتجربة" لأرشيبالد ماكليش (ترجمة 1963) "والت وتيمان" لرتيشارد تشيس (ترجمة 1962)، "هكذا خلقت جيني" لأرسكين كالدويل (ترجمة 1961) "اتجاهات الشعر العربي الحديث" (بالإنجليزية 1970)، "أنطولوجيا الشعر العربي الحديث – وهو مختارات ل 93 شاعراً عربياً (ترجمة 1987، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر – مجلدان بالإنجليزية – (1997) وقد صدر بالعربية كذلك عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت[2].

5.8.4 عملها الحالي

تعمل د. "سلمى" متنقلة بين الولايات المتحدة ولندن، فشهرتها في المجتمعين الأمريكي والبريطاني معروفة، وأغلب المجامع الأدبية تعرف د. "سلمى" كأديبة وشاعرة وناقدة ومترجمة وأكاديمية فلسطينية نشيطة. حتى اليوم (2008).

---

[1] أبو شاور، أحمد، موسوعة أميرات الشعر العربي، عمان: دار أسامة للنشر، ط1، 2003، ص181.

[2] شاهين، أحمد عمر، موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين، غزة: المركز القومي للدراسات والتوثيق، ط 1، 2000، ص351.

الفصل الخامس

مستقبل العرب والمسلمين في بريطانيا

الفصل الخامس

1.5 مستقبل العرب والمسلمين في بريطانيا

إن أهم ما تمتاز به بريطانيا، أنها دولة متعددة الثقافات، وهي تفتخر بذلك، وتعتبر هذه الميزة كإحدى الاستراتيجيات لتحقيق اندماج الأقليات عن طريق تحقيق التوازن بين هويات الأقليات وتقاليدهم وأعرافهم من جانب، والقيم والنظام لتلك البلاد من جانب آخر، ورغم أن حكومة حزب العمال منذ 1997 شجعت هذه الاستراتيجية، فإن تياراً آخر، يمثله حزب المحافظين، له انتقادات وتحفظات على هذه الإستراتيجية، رغم أنها إستراتيجي ة نجحت في تحقيق كثيرٍ من الإنجازات والإيجابيات للمجتمع البريطاني، وللأقليات وللجاليات التي تعيش فيه، ومن ضمنها الجالية العربية والإسلامية، حيث حصل العرب والمسلمون على مكتسبات عديدة، مثل بناء المساجد، والمدارس، وتشكيل الجمعيات والمؤسسات المختلفة، عدا عن الدعم الحكومي لتلك المشاريع، بالإضافة إلى ابتعاد بريطانيا عن قضايا عديدة تثير الإشكالات، مثل قضية الحجاب، وغير ذلك من مكتسبات.

أما الذين يعتقدون أن سياسة تعدد الثقافات لم تنجح إلى حد كبير، فإنهم يحتجّون بحصول الانفجارات في لندن في 7/ 7/ 2005، ووجود خطاب تحريضي يدعو إلى العنف والإرهاب، ولكن الناظر إلى الإيجابيات والمكتسبات التي تحققت على أرض الواقع، يجد أنها أكبر وأكثر من تلك السلبيات، التي تذكر في معرض الحديث عن "التعددية الثقافية" (Multiculturalism) في بريطانيا؛ لذلك يتوقع الباحث أن يكون مستقبل العرب والمسلمين في بريطانيا أفضل بكثير مما هو عليه هذه الأيام، وذلك لاعتبارات عديدة، وإشارات يلحظها المراقبون بين الحين والآخر على الساحة البريطانية.

فعلى المستوى التعليمي، فإن نسبة المتعلمين والمثقفين بين أبناء الجالية العربية والإسلامية قد ارتفعت، بعد أن كانت نسبتهم ضئيلة جداً؛ ذلك لأن الأفواج الأولى من المهاجرين، جاءت إلى بريطانيا بهدف العمل، ولم يكونوا يعبأون بقضايا التعليم، أما في العقدين الأخيرين، فإن المستوى التعليمي ارتقى بشكل كبير، ففي سنوات معدودة، رأى الباحث أن نقلة نوعية أحدثها العرب والمسلمون فيما يخص العلم والثقافة، فالمدارس التي يديرها العرب والمسلمون أصبحت تعدّ بالمئات، وقبل ذلك، لم يكن في تصور العرب والمسلمين بناء مثل هذه المشاريع المهمة والفاعلة

في المجتمع. وأمر آخر، يتمثل في النجاحات التي أحرزتها تلك المدارس، وقد سبق الحديث عن ذلك*، وهذا مؤشر يظهر أن مستقبلاً واعداً ينتظر العرب والمسلمين في بريطانيا.

ومن جانب آخر، فإن الإحصاءات الرسمية وغير الرسمية لأصحاب الكفاءات العلمية من أبناء الجالية العربية والإسلامية تشير إلى أن وضع الجالية التعليمي في ارتقاء مستمر، وقد صرّح بذلك، وكيل وزارة الخارجية البريطانية للشؤون البرلمانية – ديفيد تريزمان – فقال: "حدثت في الواقع قفزة كبيرة في عدد المسلمين الملتحقين بالجامعات خلال السنوات الأخيرة، وهو ما يمثل مؤشراً إيجابياً لوجود فرص أفضل أمامهم في المستقبل"[1].

ووجد الباحث أن كثيراً من المجالات العلمية والإبداعية في بريطانيا، كان للعرب والمسلمين نصيب فيها، وأحياناً كفاءات متميزة على مستوى العالم، على سبيل المثال لا الحصر، مجال الطب، فقد كشفت منظمة العمل العربية في تقرير لها أن الأطباء العرب في بريطانيا يمثلون 34% من الأطباء[2]، هذا عدا الأطباء المسلمين، وقد مرّت في الفصل الخامس أسماء لامعة في عالم الطب على مستوى العالم، أمثال "مجدي يعقوب" و "ندي حكيم".

ومن جانب أخر، وجد الباحث أنه لو تم رصد كفاءات كل بلد عربي أو إسلامي في بريطانيا على حدة، فإنه سيجد النتيجة نفسها، وهي أن نسبة المتعلمين والمثقفين في زيادة مطّردة، والقادم أفضل.

إزاء هذه المعطيات، وغيرها، فإن الباحث يرى أن المستقبل سيضع العرب والمسلمين في مكان أرقى وأفضل مما هم عليه الآن.

أما على المستوى الديني أو الإيماني، فالأمر لا يختلف عن سابقه، ولعل الأمر يكون أكثر وضوحاً، وذلك أن الأضواء مسلطة في هذه الأيام على هذا الجانب، حيث الحديث عن الإرهاب والعنف، وتجيير ذلك ضد العرب والمسلمين.

---

* أنظر: علاقة العرب والمسلمين مع المؤسسة التربوية البريطانية(1.3).

[1] تريزمان، لورد ديفيد، (2006)،مسلمو بريطانيا، مكون أساسي في مجتمع متعدد الثقافات 2007/10/7 www.siironline.org

[2] إحصائية خطيرة، 34% من الأطباء في بريطانيا من العرب 12/ 3/ 2008 www.islamicnews.net

يرى الباحث أن المستوى الديني للمسلمين في بريطانيا، في تصاعد إيجابي في الجوانب كافّة، فعلى جانب الفهم، أصبحوا أكثر فهماً لدينهم، بعد أن كانت تأسرهم عادات وتقاليد، أحضروها من بلادهم الأصلية، وفيها أمور تخالف مفاهيم الدين الصحيح، ولم يسلم من ذلك بعض الأئمة الذين حضروا إلى بريطانيا – كما يقول سالم الشيخي * أحد علماء المسلمين في بريطانيا– [1]، أما الآن، فإن المجتمع المسلم البريطاني يشهد دورات تعليمية لأبناء المسلمين في المساجد وفي المدارس الإسلامية، وكذلك دورات للأئمة يقوم بها علماء مختصون، ومؤسسات خاصة.

ومما يشير إلى زيادة وعي المسلمين واهتمامهم بالدين، حرصهم على بناء المساجد، حيث أن عددها في العام 2007 يزيد على 1500 مسجد حسب تقديرات الخبراء، بعد أن كان المسلمون في ستينيات القرن الماضي يؤدون شعائر الصلاة في المصانع والورش ومواقف السيارات، ولم يكن في بريطانيا سوى 13 مسجداً، وكان أول مسجد قد عرفته بريطانيا هو مسجد شاه جهان في بلدة ووكينغ جنوب لندن، حيث افتتح المسجد سنة 1889، وأما المسجد الثاني فقد بني في مدينة كارديف تحت اسم "نور الإسلام" [2]، ولم تشهد بريطانيا زيادة ملحوظة في عدد المساجد إلا في العقود الأربعة الأخيرة، ويتبين ذلك من خلال(الجدول 1.6).

---

* سالم عبد السلام الشيخي، من أصل ليبي، وهو المستشار الشرعي في المركز الإسلامي البريطاني، ورئيس الهيئة القضائية في كونبجهام، وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين والمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث.

[1] شاكر،حسام، (2001)، مسلمو بريطانيا يدخلون الحياة العامة من أوسع أبوابها 2007/1/5 .www.islamonline

[2] الكتاني، علي بن المنتصر، مصدر سابق، (2005)، ص320.

(**الجدول 1.5**): تسجيل سنوي للمساجد (1966–1985) [1]

السنة	العدد	المجموع
1966	5	18
1967	4	22
1968	9	31
1969	7	38
1970	11	49
1971	8	57
1972	8	65
1973	8	73
1974	8	81
1975	18	99
1976	20	119
1977	17	136
1978	21	157
1979	17	174
1980	19	193
1981	30	223
1982	23	246
1983	22	268
1984	22	290
1985	24	314
–	–	–
1990		452

وإشارة أخرى يأخذها الباحث من تنامي عدد هذه المساجد، تدل على تنامي الإيمان في نفوس المسلمين في بريطانيا، وهي أن روادها يزدادون يوماً بعد يوم كما أخبرت صحيفة "ديلي تليغراف" البريطانية في 26/ 3/ 2006، حيث جاء فيها: إن عدد مرتادي المساجد في بريطانيا تفوّق على نظيره بالكنائس في كل من إنجلترا وويلز، محذرة من أنه إذا استمرت هذه الميول فإن مرتادي الكنائس لحضور صلوات الأحد سيتراجع إلى 678 ألف مصلٍّ بحلول عام 2020، ومع

[1] نيلسون، يورغن، مصدر سابق، (2005)، ص 87 – 88.

هذا العام [2007] سيرتفع عدد المسلمين الذين يرتادون الجوا م ع لأداء صلاة الجمعة إلى 683 ألفاً[1].

ومما يدل على أن الإسلام في تصاعد على الساحة البريطانية، أن الذين تحولوا من المسيحية إلى الإسلام في بدايات القرن الماضي كانت أعدادهم قليلة، ومن هؤلاء من كان يكتم إسلامه، مثلما حدث مع "اللورد هيدلي" الذي كتم إسلامه قرابة 20 عاماً، رغم أنه سليل الأسرة الملكية البريطانية [2]. أما في العقود الثلاثة الأخيرة، فإن أعداداً كبيرة تحولت إلى الإسلام، من طبقات المجتمع البريطاني كافة، جاء في صحيفة "صنداي تايمز" أن 14 ألف بريطاني أبيض، وبعضهم من صفوة المجتمع ، ومن الطبقات المثقفة والعليا، قد اعتنقوا الإسلام، و قال "نيكولاس هيلين" و"كريستوفر مورجان" في مقال كتباه ، إن بعض هؤلاء من كبار ملاك الأرض ، أو من المشاهير ، أو من الأثرياء، وهؤلاء أغلبهم قد تأثروا بكتابات "تشالز لو جاي أنيون" الذي كان دبلوماسياً ، وكتب كتاباً بعنوان: "الإسلام وقدر الإنسان". وأشارت الصحيفة إلى أن "أي كلارك" حفيدة رئيس الوزراء البريطاني الأسبق "هيربرت إسكويث" قد اعتنقت الدين الإسلامي. وكانت وسائل الإعلام بريطانية قد قدرت عدد البريطانيات اللواتي اعت رقن الإسلام عن طريق الزواج أو الدراسة بحوالي 77 ألف امراة [3]. وتضيف الصحيفة، أن نزعة تحول الانجليزيات للاسلام، ذلك الدين الذي يرى البعض أنه جائر بحق المرأة، يربك الحركات النسائية والأوساط المسيحية، خاصة أن معظم النساء اللاتي أسلمن هن من حملة الشهادات العليا[4].

ومؤشر آخر لا ينبغي نسيانه، وهو ارتفاع نسبة الحجّاج البريطانيين إلى مكة المكرمة، فبعد أن كانت الأرقام تتحدث عن بضع مئات، فإنها اليوم تتحدث عن الآلاف، ففي السنوات الأخيرة – حسب وزارة الخارجية البريطانية – يحج كل عام 25 ألف مسلم[5].

ولفتة أخرى أشار إليها مكتب الإحصاءات الوطني في بريطانيا، وفيها إشارة إلى زيادة قرب المسلمين في بريطانيا من دينهم، ألا وهي ارتفاع نسبة من تسمّوْا بـ "محمد" من المواليد الجدد، فبعد أن كانت مرتبة اسم "محمد" 27 في العام 2000، فإذا به يحلّ في المرتبة العشرين في العام

---

[1] المساجد في بريطانيا أكثر استقبالا للزوار من الكنائس الكاثوليكية 2/1/ 2008 www.alriydh.com.

[2] عبد الصمد، محمد كامل، (1995)، مصدر سابق، ج1، ص31.

[3] كتاب الدبلوماسي المخضرم "أنيون"... 5/ 5/ 2007 www.azzaman.com.

[4] حسين، ياسر، الإسلام مستقبل أوروبا، مصر: دار الأمين، ط1، (1997)، ص85.

[5] المسلمون في بريطانيا، وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث، مصدر سابق، ص 25.

2004، أما في العام المنصرم [2007] أصبح يحتلّ المرتبة الثانية بعد اسم "جاك"، حيث أطلق اسم "محمد" على 5991 مولوداً جديداً، وتقول الدراسة التي نشرتها صحيفة "التايمز" البريطانية، إن من المتوقع أن يحتل اسم محمد المرتبة الأولى المفضلة لأسماء الأولاد الذكور خلال العام المقبل [2008]، وتعليقاً على ذلك يقول رئيس المبادرة الإسلامية – محمد صوالحة –، إن الهدف من التسمية "بمحمد" هو التمسك بالهوية الإسلامية[1].

وشاهد آخر على أن الدين الإسلاميّ في تنامٍ مستمر، ليس فقط في أجواء الحرية، بل إنه كذلك في داخل السجون البريطانية، فلأعداد المسجونين الذين يرغبون في دخول الإسلام يزداد يوماً بعد يوم بصورة لافتة للنظر، وقد توالت الاتهامات العديدة بوصف بعض المسلمين في السجون البريطانية بالتشدّد وزرع الأفكار الأصولية في أوساط المسلمين داخل السجون، إلا أن "ديفيد ويلسون" – وهو بروفيسور ومأمور سجن سابق – قد قام بدراسة حياة 4200 سجين مسلم في بريطانيا، وتوصل إلى أنه ليس هناك أي دليل يشهد على توظيف دعاة متشدّدين في السجون البريطانية[2].

وأمر أخير جدير بالملاحظة، هو أن المسلمين في بريطانيا ينبذون الأفكار المتطرفة، والآراء الشاذة، التي لا تقرها الشريعة الإسلام ية، فهي تصطدم مع مفاهيمه وسماحته، وقد ذكر الباحث في صفحات سابقة مواقف قادة العمل الإسلامي – مثل " محمد صوالحة" ، نائب رئيس الرابطة الإسلامية، ورئيس المبادرة الإسلامية في بريطانيا – من هذه الأفكار*.

إزاء هذه الشواهد، وغيرها، يرى الباحث أن المستقبل الإيماني سيبقى في تصاعد إيجابي في بريطانيا، وأن فهم الدين الإسلاميّ سيكون أعمق عند الأجيال القادمة.

أما على المستوى السياسي، فيرى الباحث أن العمل السياسي للعرب والمسلمين في بريطانيا لا يزال في مراحله الأولى، رغم مشاركتهم في جوانب سياسية عديدة في السنوات الأخيرة،

---

[1] "محمد" الاسم الأكثر انتشاراً في بريطانيا 24/ 3/ 2008 www.arabsys.net.

[2] الصيفي، صلاح، ظاهرة انتشار الإسلام داخل السجون الأوروبية www.rabitat- 2007/8/15 alwaha.net.

* أنظر: مواجهة الأفكار المتطرفة(5.1.4) .

** أنظر: العلاقة مع المؤسسة السياسية(3.3)

إلا أن ضعفاً كبيراً لا يزال يواكب عملهم السياسي، وقد سبق ت الإشارة إلى ذلك **، ويبقى السؤال مطروحاً: كيف سيكون المستقبل السياسي للعرب والمسلمين في بريطانيا؟

يقول "محمد صوالحة": إن الجالية العربية والإسلامية ليست فعالة بالقدر المطلوب، ومنذ سنة 1999 تقريباً ، بدأت الجالية تعمل على تنظيم نفسها، وسيكون وضعها في مستقبل الأيام أحسن إن شاء الله. وأعتقد أن وضعنا الآن أحسن كثيراً مما كان ت عليه الحال قبل ثلاثة أعوام، والجالية تعمل بأكثر من طريقة، من أجل التأثير في الرأي العام البريطاني، ونحن الآن أكثر اتصالاً بالصحافة البريطانية ، وبالسياسة البريطانية. ولدينا في الرابطة الإسلامية 15 ألف عنوان إلكتروني، نرسل إليها دائماً موقفنا، ونطلب من هؤلاء أن يرسلوا برسائل إلى الجهات البريطانية المختصة، وتبليغها بوجهة النظر العربية والإسلامية. بالإضافة إلى شرح القضية الفلسطينية للمجتمع البريطاني، ومدى الإجرام الصهيوني الواقع على الشعب الفلسطيني[1].

ورغم الضعف السياسي، فإنّ هناك ومضات دالة على نضج سياسي للعرب والمسلمين في بريطانيا، مثل تنظيمهم فعاليات عديدة، كال تظاهرات والاعتصامات، وقيامهم بانتخاب المرشحين ، الذين يتعاطفون مع القضايا العربية ويساندونها، ومشاركتهم في الندوات السياسية باستمرار، بالإضافة إلى اللقاءات التي لا تنقطع مع أقطاب السياسة في بريطانيا، وكما ذكر الباحث سابقاً *، فقد قام مرشحون من الأحزاب البريطانية المشاركة في الانتخابات بمحاولة است مالة العرب والمسلمين لانتخابهم، حتى من سياسيين وقفوا ضد المصالح العربية والإسلامية، مثل "جاك سترو"، الذي تزعم حملة الترويج للحرب على العراق، وحث الاتحاد الأوروبي على إدراج الجناح السياسيّ "لحماس" على قائمة الإرهاب، فقد كان في الانتخابات السابقة يستدر عطف المسلمين ؛ لأن دائرته الانتخابية – بلاك بيرن – تقطنها نسبة لا بأس بها من المسلمين، ومنذ سنوات عديدة وهو ينجح بأصوات المسلمين[2].

إن المسار السياسي للعرب والمسلمين في بريطانيا يحتاج إلى جهود كبيرة، فقد سبقهم غيرهم في تجيير الساحة السياسية لصالحهم، مثل اليهود، فإن عددهم في بريطانيا يقل عن 300

---

[1] الكرمي، حافظ، محمد صوالحة وحوار حول مسيرة المليون بريطاني، مصدر سابق.

* أنظر: العلاقة مع المؤسسة السياسية (3.3.2).

[2] الباسل، رجب، (2004)، د. التميمي: رابطتنا فرضتها الأحداث، مصدر سابق.

ألف، لكن عندهم عدد كبير من البرلمانيين وأعضاء مجلس اللوردات، والمسلمون ثلاثة ملايين أو يزيدون، ومن يمثلونهم من البرلمانيين واللوردات معدودون على الأصابع ؛ لذلك نجح اليهود في الضغط على الحكومة البريطانية لتتخذ مواقف تتناغم وتتماهى مع مصالحهم، في حين عجز المسلمون عن فعل ذلك، ولعل الموقف الأخير، والذي حدث مع رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين – الشيخ يوسف القرضاوي – يجلّي الصورة، حيث رفضت الحكومة البريطانية إعطاءه تأشيرة دخول إلى أراضيها، وقالت وزارة الداخلية البريطانية في بيان لها: "بريطانيا لن تتسامح مع وجود شخص مثل "القرضاوي" على أراضيها ؛ بسبب آرائه المتطرفة ، ودعمه للأعمال الإرهابية"، وكان وراء هذا الإجراء يهود بريطانيا، حيث احتجّوا على زيارته لبريطانيا، وقالوا إنه معادٍ للسامية ، ولأنه يبارك العمليات التي يقوم بها الفلسطينيون ضد الإسرائيليين ويصفها بأنها عمليات استشهادية [1].ومنع "القرضاوي" من دخول بريطانيا، ولم يستطع المسلمون التأثير على صانع القرار، رغم ما قاموا به من احتجاجات وبيانات تندد بذلك.

فيرى الباحث – من خلال ما سبق – أن على العرب والمسلمين في بريطاني ا إن أرادوا مستقبلاً سياسياً واعداً وناجحاً، فلا بد لهم من تنظيم صفوفهم، ومضاعفة جهودهم، وإلا فإن الساحة السياسية سيبقى ممْسكاً بزمامها، لاعبون آخرون محترفون ، والأمر بالنسبة للعرب والمسلمين في بريطانيا ليس بعيد المنال، ذلك لأنّ الكفاءات موجودة، والمجالات مفتوحة، وفضاء العمل السياسي واسع، فلا بد من دخول معترك العمل السياسي، وبذل المزيد من الجهود.

أما ملف العلاقات مع المجتمع البريطاني، فإنه يشهد نجاحاً واسعاً، من أعلى الهرم إلى قاعدته، فقد نجح العرب والمسلمون في إقامة شبكة من العلاقات، مكنتهم من استمالة كثيرٍ من البريطانيين نحو مصالحهم الداخلية، ونحو قضايا العرب والمسلمين خارج بريطانيا، وقد استخدموا في سبيل ذلك وسائل عديدة، وأساليب متنوعة.

من أهم الشواهد على ذلك الشعور بالمواطنة وممارستها مع صدق الانتماء، وقد تمثل ذلك قولاً وعملاً لدى العرب والمسلمين في بريطانيا، يقول "نذير أحمد" – أول لورد مسلم في مجلس

---

[1] رحمن، إمداد، مسلمو بريطانيا مستاؤن لمنع دخول القرضاوي بريطانيا، 2008/2/6. www.islamonlin.net.

اللوردات البريطاني–: "إن أمله أن يخدم بريطانيا، وأنه يحترم القوانين البريطانية، وأنه يفتخر بإسلامه، ويسعى لخدمته"[1].

وفي تقرير نشرته صحيفة "التايمز" البريطانية تحت عنوان: "استطلاع للرأي يظهر أن المسلمين مواطنون مثاليون"، وأظهر الاستطلاع الذي أجرته مؤسسة "جالوب" المستقلة أن أكثر من 50% من مسلمي لندن يتبنون "بقوة بالغة" الهوية البريطانية، وذكرت "التايمز" أن الاستطلاع أظهر أن تسعة من كل عشرة مسلمين في لندن يعتقدون أن الهجمات ضد الأبرياء غير مبررة وخاطئة أخلاقياً، كما أن 81% يدينون العنف، وإن استخدم في قضية عادلة، وهي نسبة تزيد بتسعة بالمئة على وجهة نظر الرأي العام[2].

وفي تشرين الأول 2007، قام المسلمون في بريطانيا بحملة إعلامية وسياسية واسعة، شملت كل أنحاء بريطانيا شعارها " الإسلام هو السلام ، فخور بأن أكون بريطانياً مسلماً" ، وترمي الحملة إلى تحقيق أهداف وغايات عديدة، منها: "إلقاء الأضواء على حياة وإسهامات وآراء ومواقف المسلمين البريطانيين العاديين، وإظهار كيف أن المسلمين البريطانيين هم جزء أصيل من نسيج المجتمع البريطاني"، ولتحقيق هذا الهدف، تتضمن الحملة في هذه المرحلة إبراز وتقديم نماذج كثيرة مشرفة لمسلمين بريطانيين عاديين ، يقدمون جهدهم وعرقهم في خدمة وطنهم بريطانيا في كل المجالات بلا استثناء، عبر حملة إعلامية مبسطة وناجحة ومؤثرة على الباصات وبوسائل شتى أخرى.

مثلاً، في إطار هذه المرحلة يشاهد البريطانيون صوراً لأعضاء في فرق لكرة القدم وكرة السلة. وفي موقع أخر، تقدم الحملة "دايان ريفز "، المسلمة البريطانية التي تعمل في الشرطة ، وتقول إنها اعتنقت الإسلام بعد قراءة القرآن، الذي أعطاها معنى جديداً للحياة، وأنها تشعر بأنّ من واجبها أن تحمي بلادها ومواطني وطنها، وأن تجعل المنطقة التي تعيش فيها آمنة للجميع. وتقدم كذلك، "باري"، المسلم البريطاني ، الذي عمل مذيعاً لسنوات طويلة ، وكانت له إسهامات كبيرة في

---

[1] عاشور، مصطفى، (2002)، الإسلام في أوروبا بعد 11 سبتمبر 2007/9/5. www.islamonline.net.

[2] التايمز: مسلمو بريطانيا مواطنون مثاليون (2007) 2008/2/2 news.bbc.co.uk.

تطوير العمل الإذاعي، ولديه اهتمام شديد بالترويج للأغذية الصحية ، وتشجيع المنتجات المحلية ، وهكذا[1].

ومشهد آخر، من قصر الملكة إليزابيث، حيث أمرت الملكة بتحويل قاعة في قصرها في منطقة "واندزير" إلى مسجد يؤدي فيه المسلمون العاملون في القصر صلواتهم اليومية. وكشفت صحيفة "The Sun" اللندنية في عددها الصادر يوم السبت 30/9/ 2006 في خبر قالت إنها تنفرد بنشره أن ملكة بريطانيا حولت إحدى غرف القصر إلى مسجد لأداء الصلاة ؛ ليتمكن المسلمون العاملون في القصر التاريخي المعروف، الواقع غرب العاصمة لندن، من الصلاة في مكان مناسب خلال العمل[2].

هذا موقف يدل على استحواذ المسلمين على اهتمام القصر الملكي، وأن منْ في قمة الهرم في بريطانيا يكنّون احتراماً للمسلمين، ولم يكن هذا الموقف من الملكة فحسب، فقد قامت في مناسبات عدة بتكريم أصحاب الكفاءات من أبناء العرب والمسلمين في بريطانيا، من أمثال: د. مجدي يعقوب، والفنان د. أحمد مصطفى، وآخرين.

ومن موقع آخر، فقد أقال "المجلس الثقافي البريطاني"، مسؤولاً إعلامياً كبيراً من المجلس لكتابته مقالات تسيء إلى الإسلام، وموقف آخر، من وزارة الداخلية البريطانية، حيث أعفت المسلمات من استخدام صور شخصية في بطاقات الهوية [3]، ومشهد من الشرطة البريطانية ينمّ عن احترام للمسلمين، وتمثل في الشكوى التي تقدمت بها الشرطة البريطانية لهيئة الرقابة على التلفزيون البريطاني، حيث قالت: إن فيلماً تسجيلياً عن الإسلام في بريطانيا بثته القناة الرابعة احتوى على مشاهد مضللة بشأن أئمة المساجد[4].

أما على المستوى الاقتصادي، فقد أصبح المسلمون أكثر نضجاً، وعندهم من الإمكانات المادية والكفاءات العلمية ما يدفع عنهم شبح البطالة، فالأجيال الجديدة تمتلك قدرات أوسع وأفضل

---

[1] زهرة، السيد، (2007)، مع المسلمين البريطانيين 2008/1/12. www.arabrenewal.org.

[2] شبانة، أمير، (2006)، قصر ملكه بريطانيا يحتضن مسجداً 2007/1/12. www.islamanline.net.

[3] بريطانيا تعفي المسلمات من استخدام صور شخصية 2008/2/7. www.azzaman.com.

[4] الشرطة البريطانية تتهم قناة تلفزيونية بتشويه أئمة معتدلين 2007/8/10 www.alarabiya.net.

من جيل المهاجرين الأوائل، فعندهم نسبة عالية من المتعلمين والمثقفين، بالإضافة إلى التنوع في المجالات العلمية، وإذا أضيف إلى ذلك أموال الأغنياء من عرب ومسلمي بريطانيا، فإن المستقبل الاقتصادي سيكون أفضل للأجيال القادمة من أبناء العرب والمسلمين في بريطانيا، وما يدل على ذلك، أن المهاجرين الأوائل كانوا إما فقراء، وإمّا أصحاب دخل محدود، ثم تحسنت الأ حوال، وأصبح هناك أصحاب مهن، وأكاديميون، ثم تطور الأمر إلى وجود أثرياء يربو عددهم عن الخمسة آلاف ثري على مستوى بريطانيا، ولكن رغم كل ذلك، فإن البطالة لا تزال نسبتها عالية بين أبناء الجالية العربية والإسلامية، وهذه مشكلة تستدعي إيجاد حل لها من خلال التخطيط السليم، واستثمار الأموال التي بحوزة الأثرياء هناك لدفع الفقر والبطالة عن أبناء الجالية.

وحتى رجال الكنيسة، فقد كان لهم مواقف إيجابية اتجاه العرب والمسلمين في بريطانيا، وآخرها تصريحات كبير أساقفة كانتربري وزعيم الكنيسة الأنجليكانية "روان وليامز" حول موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية في بعض المجالات، مثل الأحوال الشخصية والمسائل المالية، على مسلمي بريطانيا [1].ورغم ما أثارية هذه التصريحات من ردات فعل متباينة، فإنّ هذا الموقف من كبير الأساقفة له مدلولات كثيرة، أهمها، أن المسلمين أصبح لهم امتداد واسع في بريطانيا، وهذا الامتداد له وزن وتأثير على الساحة البريطانية، عدا أن المنهجية الاعتدالية التي تسير عليها غالبية المسلمين في بريطانيا ساهمت في ظهور مثل هذه التصريحات الإيجابية.

هذه الشواهد، وغيرها كثير، تشير إلى تعايش سليم، وتعاون واحترام وانسجام في مجالات كثيرة، هذا على المستوى المحلي، أما على المستوى الخارجي، أي المواقف التي تخص قضايا عربية وإسلامية، فإن المجتمع البريطاني كانت له وقفات مشهودة مع هذه القضايا، وأبرزها قضيتا فلسطين والعراق، حيث خرجت مسيرات وتظاهرات كثيرة تندد بمواقف الحكومة من هاتين القضيتين، ومن المواقف المشهودة في ذلك، القرار الذي اتخذته "نقابة المحاضرين الجامعيين البريطانيين "University and college Union" لمقاطعة المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية بسبب سياسات الاحتلال بحق الفلسطينيين، كما يدعو القرار إلى تجميد التمويل الأوروبي للمؤسسات التابعة لها[2].

---

[1] الأسقف والشريعة، جريدة القدس (فلسطين)، العدد 13821، 2008/2/10، ص17. عالم مسلم بريطانيا يدافع عن أسقف كانتربري، جريدة القدس (فلسطين)، العدد 13823، 2008/2/12، ص21.

[2] المدلل، وليد، تحية لأساتذة الجامعات البريطانية، جريدة فلسطين العدد 37، 2007/6/8، ص24.

على الصعيد ذاته، نجحت الجالية العربية والاسلامية في بريطانيا في إقناع المسؤولين عن إعداد موسوعة أكسفورد الشهيرة بتغيير رأيهم المتحيز لصالح الرؤية "الصهيونية" للصراع العربي الإسرائيلي ضد الانتفاضة الفلسطينية. فبعد سلسلة من الاتصالات، وحملة من الرسائل الاحتجاجية قام بها أبناء الجالية العربية الإسلامية في بريطانية ، قرر القائمون على موسوعة أكسفورد تغيير رأيهم في تعريف الانتفاضة الفلسطينية من كونها "حملة عنف مستمرة" يقوم بها العرب ضد إسرائيل، إلى اعتبارها مقاومة مشروعة للاحتلال للأراضي الفلسطينية.

ونشرت مجلة "العروة" الشهرية الصادرة عن النادي العربي في بريطانيا في عددها الصادر مطلع شهر نيسان الجاري(2007) مقالاً تعلم فيه قراءها بتحقيق الحملة التي دعت إليها لتغيير تعريف الانتفاضة في موسوعة أكسفورد البريطانية النجاح المطلوب. كما نشرت المجلة رسالة من رئيس بعثة الجامعة العربية في بريطانيا، السفير "علي محسن حميد" ، يؤكد فيها نجاح الاتصالات في إقناع القائمين على الموسوعة بتغيير تعريفهم لانتفاضة الشعب الفلسطيني.

وكانت طبعة موسوعة أكسفورد المنقحة الصادرة عام 2000 قد عرفت الانتفاضة بأنها "حملة عنف مستمرة من العرب المقيمين في الضفة الغربية وغزة منذ عام 1987". وقالت الموسوعة: "بالرغم من توقيع اتفاقية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين عام 1993، فإن عدداً من الأعمال الإرهابية التي يقوم بها العرب قد أصّلت العنف، وأقلقت عملية السلام".

وتحت ضغط الاتصالات وحملة الاحتجاج للجالية العربية والإسلامية غيّرت الموسوعة تعريفها للانتفاضة. وقالت في طبعتها الجديدة: لفظة "انتفاضة تشير بصورة رئيسة إلى انتفاضة الفلسطينيين بين أعوام 1987 و 1991 ضد احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة، بعد حرب الأيام الستة في 1967". وأضافت تقول: "تم التوقيع على إعلان المبادئ كإطار عام للسلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين في عام 1993؛ ولكن اتفاق الإطار هذا لم يجر تطبيقه بالكامل"... وأضافت: "الانتفاضة الأخيرة ضد استمرار الاحتلال بدأت في سبتمبر 2000"[1].

---

[1] العويديدي، نور الدين، الانتفاضة في اكسفورد مقاومة وليست إرهاباً، (2001)، 2007/4/7، www.islamonline.net.

أما على مستوى البيت الداخلي، فإن المستقبل يحمل في طياته واقع اً أفضل، فتجاوز الخلافات العرقية أصبح مطلب الغالبية من العرب والمسلمين، وقد نجحت بعض الفئات في ذلك، فعلى سبيل المثال، إنشاء "المجلس الإسلامي البريطاني"(mcb) الذي يجمع تحت مظلته حوالي 500 هيئة محلية ووطنية، وكذلك اتحاد الطلبة المسلمين، الذي يضم 27 جمعية طلابية، من هذا يتبين أن الأمور تسير للأفضل في هذا المجال.

بعد كل ما مرّ من حديث حول المستقبل المتوقع للعرب والمسلمين في بريطاني اً، فإن الباحث يرى أن مستقبلهم سيكون أفضل بشكل عام، ولا يعني هذا أن الطريق نحو الأفضلية لا تخلو من عوائق، فالتحديات لا تزال ماثلة أمام العرب والمسلمين في بريطانيا، وما عليهم إلا المضيّ في التخطيط الواعي مع المصابرة والمثابرة، وزرع بذور الأمل في نفوس الأجيال المقبلة، لتواصل المسيرة، وتستمر في قيادة المركب بسلام.

الخاتمة

لقد كان الحضور العربي/ الإسلامي في أوروبا قديماً، وأخذ هذا الحضور يزداد في القارة الأوروبية من خلال الهجرات المتتالية، وأهم الهجرات كانت بعد الحرب العالمية الثانية، حيث احتاجت أوروبا إلى كثير من الأيدي العاملة، بعد أن حصدت الحربان العالميتان أرواح حوالي 60 مليوناً، عدا عن ملايين الجرحى والمفقودين، ففتحت أوروبا أبوابها لاستقبال الآلاف من المهاجرين، وخاصة من المناطق العربية والإسلامية، واستخدامهم كأيدٍ عاملة رخيصة، واستمرت الهجرات حتى يومنا هذا، وذلك لاستمرار أسباب الهجرة، ومن أهمها الأسباب السياسية والاقتصادية.

ونتيجة للوجود العربي/ الإسلامي الكبير في أوروبا، فقد زادت أهمية بناء علاقات بين العرب والمسلمين من جهة، ودول أوروبا من جهة أخرى، وهناك عدة عوامل تشير إلى أهمية إقامة هذه العلاقات، منها عوامل جغرافية وأخرى تاريخية، فضلاً عن المصالح المشتركة، وهذه العلاقات تفتح آفاقاً للتعاون بين الجانبين في ميادين عديدة: اقتصادية وسياسية وثقافية وأمنية.

ومما أثر على أوضاع العرب والمسلمين في أوروبا أحداث 11/ أيلول، حيث تصاعدت النظرة العنصرية، على تفاوت بين الدول الأوروبية، ما استدعى وجود دعوات لدفع الروح العدائية، وإحلال روح التعايش الإيجابي مكانها، ولاقت هذه الدعوات استجابة من الطرفين، إلا أن عوائق عديدة حالت دون التعايش الحقيقي، أو الاندماج السليم، فكان لا بد من وجود خطوات تسهم في تذليل العقبات، وإزالة العوائق، ومن هذه الخطوات إقامة اتحادات، وإنشاء منظمات ومؤسسات إسلامية تعمل على امتداد الساحة الأوروبية.

وتمثيلاً للعلاقة بين الجانبين العربي/ الإسلامي والأوروبي، اختار الباحث بريطانيا كنموذج للدرسة، ليتناول من خلالها حال العرب والمسلمين في أوروبا عن قرب وبشيء من التفصيل، خاصة أن "بريطانيا" تمتاز بتعددية ثقافية أكثر من غيرها من دول أوروبا الغربية.

بدأ الاحتكاك بين العرب والمسلمين مع البريطانيين في منتصف القرن السادس عشر، حيث حصلت صدامات مع العثمانيين، ومن ذلك الحين أخذت اللقاءات تتوالى بين الجانبين، ما أدى إلى تعرف البريطانيين على الإسلام، فدخل قسم منهم في الدين الإسلاميّ، وتشير المصادر

البريطانية إلى أن "جون نيلسون" كان أول بريطاني يعتنق الإسلام، وفي فترة الاستعمار البريطاني للمناطق العربية والإسلامية في أوائل القرن التاسع عشر، زاد الاتصال بين الجانبين، وفتحت بريطانيا أراضيها لاستقبال أفواج من المهاجرين، وقد شكل الباكستانيون والبنغاليون النسبة الأكبر منهم.

لم يتوقف عدد العرب والمسلمين في بريطانيا عن التصاعد، وذلك لاستمرار تدفق المهاجرين إليها، من عمال وطلاب علم وطالبي اللجوء السياسي، بالإضافة إلى البريطانيين الذين دخلوا في دين الإسلام، وتقدر بعض المصادر عدد العرب والمسلمين في بريطانيا بثلاثة ملايين، وهم بذلك يعتبروا أكبر أقلية دينية في بريطانيا، مما دفعهم للبحث عن طرق تنظم علاقتهم مع المؤسسة البريطانية في النواحي كافة ، التربوية والسياسية والاقتصادية وغيرها... ولكن رغم سيرهم في هذا المسار، إلا أنهم واجهوا مشكلات عديدة، كان من أبرزها: تشتتهم وفرقتهم، والتمييز العنصري ضدهم، مع إعلام بريطاني يغذي روح العداء اتجاههم، وكذلك وجود أفكار متطرفة عند بعضهم، عدا عن المشكلات الاجتماعية المختلفة الموجودة لديهم...

وفي مواجهة هذه المشكلات، والتي تشكل تحدياً للحضور العربي والإسلامي في بريطانيا، لجأ العرب والمسلمون للبحث عن حلول مناسبة لها، ومن الخطوات العملية التي لجأوا إليها في هذا الاتجاه، إنشاء الجمعيات والمراكز والمؤسسات متنوعة الأهداف، محاولة منهم لتنظيم العمل، وتجميع الجهود، وقد لعبت هذه الهيئات دوراً فاعلاً في تحصيل المكتسبات للعرب والمسلمين في بريطانيا، وفي توجيههم نحو التعايش الإيجابي، والاندماج الحقيقي مع المجتمع البريطاني بلا ذوبان، ودون التفريط بالهوية، وقد استطاعوا إعطاء نماذج متميزة في ذلك، وشهد لهم على نجاحهم أقطاب السياسة وقادة المجتمع البريطاني.

وقد برزت على الساحة البريطانية في القديم والحديث شخصيات عربية وإسلامية مبدعة في عطائها، وفي خدمة مجتمعها، وصدق الانتماء له، مما رفع من نسبة الاحترام للعرب والمسلمين، وساهم في تحسين صورتهم، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر، يوسف إسلام، د. مجدي يعقوب، اللورد هيدلي، محمد صوالحة، حياة سندي، ندي حكيم وغيرهم..

من هذا السرد لواقع العرب والمسلمين في بريطانيا، يمكن استشراف المستقبل الذي ينتظرهم، فهو مستقبل واعد، يحمل في ثناياه حياة أفضل، خاصة في ظل التعددية الثقافية التي تمتاز بها بريطانيا، وسيكون نموذجاً يحتذى به في بقية الدول الأوروبية. ويرى الباحث أنه بهذه الدراسة قد فتح آفاقاً جديدة لأبحاث مستقبلية.

التوصيات

أولاً: ضرورة وضع دراسات بشكل أوسع وأعمق عن واقع الجالية العربية والإسلامية في بريطانيا للنظر في:

1. علاقة الجالية مع المؤسسة البريطانية الرسمية السياسية.
2. علاقة الجالية مع المؤسسة البريطانية الاقتصادية.
3. علاقة الجالية مع المؤسسة البريطانية التربوية.
4. علاقة الجالية مع المجتمع المدني البريطاني.

ثانياً: وضع دراسات مستقلة عن المشكلات والعوائق التي تواجه الجالية العربية والإسلامية في بريطانيا

ثالثاً: كتابة دراسات مفصلة عن الجمعيات والمؤسسات والمراكز العربية والإسلامية الموجودة في بريطانيا، مع ضرورة إبراز فعاليتها وأثرها على الساحة البريطانية.

رابعاً: وضع دراسات ترتقي بالوضع الإسلامي العربي والإسلامي في بريطانيا، لأن بعض الاتجاهات المعادية للعرب والمسلمين تمتلك آلية إعلامية متطورة وواسعة ومؤثرة.

خامساً: دراسات عن شخصيات عربية وإسلامية كان لها دور في رفع نسبة الاحترام للعرب والمسلمين على الساحة البريطانية، من خلال آلية علمية في اختيار هذه الشخصيات، وفي هذا تقدير لجهودهم، وحفظ لفضلهم، وتحفيز لغيرهم.

المراجع والمصادر

أولاً : القرآن الكريم.

ثانياً : المراجع والمصادر العربية:

1. الأزعر، محمد خالد ، الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية ، عمان: دار الجليل، ط 1، 1991م.
2. أبو زيدون، وديع، تاريخ الأندلس. عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2005م.
3. أبو شاور، أحمد، موسوعة أميرات الشعر العربي، عمان: دار أسامة،، ط1، 2003م.
4. أبو لغد، إبراهيم، وآخرون، العرب ومواجهة إسرائيل، احتمالات المستقبل ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2000م.
5. اسبوزيتو، جون ل.، التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة ؟ (قاسم، عبده قاسم، مترجم) القاهرة: دار الشروق، ط2، 2002م.
6. أحمد، عبد الفتاح، الغرب الوجه الآخر، القاهرة: دارالكاتب للطباعة والنشر، ط1، 2002م.
7. أمين، جلال، عولمة القهر، القاهرة: دار الشروق، ط1، 2002م.
8. بشاري، محمد، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، دمشق، دار الفكر، ط1، 2004م.
9. البياتي، ياس خضير، الاتصال الدولي والعربي، عمان، رام الله: دار الشروق، ط2006،1م.
10. الجاسور، ناظم عبد الواحد، تأثير الخلافات الأمريكية – الأوروبية على قضايا الأمة العربية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007م.
11. الجميل، سيار، العولمة والمستقبل، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2000م.

12. الجندي، أنور، الإسلام وحركة التاريخ، القاهرة: دار الكتاب العربي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1980م.

13. حبيب، الطاهر (محرر)، صورة الآخر العربي ناظراً وناظراً إليه، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1999م.

14. خضر، بشارة، أوروبا وفلسطين من الحروب الصليبية حتى اليوم، (القاضي، منصور (مترجم))، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2003م.

15. خليل، إبراهيم، نقاد الأدب في الأردن وفلسطين، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2003م.

16. خليل، خليل أحمد، موسوعة إعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2001م.

17. الخوند، مسعود، الأقليات المسلمة في العالم، بيروت: Universal company، ط2،2006م.

18. الديلمي، حافظ علوان، النظم السياسية في أوروبا الغربية والولايات المتحدة، عمان: دار وائل، ط1، 2001م.

19. رضا، محمد، المسلمون في بريطانيا، (الساعدي، عبد الأمير (مترجم))، بيروت: دار الهادي، ط1، 1999م.

20. الروضان، عبد عون، الشعراء العرب في القرن العشرين، عمان، بيروت: الأهلية للنشر، ط1، 2005م.

21. سعد الدين، محمد منير وآخرون، الجاليات الإسلامية في أوروبا الغربية ، بيروت، دار النفائس، ط1، 2003م.

22. سليمان، عبد الحميد حامد، انتشار الإسلام في أوروبا ، السعودية: مكتبة المتنبي، ط 1، 2005م.

23. شاهين، أحمد عمر، موسوعة كتّاب فلسطين في القرن العشرين ، غزة: المركز القومي للدراسات والتوثيق، ط1، 2000م.

24. الشلبي، جمال، العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة، عمان: مطبعة الجامعة الأردنية، ط1، 2000م.

25. شواهين، خير، دور العلماء العرب في نهضة الحضارة الغربية ، عمان: دار المسيرة، ط1، 2007م.

26. ضناوي، محمد علي، الأقليات الإسلامية في العالم، بيروت؛ مؤسسة الريان، ط1، 1992م.

27. طماشي، محمد، عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام، دمشق: دار المحبة، ط1991،1م.

28. الطيار، صالح، وآخرون، العلاقات العربية– الأوروبية حاضرها ومستقبلها ، باريس: مركز الدراسات العربي الأوروبي، ط1، 1997م.

29. عبد القادر، حسين، فرنسا والأديان السماوية، القاهرة: دار بلال، ط1، 1998م.

30. عتريس، محمد، معجم بلدان العالم، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ط1، 2002م.

31. العسلي، بسام، الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، بيروت: دار النفائس، ط2، 1983م.

32. عمارة، محمد، الغرب والإسلام أين الخطأ وأين الصواب ، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2004م.

33. عمارة، محمد، الإسلام والتحديات المعاصرة، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع، ط 2، 2004.

34. عمارة، محمد، الإسلام في عيون غربية، القاهرة: دار الشروق، ط1، 2005م.

35. العودات، يعقوب، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، القدس، دار الإسراء، ط3، 1992م.

36. غربال، محمد شفيق، وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة، دار الجيل، الجمعية المصرية لنشر المعرفة، ط1، 1995م.

37. غوبتا، انجان وآخرون، الجالية العربية في بريطانيا ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2002م.

38. فرحان، إسحق أحمد، مواقف وآراء سياسية في قضايا وطنية وعربية وإسلامية ، عمان: دار الفرقان، ط1، 1997م.

39. القاسم: سميح، مطالع من أنطولوجيا الشعر الفلسطيني، حيفا: دار عربسك، ط1، 1990م.

40. القرضاوي، يوسف، فقه الأقليات المسلمة، القاهرة: دار الشروق، ط1، 2001م.

41. كارلسون، انجمار، الإسلام وأوروبا تعايش أو مجابهة ؟ (بوتاني، سمير، مترجم) القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2003م.

42. الكتاني، علي بن المنتصر، المسلمون في أوروبا وأمريكا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 2005م.

43. كسبة، مصطفى دسوقي، المسلمون في أوروبا التاريخ والأقليات (هدية مجلة الأزهر) عدد ذي الحجة 1417هـ. 1997م.

44. الكيالي، عبد الوهاب، وآخرون، موسوعة السياسة ، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1979م.

45. اللاوندي ، سعيد، فوبيا الإسلام في الغرب ، القاهرة : دار أخبار اليوم، ط1، 2006م.

46. المبارك، راشد، فلسفة الكراهية(دعوة إلى المحبة)، بيروت: دار صادر، ط1، 2001م.

47. محمود، علي حسن، فرنسا والصراع العربي الإسرائيلي ، الإمارات: مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ط1، 2002م.

48. مشارقة، تيسير، قضايا اعلامية معاصرة، الخليل، فلسطين: مركز وطن، ط1، 1999م.

49. مطر، نبيل، الإسلام في بريطانيا (1558–1685) (عباس، بكر (مترجم))، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2002م.

50. موللر، هارلد. (تعايش الثقافات، أبو هشهش ، إبراهيم (مترجم)) ليبيا: دار الكتاب الجديد، ط1. 2005م.

51. النمورة، محمود طلب خليل، الغرب والإسلام وفلسطين ، الخليل: مطبعة بابل الفنية، ط 1، 2006م.

52. النوري، محمد جواد، من أعلام الفكر والأدب في التراث العربي، حيفا: مجلة الحياة، ط1.

53. نيلسون، يورغن، المسلمون في أوروبا ، (شميط، وليد، مترجم)، بيروت، دار الساقي، ط 1، (2005).

54. هوبسون، جون إم. الجذور الشرقية للحضارة الغربية ،(قابيل، منال، مترجم). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2006م.

55. وزارة الخارجية، وشؤون الكومنولث/ لندن، المسلمون في بريطانيا، 2006م.

56. ياسين، السيد، الحرب الكونية الثالثة عاصفة سبتمبر والسلام العالمي ، دمشق، بيروت: دار المدى، ط1، 2003م.

57. اليسوعي، روبرت ب. كامبل، أعلام الأدب العربي المعاصر ، بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع، ط1، 1996.

ثالثاً: المراجع الأجنبية :

1- Danial, Norman . . Islam and the West, First published , by Edinburgh University Press . England . 1960.

2- Nonneman , Gerd , Tim N. , Bogdan S.. Muslim Communities in the New Europe . 1997.

رابعاً: الدوريات :

1. العناني، خليل، ثورة أوروبا ضد الحجاب، أم ضد الهوية الإسلامية؟ البيان، العدد 197، 2004م.

2. صالح، فخري، العلامة حسن الكرمي جسريين التراث والعصر، مجلة العربي، العدد 587، 2007م.

3. الكرمي، حسن، قدسية فلسطين عند المسلمين، شؤون فلسطينية، العدد 11، 1972م.

4. علاء الدين، بكري، أوروبا والإسلام، الفكر العربي، السنة الثانية، العدد 1، 1981م.

5. الفاروقي، سهى التاجي، المسلمون في بريطانيا، المستقبل العربي، العدد 286، 2002م.

6. تقي الدين، أحمد السيد، ذهب ولم يعد، مجلة الأزهر السنة 76، 2003م.

7. سويسرا: حزب مسيحي يرشح محجبة للانتخابات، مجلة المنبر، العدد 41، 2004/7م.

8. جلافانس، بندلي، صوت المسلمين في المجتمع الأوروبي، مجلة كنعان، العدد 80، 1996م.

خامساً: الصحف:

1. المدلل، وليد، تحية لأساتذة الجامعات البريطانية، جريدة فلسطين (فلسطين)، العدد 37.
2. هجمة لمنع بناء مآذن ومساجد في عواصم أوروبية، جريدة فلسطين (فلسطين) 2007/5/31، العدد 29.
3. إيران تستدعي سفير الدنمارك، جريدة القدس(فلسطين)، 2008/2/15، العدد 13826.
4. "فتنة" عنوان الفيلم المسيء للإسلام في هولندا، جريدة القدس(فلسطين)، 2008/2/11، العدد 13822.
5. الأسقف والشريعة، جريدة القدس (فلسطين)، العدد 13821، 2008/2/10.
6. عالم مسلم، بريطانيا يدافع عن أسقف كانتربري، جريدة القدس (فلسطين)، العدد 13823، 2008/2/12.
7. كاتبة إيطالية: شرف لي أن أتحدث عن الإسلام، جريدة القدس(فلسطين)، العدد 13803، 2008/1/22.
8. السيد رضوان، علاقات الغرب بالإسلام هل هي تطورات حقيقية؟ جريدة القدس(فلسطين)، العدد 13709، 2007/10/17.
9. طفل مسلم يستوقف في مطارات دولية بشبهة الإرهاب، جريدة القدس(فلسطين)، العدد 13654، 2007/8/22.
10. ساركوزي: أنا صديق لإسرائيل، جريدة القدس(فلسطين)، 2008/2/15، العدد 13826.

11. **سادساً: الإنترنت :**

1. www.ihrc.org.uk.
2. www.alquds.co.uk.
3. www.islamicnews.net.
4. www.kenshrin.com.
5. www.aljazeera.net.
6. www.altwasul.net.
7. www.alarabiya.net.
8. www.almadapaper.com.
9. www.raiat_altuheed.net.
10. ar.wikipedia.org.
11. arbic.cnn.com .
12. www.alriydh.com.
13. www.thakafa.net.
14. www.islamonline.net.
15. www.azzaman.com.
16. www.qantra.de.
17. www.arabiyat.com.
18. .net www.islamtoday.
19. league.org www.muslimworld.
20. blogapot.com.
21. www.balagh.com.
22. www.arabsys.net.
23. www.islamicnees.net.
24. www.alarabontine.ory.
25. forum. amrkhaled.net.
26. www.elakhbar.org.eg.
27. www.26sep.net.
28. www.almojtamaa-mag.com .
29. www.fco.gou.uk
30. www.rabitat – alwaha.net.
31. www.al-shia.com.
32. www.al-khoei.us.
33. news.bbc.co.uk
34. www.arabrenewal.org
35. www.naba.org.uk

فهرس الجداول

رقم الجدول	اسم الجدول	الصفحة

1.2	تقرير عدد المسلمين في بريطانيا في العام 1981	31
2.2	تقرير عدد المسلمين في بريطانيا في العام 1991	31
3.2	التنوع العرقي بين المسلمين	33
4.2	أهم المراكز التي يعيش فيها المسلمون في بريطانيا	36
1.5	تسجيل سنوي للمساجد (1966 . 1985)	122

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
بيان	د
الإهداء	هـ
الشكر والتقدير	و
الملخص العربي	ز
الملخص الإنجليزي abstract	ي
المقدمة	ك
الفصل الأول: العرب والمسلمون في أوروبا	1
1.1 تمهيد	2
2.1 تعايش العرب والمسلمين في المجتمعات الأوروبية:	3
3.1 عوائق التعايش	4
1.3.1 الصورة السلبية لكل طرف في ذهن الآخر	4
1.1.3.1 صورة الإسلام والعرب والمسلمين في الذهن الغربيّ:	4
2.1.3.1 صورة الأوروبي في الذهن العربي والإسلامي:	7
2.3.1 النظرة الاستعلائية عند الأوروبيين:	17
3.3.1 القصور العربي والإسلامي تجاه الغرب	18
4.1 دور المؤسسات العربية والإسلامية الأوروبية في تحقيق التعايش	19
5.1 دعوات أوروبية للتعايش:	21
الفصل الثاني: دراسة وحالة وضع العرب والمسلمين في بريطانيا	25
1.2 وصف عام لبريطانيا	26
2.2 تمهيد	27
1.2.2 تاريخ الهجرة العربية والإسلامية إلى بريطانيا	29
2.2.2 البنية الثقافية للعرب والمسلمين في بريطانيا	32
3.2.2 أماكن وجود المسلمين في بريطانيا وتعدادهم	36
3.2 علاقة الجالية العربية والإسلامية مع المؤسسة البريطانية	37
1.3.2 العلاقة مع المؤسسة التربوية والتعليمية	37
1.1.3.2 تاريخ المدارس الإسلامية	38
2.1.3.2 القانون الإصلاحي في التربية والتعليم عام1988	39
3.1.3.2 تقارير تربوية	40
4.1.3.2 التمييز العنصري في المدارس الحكومية	42

5.1.3.2 الحكومة البريطانية والمدارس الإسلامية	43
2.3.2 العلاقة مع المؤسسة الاقتصادية	46
1.2.3.2 البنوك البريطانية والنظام المصرفي الإسلامي	49
3.3.2 العلاقة مع المؤسسة السياسية	51
1.3.3.2 أشكال المشاركة السياسية	52
2.3.3.2 اهتمام المؤسسة البريطانية الرسمية والحزبية بمسلمي بريطانيا	56
4.3.2 مسلمو بريطانيا والحقوق المدنية	57
الفصل الثالث: المشكلات التي تواجه العرب والمسلمين في بريطانيا ودور الجمعيات الإسلامية في حلها	61
1.3 المشكلات التي تواجه العرب والمسلمين في بريطانيا	62
1.1.3 التشتت ودعم وحدة الصف	62
2.1.3 التمييز العنصري والديني	63
3.1.3 الإعلام السلبي	66
4.1.3 الهاجس الأمني	69
5.1.3 الأفكار المتطرفة والاتجاهات الضالة	73
1.5.1.3 الأفكار المتطرفة	74
2.5.1.3 الاتجاهات الضالة	76
6.1.3 المشكلات الاجتماعية	76
2.3 الهيئات العربية والإسلامية في بريطانيا	79
1.2.3 البعثة الإسلامية في بريطانيا	80
2.2.3 الاتحاد الإسلامي النسوي	80
3.2.3 اتحاد جمعية الطلبة المسلمين	81
4.2.3 الوقف التعليمي الإسلامي	81
5.2.3 اتحاد الجمعيات الإسلامية في بريطانيا وايرلندا	82
6.2.3 المؤسسة الإسلامية	82
7.2.3 جمعية دعوة الإسلام	84
8.2.3 النادي العربي في بريطانيا	84
9.2.3 منظمة الإغاثة الإسلامية	85
10.2.3 مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية	85
11.2.3 مؤسسة دار الإسلام	86
12.2.3 المجلس الإسلامي البريطاني	86
13.2.3 الرابطة الإسلامية ورابطة مسلمي بريطانيا (ماب MAB)	88
14.2.3 جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين في بريطانيا	89

15.2.3 جمعية المرأة المسلمة ببريطانيا	90
16.2.3 جمعيات قومية	91
17.2.3 جمعيات تخصصية	91
3.4 إنجازات المجتمعات والمؤسسات العربية والإسلامية في بريطانيا	91
الفصل الرابع: شخصيات عربية وإسلامية في بريطانيا	93
1.4 يوسف إسلام	94
1.1.4 سيرة حياته	94
2.1.4 قصة إسلامه	95
3.1.4 نشاطاته "يوسف إسلام"	96
1.3.1.4 نشاطه السياسي	97
2.4 ندى حكيم	98
1.2.4 إنسانيته	98
2.2.4 هواياته	98
3.2.4 محطات في حياته	99
3.4 اللورد هيدلي	99
4.4 حياة سندي	101
1.4.4 حياة سندي في لندن	101
2.4.4 الحفاظ على الهوية	102
3.4.4 إنجازات علمية	103
4.4.4 "حياة" في روسيا	104
5.4.4 القصور العربي اتجاه العلماء	104
6.4.4 استقرارها في بريطانيا	106
5.4 "محمد كاظم" صوالحة	106
1.5.4 مولده ونشأته	106
2.5.4 نشاطه في بريطانيا	106
3.5.4 شخصيته المعتدلة	108
6.4 مجدي يعقوب	108
1.6.4 إعطاء مميز	109
2.6.4 متقاعد لا يتقاعد	110
7.4 حسن الكرمي	111
1.7.4 بيئة الأدب والعلم	111
2.7.4 العمل المعجمي	111

3.7.4 فشاعر العرب والمسلمين في بريطانيا اتجاهه	112
4.7.4 حنينه لوطنه	113
5.7.4 آثاره ووفاته	113
8.4 سلمى الخضراء الجيوسي	114
1.8.4 ثقافتها الأدبية	114
2.8.4 "سلمى" الشاعرة والناقدة	115
3.8.4 مشاريع "سلمى" وأوسمتها	116
4.8.4 مؤلفاتها	117
5.8.4 عملها الحالي	117
الفصل الخامس: مستقبل العرب والمسلمين في بريطانيا	118
1.5 مستقبل العرب والمسلمين في بريطانيا	119
الخاتمة	132
التوصيات	135
المراجع	136
فهرس الجداول	144
فهرس المحتويات	145

والحمد لله أولاً وأخيراً